أمين الساطي

نبوءة على التلفاز

رواية

حقوق النشر © محمد أمين الساطي (٢٠١٩)
يمتلك محمد أمين الساطي الحق كمؤلف لهذا العمل.

جميع الحقوق محفوظة
لا يحق إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب، أو تخزينه، أو نقله، أو نسخه بأي وسيلة ممكنة؛ سواء أكانت إلكترونية، أم ميكانيكية، أو نسخة تصويرية، أو تسجيلية، أو غير ذلك من دون الحصول على إذن مسبق من الناشر.

الطبعة الأولى: نشر ذاتي (٢٠١٩).

مكان النشر: دمشق - سورية

الرقم الدولي الموحد للكتاب: 978-1-5136-5209-2

موافقة اتحاد الكتاب العرب في سورية: رقم (٦٦٠) - تاريخ ٢٠١٩/٧/٧

الناشر: محمد أمين الساطي

الإهداء

في كل مرة، بعد أن أنتهي من كتابة مؤلفي القصصي أو الروائي، وأجلس لكتابة الإهداء، يخطر لي أن أغيّر في الكلمات، التي استخدمتها في السابق، لكنني أجد نفسي مدفوعاً بطريقة لا يمكنني مقاومتها بتكرار الكلمات نفسها..

إلى ولديّ منير وعمر خاصة، اللذين شجعاني على الكتابة والاستمرار في متابعة حياتي اليومية، بعد أن تقاعدت عن العمل، وإلى كل الأصدقاء الذين شجعوني على كتابة الرواية، ثم ساعدوني في مختلف مراحل العمل..

أتقدم بخالص محبتي وشكري لكم جميعاً..

المقدمة

الأفكار الغريبة التي لا تخضع للمنطق، تتسرب أحياناً إلى عقولنا رغماً عنا، فلا تلبث إلا أن تتحكم فينا، لأنها تتوافق مع مصالحنا الشخصية ورغباتنا المقموعة، فنجدها بعد فترة، وقد تحولت إلى هواجس، لا تنفك عن مطاردتنا، حتى تسيطر علينا، فنصبح عبيداً لها، وخصوصاً إذا لم نجد في تلك اللحظات من يقف إلى جانبنا، لينقذنا من هذه الضغوط النفسية الرهيبة التي نرزح تحتها.

من غير المستبعد أن تتآمر حواسنا علينا، وتبدأ في خداعنا، ما يسهل علينا اجتياز الخط الفاصل بين الواقع والخيال، فنغرق في أحلام اليقظة مستمتعين بالأوهام، مبتعدين عن مشكلاتنا اليومية التي لا تنتهي، محققين إشباعاً جزئياً لرغباتنا الجنسية المكبوتة منذ أيام الطفولة، حتى نلاحظ من دون أن ندرك بعد فوات الأوان، أننا قد انفصلنا كلياً عن كل ما يحيط بنا، وخلقنا عالمنا الخاص بنا، فجأة تداهمنا نهايتنا، التي نخسر فيها الحقيقة وأنفسنا بالوقت نفسه.

محمد أمين الساطي

الفصل الأول

بينما وائل جالس وحده في غرفته، يتسلى بضغط أزرار جهاز الروموت كونترول الموجود أمامه، للتنقل من محطة إلى أخرى، يقتله الملل، لكثرة أوقات الفراغ التي يعيشها، فجأة استرعت انتباهه قناة تلفزيونية، لم يشاهدها من قبل، تقدم الأخبار باللغة العربية، فتوقف عندها، ظهر المذيع خلف الشاشة، كان رجلاً أبيض بعينين عسليتين ضيقتين ولحية كثيفة سوداء، يرتدي بدلة رمادية، وتحتها قميص أبيض وربطة عنق خمرية اللون، أنيقاً من دون تكلف زائد، شدّ المذيع وائل إليه بصوته العميق، ولكنته الغريبة جداً، وكأنه أجنبي بالكاد يتكلم العربية.

تحدث المذيع عن سقوط طائرة أندونيسية من طراز بوينغ في البحر ومقتل جميع ركابها، كما تحدث عن أسعار العملات الافتراضية، وعن أهم أخبار العالم، وتصريحات المسؤولين السياسيين وإفادات مراسلي المحطة، بعد فترة شعر وائل بالتعب من تكرار سماع هذه الأخبار التي قلما تتغير. ذهب إلى فراشه لينام، لأن عليه أن يأخذ الباص في الساعة السابعة صباحاً، ليكون في وظيفته بالثامنة في مبنى أمانة السجل العقاري، الذي يبعد مسافة طويلة عن بيته، وليحافظ على هذه الوظيفة، التي حصل عليها بجهد كبير بوساطة ابن عمته، على الرغم

من أنها لا تلبي تطلعاته، التي كان يعيشها وهو طالب في كلية الفلسفة بالجامعة اللبنانية، لكن تبقى للوظيفة الحكومية ميزاتها، فهي توفر له الأمان، الذي لا يمكن أن يجده في القطاع الخاص، إن كل ما هو مطلوب منه، أن يداوم في كل يوم سبع ساعات لخمسة أيام في الأسبوع، لكنه عملياً لا يعمل أكثر من ساعة بالنهار، يوقع بعض المعاملات الواردة، ويحولها إلى الأقسام المختصة، أما بقية الوقت فيمضيه بين شرب القهوة وقراءة الجرائد، وزيارة مكاتب الموظفين في دائرته.

بعد أسبوعين، بينما كان جالساً مسترخياً كعادته خلف طاولته، يتصفح جريدة الصباح، ويرتشف فنجان القهوة التركية، ويتسامر مع زميله الموظف سعيد، الجالس على المكتب المقابل له في الغرفة نفسها. طالعه خبر بالخط الكبيرعلى الصفحة الأولى من جريدة الأنوار، يتحدث عن سقوط طائرة أندونيسية في البحر ومقتل جميع ركابها. في الوهلة الأولى لم يستوعب هذا الخبر، عاد ليقرأ تاريخ الجريدة، فوجد أنها صادرة بهذا اليوم نفسه، أعاد النظر في تاريخ سقوط الطائرة، فوجد أنه حدث في منتصف ليلة البارحة، توقف ذهنه عن التفكير لبرهة، ثم عاد ليسأل نفسه، فيما إذا كان يهلوس أو يحلم في هذه اللحظة.

جمع شتات تفكيره محاولاً تفسير هذه الحادثة فلم يصل إلى أي نتيجة، سأل سعيد: هل سمعت بخبر سقوط الطائرة الأندونيسية البارحة في البحر، فهزّ سعيد رأسه قائلاً: لم أسمع... هناك طائرة تسقط في كل يوم بالبحر، فأجابه وائل: لقد سمعت بخبر سقوطها على التلفزيون منذ أسبوعين، ظهرت علامات الدهشة والاستغراب على وجه سعيد، فخاف وائل من ردة فعله، فغيَّر مجرى الحديث قائلاً: إن الشركات التي تصنع الطائرات في هذه الأيام في مجتمعنا الاستهلاكي، لم تعد تهتم بسلامة الطائرات، بقدر اهتمامها بتحقيق الأرباح الكبيرة من نشاطات تشغيلها، استعجب سعيد من هذا الكلام، فثقافته العامة محدودة، وهو لا يحمل سوى الشهادة الثانوية، فلاذ بالصمت.

صمّم وائل بعد هذه المحادثة القصيرة على أن ينسى هذه القصة، ولا يفتحها لأحد، لكيلا يتهموه بالهلوسة، واعتقد أنه ربما تخيل بأنه كان قد سمع هذا الخبر من التلفزيون.

في تلك اللحظة خطر له بأن الخبر الذي ربما كان قد سمعه على التلفزيون منذ أسبوعين، قد لا يعود إلى هذه الطائرة الأندونيسية المنكوبة، ولربما يعود إلى طائرة سنغافورية، لم يعد متأكداً من الأسماء، هناك تشابه كبير في لفظ الأسماء الآسيوية، لعل ذلك يعود إلى غموضها وغرابتها، فتختلط عليه في كثير من الأحيان، فتشتت تركيزه، فيصبح عاجزاً عن التمييز بين كلماتها.

قرر أن يتوقف عن مشاهدة المذيع مؤقتاً على التلفزيون، ليحافظ على توازنه النفسي، إن محاولته للربط بين ما سمعه على التلفزيون، ومشاهدة الخبر يتحقق على أرض الواقع، جعله غير قادر على استيعاب هذا الأمر، عليه أن ينسى هذه النبوءة، وألا يبقى وحده في البيت لفترات طويلة، حتى لا يصاب بالاكتئاب، كما أنّ عليه أن يكثر من زياراته لبيت أمه، وأن يخرج إلى المقهى لشرب الأرجيلة مع صاحبه سعيد، كلما سنحت له الفرصة.

بعد فترة وجد نفسه بأنه لم يعد قادراً على مقاومة رغبته في مشاهدة المذيع على شاشة التلفزيون من جديد. جلس في تلك الليلة يقلب المحطات، حتى استوقفته صورة صاحبه المذيع، بكل تفاصيله التي شاهدها بالمرة الأولى، باشر المذيع بقراءة نشرة الأخبار من ورقة موجودة على سطح مكتبه. بدأ بالتركيز على الأخبار العالمية، وتطرق بعدها إلى الأخبار المحلية، ذكر في إحداها تصريحاً لمسؤول في الدفاع المدني، يفيد بأن حريقاً شبّ في صباح هذا اليوم في الطابق الثاني من بنك صغيرة في بيروت، لكنه لم يسفر عن إصابات، وأن رجال الإطفاء تمكنوا من إخماده، وتشير المعلومات الأولية إلى أن الحريق كان متعمداً من ثلاثة موظفين بالبنك لمحاولة سرقته، استحوذ هذا الخبر اهتمامه لغرابته، لكنه بعد وقت قصير نسي هذا الموضوع.

وائل شخص كسول بطبيعته، لا يحترم مهام وظيفته، فهو يتصور أن التزامه بالحضور والانصراف في الوقت المحدد هو المؤشر المطلوب على انضباطه بالعمل، لاحظ مديره المسؤول عنه ذلك، لكن لمعرفته بأن وائل قد حصل على هذه الوظيفة، بوساطة ابن عمته المسؤول في الحزب اليساري، فلم يكن أمامه إلا أن يكلفه بمهمات بسيطة، حتى لا تؤدي إلى خلل في تدرج العمل، وتعطيل مصالح الناس، ما أعطى وائل كثيراً من الوقت، ليجلس خلف مكتبه، ويغرق في أحلام اليقظة، وقراءة المجلات والجرائد، والثرثرة مع سعيد، مفسراً له طبيعة تكوين الحكومة الخفية، التي تحكم العالم وتسيطر عليه.

مضى أكثر من أسبوع على آخر مرة شاهد فيها المذيع على الشاشة، وبينما هو جالس خلف مكتبه، كعادته يقرأ جريدته الصباحية، وجد خبراً صغيراً في صفحة الأخبار المحلية يشير إلى أن حريقاً شبّ البارحة في بنك صغيرة، ولقد تمكن رجال الإطفاء من السيطرة على الحريق، ولم يسفر عن أي إصابات، من المحتمل أنه ناجم عن ماس كهربائي. المقال صغير ومبهم، ولا يوضح معلومات كثيرة حول طبيعة الحريق. عرف وائل بأن هناك معلومات كثيرة يحاول أن يخفيها هذا المقال عن الجمهور. لما قارنه مع الخبرية التي كان قد سمعها من المذيع، سيطر على أعصابه بصعوبة، ولم يفاتح حتى أقرب الناس إليه بهذه القصة التي حدثت معه، لكنه ظل يدقق في عقله، عن التبرير الوارد في كل من الخبرين، عن سبب الحريق.

مع مرور الوقت بدأ يتعلق بهذا المذيع، وأصبح يتلهف لمشاهدته في كل ليلة على شاشة التلفزيون، ليطلعه على آخر الأحداث العالمية والمحلية التي يعيشها العالم، إنه عالم لا يتوقف عن التدفق، ففي كل لحظة خبر جديد.

خلال متابعته للنشرة الإخبارية، ذكر المذيع في نهايتها، بأن سعر العملة الرقمية البيتكوين، سيقفز في نهاية الأسبوع القادم من سبعة آلاف وثلاثمئة وعشرين دولاراً إلى أحد عشر ألفاً ومئتين وأربعين دولاراً، ركز

وائل على هذه الأرقام، ثم أخذ جواله وقام بحسبة بسيطة، بوساطة الآلة الحاسبة الموجودة فيه، ليكتشف أن قيمة البيتكوين ستزيد خلال الأيام القادمة أكثر من نصف قيمتها.

بدأ يفكر كيف يمكنه الاستفادة من هذه المعلومة، ليجني بعض المال. استعرض أسماء الأشخاص الذين يمكنه أن يقترض منهم مبلغ سبعة الآلاف دولار، خطر له بالنهاية، أن ابن عمته الذي توسط له للحصول على وظيفته الحالية، ربما يكون الشخص الوحيد الذي يملك هذا المبلغ. تخيل كيف سيكون موقفه عندما سيفاتح ابن عمته بقصة المذيع على التلفزيون، ويخبره بتلك الأشياء التي كان قد تنبأ بها، والتي لا يقرها عقل ولا منطق، سوى أنها تحققت فعلاً على أرض الواقع. لا شك أنه سيثير سخريته، وسيتهمه بالجنون المطبق. أعاد النظر في تفكيره، خمّن ماذا سيكون موقفه، لو أن سعر البيتكوين لم يرتفع، فتراجع عن خطته، وجلس يتابع أسعار البيتكوين على شاشة هاتفه الجوال، متحسراً على نفسه، لاعتقاده بأن الأمور ممكن أن تحدث، كما ذكرها المذيع.

لم يتمالك وائل من السيطرة على لسانه، ليخبر باليوم التالي سعيد بأنه يتوقع ارتفاعاً لأسعار البيتكوين بمعدل خمسين بالمئة في نهاية الأسبوع القادم، ولشدة استغرابه، فإن سعيد لم يسمع بحياته بالعملات الرقمية، ولا يعرف ماذا يعني البيتكوين، فشرح له وائل، بأنها نقود إلكترونية متاحة فقط على شكل رقمي، لكن ليس لها وجود مادي مثل الأوراق النقدية، على الرغم من أن لها قوة العملات الورقية نفسها، وميزتها بأنها تسمح بالمعاملات الفورية بلا حدود على كل الكرة الأرضية، لذلك تحاربها الحكومات والبنوك المركزية في جميع أنحاء العالم، بعد أن انتهى من مداخلته القصيرة، انبهر سعيد بثقافة وائل الواسعة، وحبه لمتابعة تطورات أحداث العالم، وتمنى لو استطاع أن يكون مثله.

جلوس وائل لفترات طويلة خلف مكتبه، وعدم قدرته على الاندماج مع الموظفين الآخرين وقيامه بأعمال روتينية بسيطة في كل يوم، مترقباً

انقضاء ساعات الدوام، لمغادرة مبنى السجل العقاري عائداً إلى غرفته، منتظراً ظهور المذيع ليلاً على شاشة التلفزيون، كل هذا جعل الوقت يمر ببطء شديد، بسبب شعوره بالملل المتكرر من هذه الوظيفة، لكنه يعرف جيداً، بأنه من الصعوبة عليه أن يحصل على وظيفة ثانية أفضل منها، وأنه لولا الواسطة، لما تمكن أصلاً من الحصول على هذه الوظيفة.

باشر مع سعيد يعدان الأيام حتى تأتي عطلة نهاية الأسبوع، وأخذا يتابعان على الجرائد في كل صباح أسعار العملات الرقمية، كانت جميع البيانات في الجرائد تشير إلى أن السوق الرقمية متحفزة لارتفاع كبير في الأيام القادمة، فعلاً في اليوم الخامس قفزت أسعار البيتكوين إلى منطقة الأحد عشر ألف دولار. لتثبت صحة توقعات المذيع، لكن وائل، لم يفاجأ كثيراً بارتفاع أسعار البيتكوين، لأن تحليلات الخبراء والمختصين في الجرائد كانت كلها تشير إلى ارتفاع سعر صرف البيتكوين على المدى القريب، إن قفزة سعر البيتكوين لم تكن مباغته لخبراء الأسواق المالية، لقد كان الجميع بانتظارها.

الساعة الآن حوالي الثالثة بعد منتصف الليل، ومازال وائل جالساً وحده أمام شاشة التلفزيون، مترقباً ظهور المذيع الذي اعتاد مشاهدته في هذا الوقت من كل ليلة، ليطلعه على آخر الأخبار، ذهبت به ذاكرته إلى أيام طفولته، عندما كانت تتركه أمه لساعات طويلة، يجلس فيها بمفرده يشاهد أفلام الكرتون لينشغل بها عنها، بينما تقوم هي بإنجاز أعمالها المنزلية، أصبحت هذه الشخصيات الكرتونية الوهمية على الشاشة التي يتعلق بها جزءاً من عالمه الخاص، وأصبح لديه هوس يفوق التصور بالمسلسل الكرتوني الياباني جرايندايزر، الذي يمثل فكرة الصراع بين الخير والشر، حيث يمثل فيه دور الشرير، القائد الفضائي نينا الكبير، الذي يسكن في سفينته الفضائية بالفضاء الخارجي، محاولاً السيطرة على سكان العالم، مستخدماً رجالاً آليين، وكان بينهم رجل آلي، اسمه جرايندايزر، تمرد على الشرير نينا، وتعاطف مع البشر الذين يعيشون

على وجه الأرض، وقاتل معهم لإفشال خطة نينا للسيطرة على كرتهم الأرضية.

فور دخول شخصية جرايندايزر الافتراضية إلى حياته اليومية، أصبحت صورة جرايندايزر تلازمه طوال الوقت، حتى إنه بدأ يأخذها معه عندما يأوي إلى فراشه في كل ليلة، لتعطيه فرصة للهروب من الملل اليومي الذي يعيش به، لم يعد يكتفي بمشاهدتها على التلفزيون، وأصبح بحاجة لأن يشعر بأنها معه طوال الوقت، فأخذ يقتصد من خرجيته المحدودة، ويحرم نفسه من الشوكولاتة والسكاكر، ليشتري تشكيلة من السيارات والإكسسوارات التي تجسد هذه الشخصية العظيمة. ارتبط بهذه الشخصية وبكل ما يحيط بها من مناظر العنف الافتراضية، واعتاد تكرار بعض الجمل المشهورة التي كان يرددها المسلسل... جرايندايزر انطلق... فيشعر بلحظتها بقوة سماوية تندفع من أعماقه لتشعره بقدرته على الطيران والتحليق في السماء مثل بطل المسلسل.

أصبح غير قادر على التركيز على دروسه وعلى الإصغاء لمعلمته في الصف الأول الابتدائي، لكثرة الساعات التي يمضيها في ممارسة أحلام اليقظة أثناء الدرس، كما أنه يمضي بعد عودته من المدرسة، أكثر من أربع ساعات يومياً على التلفزيون، للتواصل مع هذا العالم الافتراضي الذي يشاهده على الشاشة، كما لعبت المجسمات والألعاب الصغيرة للبطل جرايندايزر، التي يحملها معه باستمرار دوراً في دفعه ليتقمص شخصية بطله المفضل.

مع مرور الوقت، تعمق انفصاله عن عالمه الخارجي، وأصبح أقل تفاعلاً مع الأحداث التي تحيط به، أصبح همه منصباً على تقليد وإعادة تمثيل كل ما يراه أمامه من تصرفات جرايندايزر، ما أكسب شخصيته كثيراً من الشراسة وعدم التعاطف مع الآخرين. لا شك أن جلوسه لساعات طويلة أمام التلفزيون جعله ينسلخ عن الواقع المحيط به، وخلق منه

شخصاً كسولاً وغير مبال بمشاكل أسرته، واتسمت شخصيته بالبلادة والخمول وضيق التفكير، أخذ يعيش صراعاً بين الواقع والخيال، ما أعاق تطور شخصيته بشكل طبيعي مثل باقي أصدقائه الأطفال.

هذه الأمور الصغيرة التي حدثت بالماضي في طفولته، ما زالت ترسم مستقبله وتشغل باله، وتدفعه إلى الانتظار في كل ليلة أمام شاشة التلفزيون. جالساً وحده تنتابه أحاسيس الخوف والتوتر قبل ظهور المذيع، وفوق كل هذا، فهو لا يتجاسر عن معرفة هوية المذيع، الذي بدأ ينظر إليه كرجل كامل، ما جعله يطلق عليه اسم المعلم، ولا عن معرفة هوية هذه المحطة التلفزيونية. إنه الخوف من المجهول، وما يترتب عليه من نتائج قد تدمر البقية الباقية من كيانه، لعل ذلك يعود إلى ضعف إيمانه بالله، فهو دائماً مرعوب من فكرة، بأنه من الممكن أن يمرض مرضاً مزمناً كما حدث مع أخته، ببساطة ليست عنده القدرة للقبول بالرضا عن القدر مهما كان.

لما وصل وائل إلى هذه النتيجة شعر بالارتياح، وأصابته نوبة من الثقة بنفسه، خطر له أن يكسر حاجز الخوف الذي يعيشه من الجنس الآخر، وأن يتحدث إلى الموظفة سلمى التي تعمل في قسم السجلات بمديريته نفسها، لقد شاهدها مراراً في الصباح الباكر وهي تقف أمامه بالصف، منتظرة دورها أمام جهاز البصمة الإلكتروني لتسجيل حضورها إلى المديرية، لقد انجذب إليها، عند رؤيته لها لأول مرة، بسبب شكلها الناعم الرقيق.

كعادته جلس يتابع المذيع، وهو يستعرض أخبار العالم على شاشة التلفزيون، شد انتباهه خبر بركان أيافياليكول في أيسلندا الذي ثار، وبدأ يقذف الحمم وسحابات الرماد من فوهته، مغطياً بالرماد سماء أيسلندا، متجهاً نحو غرب شمال أوروبا، فمن المتوقع أن تتسبب سحابات الدخان الرمادية في إغلاق معظم الأجواء الأوروبية، ما سيشيع الفوضى في عمليات النقل الجوي. في لحظتها لم يصدق وائل بأن هناك سحابة

رمادية، يمكنها إغلاق المجال الجوي الأوروبي، فلابدّ من أن هناك كثيراً من المبالغة في هذا الموضوع.

في اليوم التالي مباشرة بعد دخوله مبنى الأمانة العامة للسجل العقاري، اقتنع بأنه آن الأوان لكي يتخلص من مشكلة الخجل التي تلازمه منذ أيام المراهقة، أخذ نفساً عميقاً ليتحكم بهذا الخوف، اقترب من سلمى وقال لها: صباح الخير، ارتبكت سلمى لسماعها هاتين الكلمتين من وائل، فأجابته: صباح النور. لقد مضى عليه في الوظيفة أكثر من ستة أشهر، وهذه هي المرة الأولى التي يتقرب فيها إليها. من المفروض أن يكون هذا السلام عادياً جداً، وألا تضخم الأمور، لكنها كانت قد لاحظت أنه انطوائي جداً، ولا يتحدث مع الآخرين، فهو لم يتودد إليها لو لم تعجبه.

أخذت سلمى تفكر مترددة بالخطوة التالية التي يجب عليها اتخاذها لجذب انتباه وائل إليها، لقد ازداد ارتباكها بسبب عدم وضوح تصرفاته أثناء عمله، كما أن غموض شخصيته قد أطلق لمخيلتها العنان، إنها تعرف بأعماقها بأنها بنت عادية جداً، وغير متعلمة، ومن الصعوبة عليها الحصول على عريس في هذه الأيام الصعبة، حتى إنها لم تكن تجرؤ على التفكير بالزواج وإنشاء أسرة كما تحلم جميع صديقاتها.

عندما أوت سلمى إلى فراشها في تلك الليلة لم تستطع أن تنام من كثرة القلق على مستقبلها، ومن شدة الضغوط النفسية التي تتعرض لها، إن عقلها يميل إلى المبالغة في مشاعره تجاه الأشياء التي تحدث بسرعة أمامها. أخذت تتوقع الكثير بشكل خيالي ومبالغ فيه، نتيجة لخوفها من المجهول، لا شك أن ضعف إيمانها بالله وبالقضاء والقدر، أطلق مارد الخوف في أعماقها، وأصبحت غير قادرة على السيطرة عليه، فهي مجبرة على تقديم أكثر من نصف راتبها إلى أسرتها لتساهم في مصروف البيت. وها هي بدأت الآن تحلم، بأن وائل قد يكون الرجل المناسب، الذي يمكن أن يخلصها من فكرة أن تبقى بلا عريس، وألا تتقدم بالعمر من دون أن تتمكن من إنجاب الأولاد.

ارتاحت سلمى لشخص وائل من النظرة الأولى، راودتها أحاسيس غامضة تجاهه، حاولت أن تبعدها عن تفكيرها، أقنعت نفسها بأن هناك أشياء كثيرة غير مرئيّة تجمعهما ببعضهما، إنها الحاسة السادسة التي تدعي بأنها تملكها، نتيجة لمحصلة تجاربها القاسية وخبراتها التي اختزنتها في عقلها الباطن منذ أيام طفولتها.

إن هذا المجتمع الذكوري الظالم الذي تعيش فيه، لم يسمح لها يوماً أن تعبر عن مشاعرها، ما دفعها إلى التركيز على الرؤيا الداخلية لأعماقها، واستمر اهتمامها بهذه البصيرة الداخلية، حتى بعد أن تجاوزت مرحلة المراهقة، وأصبحت مستقلة مادياً عن أسرتها.

لم يغمض له جفن في تلك الليلة، وهو ينتظر ظهور المعلم على شاشة التلفزيون، لقد انبهر من معرفته الواسعة، بما يدور من الأحداث في هذا العالم، بدأ يتصوره بأنه مثله الأعلى في هذه الحياة، مشاعركثيرة تدفقت منه خارجة عن سيطرته بالإعجاب بهذا المعلم، بعدها برز المعلم من الشاشة ليقرأ نشرة الأخبار. ظلت عينا وائل مسمرة على حركاته وعلى تقاطيع وجهه، استعرض أحداث العالم، ثم تطرق إلى موضوع الفيضانات التي تجتاح ولاية كيرلا في جنوب الهند، التي أدت إلى تشريد أكثر من نصف مليون شخص، كان رقم نصف المليون كبيراً جداً، ما لفت نظر وائل إليه، واستمر المعلم في القراءة، حتى ختمها بالنشرة الجوية، بعد أن انتهى وائل من سماع النشرة، ذهب إلى فراشه وهو يفكر بالطريقة التي سيتقرب فيها غداً من سلمى.

بعد أسبوع وبينما هو جالس في مكتبه، اقترح على سعيد بأن يذهب معه لزيارة سلمى في مكتبها لبضع دقائق للدردشة معها، ومع الموظفة الثانية التي تشاركها في المكتب، إذ إنه يشعر بالارتباك من ذهابه بمفرده للتحدث مع سلمى، حاول أن يقنع سعيد بأن هذه فرصته، لكي يتعرف على صديقة سلمى، وربما تعجبه لدرجة تجعله يفكر بمصاحبتها، أو حتى الزواج منها، على الرغم من عدم اقتناع سعيد بهذه القصة، لكنه

أجابه بتهكم: يا شاري الهم من قلب صاحبه.... لكنه رافقه على مضض، باعتباره قدوة له، في الثقافة والأفكار السياسية.

دخل وائل الغرفة، وسحب الكرسي وجلس بالقرب من سلمى، بينما وقف سعيد يدردش مع زميلتها، لقاؤه الأول سبّب له ضغطاً كبيراً، ولاسيما أن ليس عنده خبرة في مواعدة البنات، أحست سلمى بارتباكه، ولتلطيف الجو، أخذت تتكلم عن البركان الذي ضرب البارحة أيسلندا، فأطلق كمية هائلة من الرماد إلى السماء، لتشكل سحابة رمادية غطت سماء أوروبا، وتسببت في تعطيل الرحلات الجوية فيها. عندما سمع هذا الخبر أدركته الدهشة، لأنه تصور بأن هذا البركان قد حدث منذ أكثر من أسبوع. عدل من وضعية جلوسه على الكرسي، لإخفاء مشاعره المتناقضة، محاولاً أن يقنع نفسه بأنه لم يسمع بهذا الخبر، ولاذ بالصمت، ولم يعد يعرف كيف يتابع حديثه مع سلمى، ثم استعاد بعد لحظات توازنه، وقرر الظهور بشخصيته الطبيعية، لإيمانه بأن اللقاء الأول يحدد ملامح علاقته المستقبلية بسلمى، أما سلمى فليست بحالة أفضل من وائل، فهي ما بين الارتباك والخجل، والخوف من أن تؤدي تصرفاتها إلى خسارته، من الصعب عليها أن تظهر بشخصيتها الحقيقية في هذا المجتمع الذكوري الذي يسيطر على عالمها، لكنها لم تحاول أن تخفي سنّها وحالتها الاجتماعية، وخوفها من المستقبل، أدركت بعد دقائق من اللقاء بحسها الأنثوي وذكائها وقدرتها على قراءة لغة العيون والجسد مقدار الثقافة العالية التي يتمتع بها وائل.

تتالت الأيام ووائل ينتهز الفرص، ليطل على سلمى في مكتبها، لقد نسي قصة المعلم، محاولاً أن يتناسى تنبؤات المعلم، لأنها تدفعه إلى أفكار وخيالات لا يستطيع إيقافها ولا تفسيرها، ليجدها بعد فترة قد أصبحت مسيطرة على عقله، وغير قادر على أن ينساها. بالوقت نفسه يجد نفسه مضطراً للاقتناع بتلك التصورات غير المنطقية، لأنه يشاهدها بأمّ

عينيه، وهي تتحول إلى واقع ملموس، هذه الوساوس بدأت تجعله يفقد عقله واتزانه، وتقوده إلى المجهول.

حسمت سلمى خياراتها بعد اللقاء الثاني، أصبح كل همها أن تركز على وائل لكي يتقدم لخطبتها، فهي تترك له إدارة دفة الحوار أثناء الحديث، وتكتفي بأن تكون مستمعة جيدة، لأنها تعرف أنها لا تستطيع أن تجاريه في هذه المواضيع الغريبة التي يتحدث عنها، لكنها بدأت تؤمن بأعماقها، بأن هناك الكثير من الصحة في كلامه، عن المجتمع الاستهلاكي الذي خلقته لنا وسائل الميديا، وجعلتنا عبيداً له. في المقابل كان وائل يزداد إعجاباً بمرور الوقت بشخصية سلمى المستقلة، والقادرة على تحمل مسؤوليتها، من دون أن تشعره بأنها ستكون عبئاً عليه في المستقبل.

بينما هو جالس وراء مكتبه، يدردش مع سعيد ويتصفح جريدته الصباحية، هاله منظر صور الفيضانات الرهيبة التي اجتاحت البارحة الهند وتسببت في موت المئات، ونزوح حوالي ستمئة ألف مواطن، حولتهم كلهم إلى مشردين، ذكرت الجريدة أن هذا هو أكبر إعصار تتعرض له ولاية كيرلا منذ عشرين عاماً. ربط وائل مباشرة بين رقم المشردين الذين ذكرهم المعلم في نشرته الأخبارية منذ أكثر من ثلاثة أسابيع، وبين الرقم الذي ذكرته الجريدة في هذا اليوم. في البداية خشي أن يكون هناك سوء فهم، في موضوع هذه الفيضانات، فعاد ودقق تاريخ الجريدة، فوجدها صادرة في هذا اليوم، كما دقق تاريخ الفيضانات التى اجتاحت الهند، فوجدها أنها حدثت منذ يومين، وليخرج من هذه الدوامة، حاول أن يقنع نفسه، بأن هناك تقدماً كبيراً في علم الأرصاد الجوية، لاعتماده على استخدام الأقمار الاصطناعية التي تغطي في مجملها الكرة الأرضية بكاملها، إضافة إلى استخدام أجهزة الحواسب الإلكترونية المتطورة، ما يعطي مراكز الأرصاد الجوية القدرة الفائقة على التنبؤ بحالة الطقس، وتتبع حركة العواصف والأعاصير، لكن السؤال الذي لم يستطع الإجابة عنه، لماذا لم تعرف الهند مسبقاً بهذه العواصف، على الرغم من أنها

تملك أقماراً اصطناعية للتنبؤ بالطقس، لكي تحذر مواطنيها لتجنب هذه الكارثة الرهيبة.

تتابُع هذه الأحداث بهذا الشكل لم تترك له مجالاً بالشك في قدرة المعلم على التنبؤ بالمستقبل، لا يستطيع وائل أن يتمالك نفسه فيجلس لساعات طويلة منتظراً ظهور المعلم على شاشة التلفزيون. بعد فترة ظهر المعلم، لكنه لاحظ لأول مرة وجود شريط بلون أخضر مكتوب عليه بلون أسود، رقم الهاتف الذي يمكن للمشاهدين الاتصال فيه على القناة لإبداء ملاحظاتهم حول المواضيع التي تعرضها، سجل الرقم مباشرة على جواله وهو يتابع نشرة الأخبار، بعد أن انتهى المذيع من إكمال النشرة أخذ الجوال، واتصل بالرقم الذي سجله من شريط شاشة التلفزيون، بعد رنتين فقط، سمع صوت المسجل الآلي... هذا الرقم غير موجود بالخدمة حالياً... توقع بأن هذا الجواب جاء نتيجة أن الاتصال تم في ساعة متأخرة من الليل، خارج أوقات الدوام الرسمي، رأى أن عليه أن يعيد الاتصال في صباح اليوم التالي.

وصل في الصباح الباكر إلى مكتبه قبل عشر دقائق من الموعد الرسمي للدوام، واستغل عدم وصول سعيد ليجري بلهفة اتصاله الثاني برقم المحطة التلفزيونية، انتظر دقيقة حتى سمع صوت المسجل الآلي من جديد، صباح الخير... إذا كنت تريد ترك رسالة صوتية.. رجاء اضغط على الرقم واحد.. أما إذا كنت تريد خدمة أخرى فاضغط على الرقم اثنين، قام سعيد بالضغط على الرقم واحد... فسمع صوت المجيب الآلي: يرجى قراءة رسالتك باختصار وبصوت واضح.... حتى يتمكن المختصون لدينا من الإجابة عن سؤالك... الرجاء ذكر رقم هاتفك الجوال... واسمك الشخصي ورقم بطاقتك الشخصية. لم يعرف ماذا يفعل، كان رد المجيب الآلي سريعاً بحيث لم يفسح له المجال للكلام، أخرج بطاقته الشخصية من حافظته ليتأكد من رقمها، وهيأ نفسه للمحاولة من جديد.

أعاد طلب الرقم مرة ثانية، فسمع صوت المجيب الآلي يكرر الأسطوانة نفسها، فضغط على الرقم واحد، ترك رسالة صوتية، يسأل فيها عن اسم مقدم نشرة الأخبار على قناة التلفزيون، أغلق الخط، وبعد وقت قصير، استلم رسالة على جواله تفيد بأن العملية تمت بنجاح. شعر بسعادة بالغة، لأنه حقق طلبه، توقع أن يستلم في أي لحظة رسالة على هاتفه تشير إلى اسم المعلم، جلس خلف طاولته كعادته في كل صباح يطالع الجريدة ويدردش مع سعيد، وانتهى دوام العمل، ولم يستلم أي رسالة.

مكث في بيته الصغير الذي هو عبارة عن غرفة كبيرة واحدة على سطح البناء، اقتطعت مالكته جزءاً من الغرفة وجعلته مطبخاً. ضمت إليه حماماً صغيراً لتجعل من هذه المساحة الضيقة، مكاناً صالحاً للعيش فيه، يمكنها الاستفادة من تأجيره، وبينما هو ينتظر وصول الرسالة، مضى الوقت بطيئاً، وحتى جاء الليل ولم يستلم أي رسالة، بالنهاية برر هذا التأخير، بأن الموظف ربما يكون مشغولاً، بالإجابة عن الأسئلة الكثيرة الواردة إليه. كل ما عليه الآن أن ينتظر دوره. ثم مضت عدة أيام، ولم يتلقّ خلالها أي رسالة، حاول أن يتظاهر، بأنه قد نسي القصة، وعاد من جديد للتفكير بسلمى، ووضع الخطط للتقرب منها، إنه يعرف بأنها غير جميلة، ولكنها جذابة، إضافة إلى أن راتبها في آخر الشهر بجانب راتبه سيساعده على فتح البيت، إنها بنت قنوعة، يمكنها أن تعيش معه في الغرفة نفسها التي يستأجرها على السطح، وتسربت الأفكار الشيطانية إلى مخيلته، فتذكر أنه لا مجال لمقارنة جمالها مع ابنة صاحبة البيت الذي يسكنه، ولا بشكل من الأشكال.

طال انتظاره.. ولم يستلم أي رسالة من القناة التلفزيونية، بينما هو جالس وحده في منتصف الليل بغرفته يشاهد المحطة، وتحت تأثير الضغوط النفسية الكبيرة التي يعانيها من الإهمال والتهميش، ومن دون وعي، أسقط جميع هذه الإحباطات على مسؤولي القناة التلفزيونية،

ولامَهم عن جميع مشكلاته، فاتخذ قراره النهائي بإنهاء علاقته بهذه المحطة التلفزيونية اللعينة، ذهب إلى المطبخ وأحضر مدقة صغيرة يستعملها عادةً لطحن حبوب الهال، واتجه نحو التلفزيون ليحطم شاشته، ويرتاح من هذه الوساوس التي لا تنتهي.

ما كاد يقترب من الشاشة، وهو يحمل مدقته الصغيرة، ليهوي بها على شاشة التلفزيون. فجأة في تلك اللحظة، انقطع البرنامج التلفزيوني، وبرز وجه المعلم، وهو يحذره بصوت عالٍ من مغبة تحطيم الشاشة، صُعق من هذا المنظر، ولم تعد ركبتاه تساعدانه على الوقوف، فارتمى على الأريكة من شدة الخوف، إنه لم يكن يتوقع أن يتكلم معه من خلال شاشة التلفزيون، طلب منه المعلم أن يتنفس بعمق ويسترخي.... بدأ حديثه بلطافة وهو يقول: إنه كان يراقبه منذ فترة طويلة... ويعرف مشاعره وأفكاره الداخلية.. وإنه يفكر بالزواج من سلمى، على الرغم من عدم قناعته بهذه الزيجة... يعرف عن زياراته المتعددة لسلمى في مكتبها... ثم حدّثه عن أخته المريضة بالفشل الكلوي... وعن ابن عمته الذي توسط له للحصول على وظيفته الحالية.

عندما انتهى المعلم من هذه الكلمات، أيقن وائل بأنه قادر من دون جدال على معرفة كل ما يجري في أنحاء العالم، فأصبح الآن جاهزاً لتصديق كل ما يقوله. تابع المعلم حديثه، مذكراً وائل بأنه اصطفاه بمهمة خاصة تخصّ البشرية، نظراً لأنه أخلاقي ويحمل مفاهيم إنسانية، فهو ضد الحكومة الخفية التي تسيطر على العالم ضد المؤسسات العالمية، التي تحاول أن تستغل الميديا، لتحويل جميع الناس إلى نسخة كاربونية واحدة، لتتمكن من التحكم فيها... إن وجود الثقة بينهما، ستكون المؤشر الأول إلى نجاح هذه الصداقة، ولكن عليه أولاً أن يتأكد بأنه أهل لهذه الثقة من خلال الأدلة والتجارب، وليس من خلال الوعود.... الثقة موضوع معقد... لا يمكن لك أن تثق بشخص ببعض القضايا، وألا تثق به في قضايا أخرى.... الثقة بمفهومها يجب

أن تكون عمياء.. ونظراً لتشاركهما في الأهداف والاهتمامات نفسها... فإن من المحتم أن تكون صداقتهما ناجحة... لكن يجب وضع حدود للتوقعات، حتى لا يصاب الطرفان بخيبة الأمل... ما قد يؤثر في صداقتهما ويدمرها، عندما انتهى من حديثه، غطت البقع البيضاء شاشة التلفزيون على شكل نمش، منتشرة كالعدوى فوق سطح الشاشة بكاملها، واختفى البث التلفزيوني.

مرّ اليومان بسرعة غريبة، وها هو يجد نفسه جالساً أمام التلفزيون متلهفاً لمشاهدة المعلم، نظر إلى ساعته فما زالت هناك عشر دقائق وأربعون ثانية حتى يحين موعد ظهوره، عادت به مخيلته إلى الوراء، وتذكّر المرة الأولى التي تعرف بها عليه. كان ذلك منذ حوالي شهر تقريباً. وبينما هو جالس يراقب شاشة التلفزيون، فجأة ظهر أمامه المعلم، موجهاً الكلام مباشرةً إليه، وكأنه يحاول أن يهدئ من مخاوفه، وأن يرفع من روحه المعنوية، وليخبره بأنه صديقه الوحيد في هذا العالم الذي انعدمت فيه القيم الأخلاقية، واختفى فيه الأصدقاء الحقيقيون، وهو عازم على مساعدته، لكي يجتاز المشكلات التي يمر بها، من هذه اللحظة اكتشف وائل، بأن المعلم هو الشخص الوحيد الذي يمكنه الوثوق به، وبالمقابل فإن عليه تنفيذ جميع نصائحه، لأن الهدف منها كلها حمايته وتأمين مصالحه الشخصية.

ما كادت عقارب الساعة تلامس الثالثة، حتى ظهر المعلم على الشاشة من جديد، بعد أن اختفى لعدة أيام، ومن دون مقدمات، أمره بألا يخبر سلمى بموضوع شاشة التلفزيون، إن هذا السر يجب أن يبقى محصوراً بينهما فقط، من دون أن يطلع عليه أي شخص آخر. اعترته الدهشة، كيف استطاع هذا المعلم أن يكتشف بأنه ألقى تحية الصباح على سلمى، وأنه بدأ يميل إليها. ازداد إيمانه بقدرة هذا المذيع على الاطلاع على كل الأمور التي تجري في هذا العالم. بالنهاية طلب منه المعلم أن يدخل بالغد إلى البقالية القريبة من مكان عمله، وأن يأخذ منها سكيناً صغيرة

يدسها في جيب سترته، ويخرج من الباب من دون أن يدفع ثمنها، وأخبره بأن عليه أن ينام جيداً، وأنه سيجتمع معه في يوم الأربعاء القادم، أي بعد خمسة أيام.

انتهى دوام الوظيفة وبينما هو في طريقه إلى بيته، دخل البقالية وهو في حالة استرخاء وسلام داخلي مع نفسه لتنفيذ تعليمات المذيع، لأنه لا يمكن لأحد، أن يجعلك تستجيب لرغبتك، بغض النظر عن حالتك النفسية، ما لم تكن تلك الفكرة تروق لقيمك الأخلاقية بطريقة ما. أخذ السكين الصغيرة ودسها في جيبه وخرج من باب الدكان ببساطة، كان هناك إيحاء داخلي يخبره، بأن أحداً لا يستطيع أن يراه، وهو يضع السكين في جيبه، لأنه يقوم بمجرد تنفيذ تعليمات المعلم.

أحس وائل براحة نفسية كبيرة، لأنه سيرتاح خلال الأيام الخمسة القادمة، من مقابلة صديقه المعلم. فكّر بأن يستغل هذا الوقت الضائع في التودد إلى سلمى لإنشاء علاقة معها، على الرغم من معرفته بمظهرها العادي، إلا أنه بدأ يفكر بصدرها الصغير وشعرها الأسود، لقد ركز بنظره على قدميها، إنها ترتدي حذاء مغلقاً من الأمام، ولذلك لم يتمكن من التدقيق في أصابع قدميها، ولكنه أدرك أن قدميها صغيرتان، وربما يكون رقم مقاس حذائها بحدود الثمانية والثلاثين، وقارنها مباشرة مع بنت الجيران التي تسكن في الطابق الأول، في العمارة التي يعيش فيها، يلمحها أحياناً وهي تفتح له الباب، عندما يذهب ليدفع لأمها، أجرة الغرفة التي يقطنها على سطح البناء في نهاية كل شهر.

إن شعرها الأشقر الطويل المنثور بعبثية مقصودة على عنقها الطويل وعينيها الزرقاوين، تجعل قلبه يخفق بشدة كلما رآها عند الباب. حاول عدة مرات أن يخمن رقم مقاس حذائها، ولكن المشكلة في أنها في كل مرة، ترتدي حذاءً رياضياً ملوناً جديداً، لا شك أن أحوال أسرتها المادية جيدة، لكي تتمكن من تغيير حذائها باستمرار، إن له هوساً في أقدام النساء الصغيرات، لقد قرأ بالجريدة، بأنه في الصين القديمة، وصلت

الحالة بالرجال لدرجة ليقبلوا، بأن قياس قدم العروس، هو الذي يحدد مهرها، فكلما صغرت قدمها ازدادت قيمتها.

غطَّ وائل في نوم عميق في تلك الليلة، بعد أن أخذ حبة منومة من دواء آمبين لتساعده على النوم، وفقاً لتعليمات طبيبه تاركاً جميع مخاوفه وراءه، لقد اعتاد أن يأخذ هذه الحبة ليتخلص من حالة التوتر التي يمر بها في بعض الأيام، وكان قد أمضى ليلتين لم يستطع النوم خلالهما بشكل طبيعي، لأنه كان ينتظر ظهور صديقه على شاشة التلفزيون، ما أثر في نشاطه وقدرته على التركيز على عمله بالنهار. في هذه الليلة عليه أن ينام جيداً، ليشحن طاقته العصبية ويخزنها، لأنه سيحتاج غداً إلى صفاء ذهنه، عندما يتكلم مع سلمى، فكّر بأنه سيدعوها للذهاب إلى السينما، ولاحت له صورتها وهي تمشي إلى جانبه في الشارع. تخيل بعدها، بأن الصورة بدأت بالاهتزاز وتشوشت وأصبحت باهتة وغير متماسكة، ثم لم يعد يشعر بشيء، وانتقل إلى عالم آخر.

في اليوم التالي، وأثناء عمله، انتابه شعور بالقلق وهو يقوم بزيارة سلمى في غرفة مكتبها الصغير الذي تتشارك فيه مع موظفة ثانية، خشي من أن تتصور، بأنه شخص مضطرب يبحث عن بنت سهلة، ليقيم علاقة جنسية معها، فهو مرتعب من أن ترفض الذهاب معه إلى السينما، لكن عليه الآن مواجهة هذا الخوف وعدم تجنبه، قد يكون رفضها ليس بالسوء الذي يتوقعه. هناك دائماً احتمال بأن يتعرف على بنت ثانية أكثر جمالاً منها.

إن فكرة مواعدة بنت جيرانه الجميلة الصغيرة، ما زالت تداعب مخيلته، تركيزه على هذه الفكرة، أعادت إليه السيطرة على أعصابه، لأنها أتاحت لعقله مزيداً من الخيارات. تسارعت دقات قلبه، وتعرّقت كفا يديه، وهو يقول لسلمى: كيفك سلمى.. حليانة اليوم... ولَم تعد لديه الجرأة ليتابع جملته، ويسألها فيما إذا كانت تود الذهاب معه إلى السينما. فوجئت سلمى من هذه الكلمات، لأن انطباعها عن وائل بأنه

انطوائي وخجول، لكن هذه الكلمات الرقيقة، حسّنت من حالتها المزاجية، وساهمت في تلطيف الجو، لأن كلمات المجاملة التي نسمعها من شخص بالكاد نعرفه، أكثر تأثيراً فينا من تلك القادمة من أصدقائنا القدامى، كسرت هذه الكلمات الناعمة روتين علاقة العمل القائمة بينهما، وجدت سلمى نفسها تقول له تلقائياً: كيفك أنت... شكلك مبسوط اليوم. لم يكن مكان العمل مناسباً لمتابعة المجاملات، لكن هذا الحديث القصير ولباقة وائل في اختيار كلماته قد مهّد الطريق لبداية علاقة بينهما.

أثناء عودتها إلى بيتها، مازالت كلمات وائل... حليانة اليوم... تطن في أذنيها. لا شك أن وائل معجب بها، صحيح أنها تعرف أنها متوسطة الجمال، ولكنها تتذكر دائماً كلمات أمها... بأن عندها جاذبية خاصة بها، تجعلها مغايرة لكل البنات، فجسمها النحيل وقامتها القصيرة وشعرها الأسود الطويل المنسدل على كتفيها، وعيناها العسليتان الكبيرتان، إضافة إلى حركاتها الرشيقة وطريقة مشيها، كل هذه الأشياء تمنحها الجاذبية، لكن الأهم من ذلك كله، قلبها الطيب الذي يضفي على مظهرها، ما يجعلها مثيرة وجذابة في نظر الرجال، وتجعلهم يتمنون الزواج منها. لقد اقتصدت خلال عملها مبلغاً لشراء أسوارتين من الذهب المبروم، لكنها بدأت الآن تفكر بأنها ستؤجل شراءهما حالياً، لكي تنفق جزءاً من هذا المبلغ على شراء ثوب جديد يليق بها، فعليها منذ اليوم أن ترتاد صالون التجميل للنساء الذي يقع قرب منزلها، لكي تبدو بصورة لائقة أمام وائل، لتجذبه إليها.

خلال ذلك الوقت كان تفكير وائل منصباً على أن سلمى بنت مقبولة بشكل عام، ولها جاذبيتها الخاصة المميزة لها، فقدماها الصغيرتان وجسمها النحيل القصير تجذبه إليها، وهو يؤمن بأن جسمها القصير الضعيف، يعطيه شعوراً بالقوة والقدرة على احتوائها والسيطرة عليها، لم يكن عنده المجال ليسألها عن برجها، فمن الضروري أن يعرفه قبل أن يتورط في هذه العلاقة، لأن التعارض والتوافق بين الأشخاص أمور

قد حسمتها الأبراج مسبقاً بشكل نهائي، وهذه القواعد الأساسية يجب عليه ألا يستهين بها، قبل أن يخوض في هذه العلاقة العاطفية الجديدة، كما أن عليه أن يتأكد فيما إذا كانت سلمى تؤمن بموضوع الطاقة الروحية، حيث إن توافق رأيهما في مسألة الطاقة، سيسهم في تقاربهما وانسجامهما مع بعضهما بسرعة كبيرة.

شاهدته باليوم التالي أثناء دخوله المبنى، اكتفت بالابتسامة له من بعيد، وتظاهرت بتجاهله، على الرغم من أنها ظلت تراقبه عن كثب، لكيلا يأخذ الانطباع بأنها مهتمة به، وأن يفسر ذلك بأنها رخيصة لا قيمة لها، عليها أن تتحكم في مشاعرها، ولا تبديها أمامه، لكي يظل متعلقاً بها.

بعد ساعتين، زارها وائل في مكتبها للمرة الثانية.. سألها ماذا تريد أن تفعل مساء تلك الليلة، وفيما إذا كانت تود أن تذهب معه إلى السينما بعد انتهاء عملهما، فأكدت له رغبتها في ذلك، لكن المشكلة بأن أخاها الكبير محافظ، ولا يسمح لها بمواعدة الشباب والخروج معهم بمفردها، وأن الحل الوحيد للكلام معها، هو الجلوس بجانبها في الباص في طريق عودتها إلى منزلها، راقت هذه الفكرة لوائل، وبعد انتهاء الدوام، تمشيا نحو محطة الركوب، وصعدا إلى الباص، وجلس بالمقعد إلى جانبها أثناء الطريق.

ما كاد يستقر على الكرسي بجانبها، حتى سألها عن تاريخ ميلادها، لكي يتمكن من تحديد برجها، فعرفت قصده، فأجابته مباشرة بأن عمرها سبعة وعشرون عاماً، وهي من مواليد برج السرطان. وبحسب خبرته بالأبراج، فإن برج السرطان من الأبراج المائية، اعترته سعادة رهيبة، لأنه من مواليد برج الحوت، الذي هو من الأبراج المائية أيضاً، ما يحتم وجود كثير من الصفات المشتركة بينهما، فهي بلا شك مثل جميع أفراد برج الحوت، لديها حساسية مفرطة مع الأشخاص الذين تتعامل معهم، ولديها فيض هائل من الحب والعطف، ما يؤثر في حكمها

بمنطقية على الأحداث التي تدور حولها، وهي مثله تميل إلى العيش بالخيال لتهرب من مشكلات الواقع.

ارتفع مزاجه لسماعه هذه الخبرية، وصل فيها إلى قمة السعادة لبرهة من الوقت، وعاد ليسألها من جديد عن موضوع إيمانها بوجود الطاقة الروحية، على الرغم من أن سلمى لم تستوعب سؤاله، لكن خوفها من أن تخسره دفعها إلى القول بأنها تتصور بأنها موجودة. لم يعجبه جوابها، فأحس بالإحباط. أدركت سلمى من التقاطيع التي ارتسمت على وجهه بأنه شخص مزاجي ومتقلب ومهووس بالأمور الغيبية، إن عقلها الباطن الذي يوجه علاقتها العاطفية في هذه اللحظة، فسّر غرابة أسئلة وائل، على أنها نوع من الثقة الزائدة بالنفس، عائدة لثقافته العالية، التي لطالما تمنت لو كانت حصلت عليها. إن عليها الآن، أن تسلك الطريق الصعب للحصول على وائل، كما أن عليها أن تتماشى مع أفكاره الغامضة، واضعة أمام عينيها بأن زواجهما غايتها القصوى، لقد أشعل فيها بحديثه نار التحدي والمغامرة بأفكار غريبة، لم تسمع بها في كل حياتها.

استيقظت من نومها وهي متلهفة على لقائه في الباص وهي ذاهبة إلى عملها، كانت تفكر بالطريقة التي سوف تتبعها للتقرب منه، وأثناء جلوسهما في غرفة مكتبها، حاولت سلمى أن تستدرج وائل للحديث عن أهله، وفهمت منه أن له أماً وأختاً تعيشان معاً، وأنه يذهب خلال عطلة نهار السبت لتمضية النهار معهما.

كان طالباً في الصف الثالث بالجامعة اللبنانية، قبل أن يتوقف عن متابعة دراسته في كلية الفلسفة، أعطت لنفسها المجال بحرية لتتحدث عن عائلتها المحافظة، التي تتمسك بالعادات والتقاليد الأخلاقية. وأنها حالياً تعيش مع أمها وأخيها وزوجته في بيت واحد، كانت تنظر إلى عينيه باستمرار، وتراقب تعابير وجهه وهي تتكلم عن أسرتها، لكنه غالباً ما كان يحوّل نظر عينيه عنها، لأنه لم تكن لديه الجرأة لينظر في

عينيها مباشرة، وردت سلمى ذلك إلى أن وائل صاحب شخصية خجولة وضعيفة، عليها أن تكون أكثر احتراماً لخصوصيته، ولا تشنّ عليه كثيراً من الأسئلة والاستفسارات، لغاية التعرف عليه بشكل أحسن، فمن الأفضل أن تبقي اتصالها معه بالوقت الحاضر على مستوى الاحترام، حتى لا يشعر بالخوف من علاقتهما، فيفكر بأن يقطعها، فيدمّر جميع أحلامها بالحصول على عريس.

في المساء أمضت أكثر من أربع ساعات وهي تقرأ على الإنترنت مقالات متعددة عن موضوع الطاقة الروحية، لم تستوعب كثيراً من هذه الكلمات غير المألوفة المكتوبة في شرح هذا الموضوع، لكنها عاهدت نفسها بأنها ستستمر في كل ليلة بدراسة هذه الظاهرة، لكي تستطيع لفت انتباه وائل إليها، من الصعوبة عليها أن تدرس هذه الأفكار، وهي لا تؤمن بوجودها أصلاً، لكن عليها أن تفعل ذلك إرضاءً لوائل، ففكرة أن تبقى عانساً من دون أن تتزوج، ويكون لها عائلة خاصة بها، هي أكبر مخاوفها في هذه الحياة.

انقضت الأيام الخمسة، وعاد وائل كعادته، ليجلس أثناء الليل أمام شاشة التلفزيون، انتابه الفضول في بادئ الأمر، ليعرف فيما إذا كان المعلم عنده المعلومات حول محادثته الأخيرة مع سلمى، وشعر بنوع من القلق قبل ظهور المذيع، لأنه كان خائفاً من ردة فعله على هذه العلاقة العاطفية.

في تمام الساعة الثالثة كعادته، ظهر المذيع على الشاشة، أدرك من كلماته بأنه يعرف أدق التفاصيل عن هذه العلاقة، أكد عليه مرة ثانية، بأنه تحت أي ظرف من الظروف، يجب ألا يطلع سلمى أو أي مخلوق آخر عن موضوع ظهوره على شاشة التلفزيون. طلب منه بعد عودته مباشرة من عمله في مساء الغد، بأن يصعد ويمشي حافياً على السور الموجود على حافة سطح البناء، على الرغم من أن عرض سطح السور بحدود العشرين سنتمتراً، وهو مبني من البلوك وارتفاعه يزيد على

المتر، إن وائل بطبيعته يخشى الوقوف في الأماكن العالية، ويعاني رهاب المرتفعات، وكل ما كان يخشاه أن تنتابه نوبة من الذعر، وتصيبه الدوخة أثناء مشيه، فيفقد توازنه ويسقط من أعلى المبنى.

مرت عدة ليالٍ وهو لا يجرؤ على الصعود على السور، بالنهاية لم يكن عنده خيار سوى تنفيذ تعليمات المعلم، صعد على السور، وبدأ يمشي من دون أن ينظر إلى الأسفل، إن عليه الآن أن يواجه خوفه من المرتفعات، ويتخلى عن ظنه بأنه غير قادر على حفظ توازنه، فهو يعرف تماماً بأن صديقه المذيع لن يتركه وحده، كل ما هو مطلوب منه أن يركّز على خطواته، وألا يجعل فكرة الخوف من السقوط تتمكن منه، وبالتالي الموت يهيمن على تفكيره، لقد مشى حتى الآن أكثر من نصف المسافة، ولم يحدث أي شئ، وسوف يستمر بالمشي، وعندما وصل إلى نهاية السور، شعر بالرضا عن ذاته، من خلال انتصاره على أكبر هواجسه، لقد تحدى جميع الأفكار السلبية التي تراوده حول الموت، وذكّر نفسه بأنه شخص مميز وذكي وله قيمة، ما دفع المذيع لكي يختاره من بين جميع الأشخاص ليكون صديقه.

تمكّن وائل من تحقيق إنجازه، بالتغلب على رهاب الخوف من المرتفعات، الذي كان يلازمه منذ صغره، أخذ يتحدث إلى نفسه بصوت عالٍ، بأنه شخص ذكي ورياضي، ليدعم ذاته، وليحفّذها على التقرب من ابنة صاحبة الغرفة التي يعيش فيها، فأجرة الغرفة ستستحق بعد أسبوع، ومن المتوقع أن تفتح له الباب كالعادة، عندما يذهب لدفع أجرة الغرفة، عليه أن يتهور ويستغل هذه الفرصة، ليسألها عن اسمها وعن برجها، لأن هذه هي فرصته الوحيدة لفتح الحديث معها، إنها بحدود السابعة عشرة من عمرها، وفي تلك المرحلة يكون للبنت نضارة خاصة بها، تجعلها مرغوبة مثل الفاكهة الطازجة، فتدفع الرجل الكبير بالسن إلى الانجذاب نحوها، بغض النظر عن شكلها. إن زواج الرجل ببنت بحدود نصف عمره مازال أمراً مقبولاً في مجتمعاتنا، وسوف يكون من

السهولة عليه فرض سيطرته والتحكم فيها، وإعادة تشكيل شخصيتها بالطريقة التي تناسبه، وسيتمكن من الاستحواذ عليها كلياً. لا شك أنها أجمل بكثير من سلمى، وشعرها الأشقر يذكره بالمثلات الشقراوات في السينما، اللواتي طالما كان يتعلق بهن في أحلام اليقظة، التي كان يمارسها في سنوات المراهقة.

ظهر المعلم كعادته في الوقت المحدد على شاشة التلفزيون، طلب منه أن ينزل درج المبنى من دون ضوضاء، لكيلا يلفت نظر الجيران إليه، عندما يصبح وحده في الطريق، يجب أن يتحقق من عدم وجود أي شخص يراقبه في الحارة، بعدها عليه أن يقترب من سيارة الشيفروليه الزرقاء التي تركن أمام مدخل البناء، ويطعن عجلتها الخلفية بسكّينه، ثم يمشي بصمت صاعداً الدرج إلى غرفته، لم يكن أمام وائل بدٌّ من تنفيذ هذه المهمة السهلة، بعد إنجازها شعر أن ثقته بنفسه بدأت تتراكم، وأنه بدأ يتخلص من جميع الأفكار السلبية التي كانت تراوده عن الخوف.

انتظر وائل ظهور مذيع التلفزيون، وبعد أن هنأه على نجاحه في تنفيذ المهمة، طلب منه أن ينزل الآن مباشرة إلى الشارع بتأنٍّ، لكيلا يوقظ الجيران، ويذهب إلى الجادة الثانية القريبة من بيته، بعد أن يتأكد من عدم وجود أي شخص يراقبه في المنطقة، عليه أن يختار خمس سيارات مركونة بجانب الرصيف في ذلك الشارع، ثم يقوم بغرز سكّينه في دولاب كل واحدة منها، ثم يسرع عائداً بهدوء إلى بيته، لينتظر التعليمات الجديدة. اكتشف وائل بعد إتمامه هذه العملية بنجاح، بأنه يملك قدرات معينة مخفية، وأنه بمساعدة المذيع قادر على تنميتها وتطويرها.

الساعة تشير إلى الثالثة تماماً، وكعادته ظهر المعلم على شاشة التلفزيون، وبعد أن هنأه أيضاًعلى نجاحه بتأدية مهمته الثانية، أعطاه إجازة لمدة أسبوع، ليرتاح من متابعته على الشاشة، طلب منه أن يركز خلال هذه العطلة على زيادة عدد ساعات النوم التي يحصل عليها في كل ليلة، لأنها الوسيلة الوحيدة التي تساعده على المحافظة على صحته،

وإبقاء أعصابه باردة في جميع الأزمات التي من المتوقع أن يمرّ بها، على أن يلتقيه على الشاشة بعد سبعة أيام.

قرر وائل أن يستغل الأيام السبعة القادمة، لتوثيق علاقته بسلمى، وليحاول أن يقنعها بأن تأتي معه إلى غرفته، وهو معجب بجسدها النحيف وصدرها الصغير وحركاتها المثيرة، لقد رأى طريقة نظرها إليه بشغف بطرف عينيها، عندما يكون وحده إلى جانبها في مكتبه، جلس كعادته معها، ولم يفته أن يلاحظ أن سلمى بالفترة الأخيرة بدأت تعتني بشعرها، وتضع مكياجاً خفيفاً على وجهها، لديها هالتها الخاصة التي تجذبه إليها، ربما كان هذا هو السبب الذي دفعه للارتياح إليها عندما قابلها للمرة الأولى، على الرغم من أنه كان قد قرأ بالمجلات، أنه يمكن للشخص الخبير رؤية هذه الهالة المشعّة التي تحيط بجسم كل واحد منا، إلا أنه عملياً، وبعد محاولات لا تعد ولا تحصى، لم يتمكن من رؤيتها ولو لمرة واحدة. رغب بشدة فيما لو كان بإمكانه مشاهدة هالة سلمى، ليحصل على سجلها الطبيعي، مدونة عليه رغباتها وميولها الحقيقية، فتتكشف شخصيتها أمامه، ما يسهل السيطرة عليها.

خلال وجودها في مكتبه مع سعيد، لاحظت سلمى أن وائل يتجنّب شرب المشروبات الغازية، كما أنه يتجنب شرب الماء، إلا من زجاجته البلاستيكية الخاصة، التي يجلبها معه في صباح كل يوم، لم تكن عندها في البداية الجرأة لتسأله عن سبب ذلك، حتى لا يفسر سؤالها بأنه تدخل في حياته الخاصة، لكنها وبطريقة لا شعورية سألته عن هذا الموضوع، في البداية تردد وائل في الإجابة، لكنه وجد نفسه مضطراً ليقول لها: إن هناك مواد كيميائية ضارة، تقوم الشركات بوضعها بالمشروبات الغازية، بناءً على توجيهات من الحكومة العالمية، التي تسيطر على عالمنا الذي نعيش فيه. تابع حديثه: إن الحكومة العالمية تضيف مادة الفلورايد إلى إمدادات المياه العامة باسم الحدّ من تسوّس الأسنان، لكن في الحقيقة، لهذه المواد مضاعفات خاصة، تؤثر في تفكير المجموعات البشرية،

مكتفياً بهذا القدر من الحديث، لكن الذي أثار استغرابها بأن سعيد تدخل بالنقاش، وأيّد جميع الأفكار التي طرحها وائل.

اندهشت سلمى من سماعها لهذه الكلمات، ولم تستطع أن تستوعبها، وفور وصولها إلى بيتها فتحت الإنترنت، وبدأت تقرأ عن هذه الأفكار الجنونية التي تحدّث عنها وائل، شعرت بالخوف منه والانجذاب إليه بالوقت نفسه. إن شخصيته الساحرة الغامضة لفتت انتباهها إليه، عندما كانت تتحدث مع صديقاتها البنات عن فتى أحلامها الذي تريده أن يكون شريكاً في حياتها، والذي قد تشكلت ملامح شخصيته، من خلال أبطال المسلسلات التركية، باحثة فيه عن صفات كثيرة، قد لا تقتصر على مظهره الخارجي ومادياته، لكنه بالمجموع يختلف كلياً في صفاته عن وائل، والآن تصدم بشخصية وائل الخارجة عن كل توقعاتها، إن ميوله النفسية الخفية الغامضة، تجعل من الصعب عليها التنبؤ بتصرفاته وبمعرفة ما يدور في عقله، ولعل هذا ما يزيد من إعجابها به، وهي في حيرة، من أين حصل على كل هذه المعلومات غير المألوفة إليها.

هداها تفكيرها بالنهاية إلى أنه من الأفضل أن تقطع علاقتها بوائل منذ بداية الطريق، لكنها عادت وتذكرت وضعها الحالي، وأنها ستدخل قريباً الثامنة والعشرين من عمرها، ولم تتزوج حتى الآن، على الرغم من أن جميع رفيقاتها البنات قد تزوجن، وأصبح عندهن أولاد، إنها تؤمن بالنصيب، ولكن الأيام تمضي مسرعةً، وعليها أن تتزوج قبل أن يفوتها القطار، ربما يكون وائل الشخص الوحيد المتوافر أمامها في الوقت الحاضر.

انتهى الدوام بالوظيفة، وجلس كعادته إلى جانبها في مقعد الباص مستمتعاً برفقتها التي لا تكلفه سوى ثمن تذكرة الباص، حاول أن يقنعها أنه بدلاً من تمضية الوقت في الباصات، فمن الأفضل أن تذهب معه لتمضية بعض الوقت في غرفته مؤكداً لها أن أخاها أو أي شخص آخر لن يعرف هذا السر، رفضت سلمى هذه الفكرة فوراً مدعية أن تربيتها

وقيمها الأخلاقية لا تسمحان لها، بأن تدعه ينفرد بها وحده في غرفته. في الحقيقة إنها لا تثق بوائل، وتشعر بنوع من المهابة بوجوده، ولا تستطيع أن تتوقع تصرفاته. لم تستطع حتى هذه اللحظة تفسير أفكاره الرهيبة، وهي تعلم مسبقاً، بأنها عندما تقيم أي علاقة جنسية معه، فإنه سيحكم عليها بأنها بنت فلتانة، وسينزع من عقله فكرة الزواج منها نهائياً، وتنتهي جميع أحلامها، بسبب مسايرتها له لإشباع نزوته. أفهمته بأن السبيل الوحيد ليتعرف عليها بشكل أفضل، هو أن يتقدم لخطبتها، تجاهل وائل ملاحظتها، أومأ برأسه، ولم يعلّق عليها، فهو يعرف بأنه غير قادر حالياً على الزواج، ويجد صعوبة كبيرة في تدبير أموره اليومية، إضافة إلى أنه لا يتصورها جميلة بالشكل الذي يجعلها مؤهلة لتكون زوجته، اعتقد وائل بأنه تعرض للإهانة من رفض سلمى لاقتراحه، فكّر لأول مرة بأنه من الأفضل أن يقطع هذه العلاقة، ويعود للاهتمام بابنة صاحبة الغرفة التي يقطنها.

مع مرور الوقت شابت علاقتهما حالة من الفتور، أصبح وائل لا ينتهز الفرص ليزور سلمى في مكتبها، أخذ يتجنبها أثناء العمل، حاولت سلمى بدورها، أن تنسى هذه العلاقة القصيرة التي جمعتهما معاً، وأن تركز على عملها وعلى حياتها الخاصة، والزواج سيأتي وقتما يشاء الله، وتصورت أنه بدلاً من أن يشعر وائل بالذنب لأنه حاول أن يغرّر بها، من المفروض أن يأتي ليعتذر منها، فهو يتظاهر بالانزعاج، ولا يريد أن يعترف بخطيئته، قالباً القصة عليها، محملاً إياها مسؤولية نهاية هذه العلاقة.

إن شعورها بأنها غير مرغوبة سبّب لها مسحة من الاكتئاب، يتملكها الآن إحساس عاطفي شديد يسيطر على جميع جوارحها، بأنها بنت غير محظوظة، ما سيجعلها تقدم على بعض التصرفات غير اللائقة بها، والتي طالما رفضتها بالماضي، ولكنها الآن ستتخطى هذه الحدود التي رسمتها، تحت ضغط الحاجة النفسية والعاطفية.

الصورة بدأت تتضح أكثر فأكثر، بأن وائل بدأ يفلت من يدها، فلم يعد مهتماً بها، استحوذ عليها خوف بأن هناك فتاة ثانية قد خطفته منها، إن من واجبها أن تقاتل وأن ترد على هذا التحدي، لعل هذه البنت عملت له سحراً، أو ألقت تعويذة عليه، فخدعته فيها، من دون أن يعلم بذلك، لا شك أن هناك بدائل شرعية تسمح لها أن تفك هذه العقدة السحرية لتحرره منها.

كانت سلمى قد سمعت من بنت عمتها نهاد، بأن هناك شيخاً يسكن في حارتها، يمكنه أن يفكّ المسحور بوساطة سحر الشموع، حيث يقوم بإشعال شمعة في طقوس معينة، بعد أن يكون قد نقش عليها الطلاسم البابلية القديمة، بإبرة من نحاس لم تستخدم من قبل، وفقاً لما هو متعارف عليه عند سحرة الشموع، ثم يقوم باستحضار الجني خادم الشمعة، لإعطائه التعليمات اللازمة، وبعدها لا يتم إطفاء الشمعة؛ بل ينبغي تركها مشتعلة إلى أن تنطفئ وحدها، لأن إطفاءها سينعكس سلباً على الجني، فيصبح غير قادر على إنهاء مهمته، إن الشيخ قادر على جلب الحبيب العنيد مقابل خمسمئة دولار، وإذا لم يعد الحبيب في أقل من أسبوعين، فهو ملزم برد النقود إلى البنت التي لجأت إليه، تحت تأثير اليأس أصبحت الأمور غير المنطقية لسلمى معقولة، لأنها تتماشى مع رغبتها في محاولة إنقاذ احترامها لذاتها.

الفصل الثاني

مضت الإجازة سريعاً، ولم يتمكن وائل خلالها من إقناع صديقته سلمى بمرافقته إلى غرفته، فوصل إلى قناعة بأنه من الأفضل له أن يركز على بنت صاحبة الملحق الذي يقطن فيه، أو أن يبحث عن بنت ثانية. إن تفكيره المستمر في الجنس يدمّر تركيزه، ويدفعه إلى أن يعيش أحلام اليقظة أغلب فترات النهار، إضافة إلى المذيع الذي يظهر في منتصف الليل، والذي يعرضه لمزيد من الخوف والإجهاد العقلي، إن فكرة الحصول على الجنس بدأت في الفترة الأخيرة تستحوذ كلياً على عقله، لعل تقاربه من سلمى، كان بداية الشرارة التي أيقظت هذا العفريت النائم في أعماقه، لم يعد أمامه إلا التفكير عملياً، بإيجاد طريقة لإشباع هذه الغريزة التي تشتعل باستمرار في أحشائه.

ظهر المعلم على الشاشة من جديد كالمعتاد، وطلب منه أن يأخذ كيساً صغيراً من البلاستيك، ويلبسه في كفه، حتى لا يترك أثراً لبصماته على الزجاجة الفارغة التي سيحملها في يده، وهو في طريقه إلى الشارع، وعندما يصبح في الطريق عليه أن يقترب من الضوء الأمامي لسيارة المرسيدس السوداء المركونة بجانب البناء، وبعد أن يتأكد كما فعل بالمرة السابقة، بأنه خارج المراقبة، عليه أن يضرب الزجاجة بقوة بالمصباح

الأمامي الأيسر لسيارة المرسيدس، ثم يسقط كيس البلاستيك من يده ويتابع مشيته بشكل طبيعي، العملية بحدّ ذاتها لم تُخفْ وائل، ولكن الذي أرعبه أنه كان يعرف أن صاحب هذه السيارة هو موظف كبير في وزارة الداخلية، لكن المذيع لم يترك له أي مجال لمناقشته، وأصبح عليه إما أن ينفذ تعليمات المذيع حرفياً، وإما يرفضها ويتمرد عليه، وبذلك تنتهي علاقة الصداقة القائمة بينهما.

اقترب وائل من السيارة ونفذ تعليمات المذيع حرفياً، فأحس بلذة غريبة وهو يسمع صوت تحطم زجاج المصباح الأمامي للسيارة السوداء، بعد عودته إلى غرفته تخلص نهائياً من التوتر، وانتابته ثقة عمياء بنفسه، لم يشعر بها طوال حياته، لقد تحدى أكبر مخاوفه مرة ثانية، ولم يعد يعبأ بالموظف الكبير، ولا حتى بمدير هذا الموظف، لقد استعاد احترامه لذاته، شرع يعتمد على نفسه بتنفيذ جميع الأفكار التي يؤمن بها، إنه يستحق التقدير من جميع معارفه على إنجازه هذه العمليات الشجاعة، قبل تكليفه بهذه المهمات لم يكن يشعر بأهمية وجوده بالحياة، لقد اكتشف أن هناك أشياء كثيرة مخيفة قادر على تنفيذها.

زارت سلمى وائل في مكتبه، تحرشت به، وحاولت أن تتودد إليه، سألته عن مشروعه ليوم عطلة نهاية الأسبوع، فأخبرها بأن عليه في كل يوم سبت أن يرافق أخته المصابة بفشل كلوي حاد إلى مستشفى بعبدا الحكومي في محافظة جبل لبنان، حيث تقوم بجلسات الغسيل الكلوي التي تستغرق قرابة أربع ساعات، وتجريها مرتين في الأسبوع، على الرغم من أن طبيبها قد نصحها بأن عليها أن تجريها ثلاث مرات بالأسبوع، ولكن لقلة التجهيزات والمعدات اللازمة لغسل الكلى، ولكثرة الضغوط الكبيرة على وحدات الغسيل الكلوي في المستشفيات الحكومية، فقد اقتصرت معالجتها على جلستين أسبوعياً فقط. اقترحت عليه سلمى أن يركب معها بالباص بعد انتهاء عملهما ليوصلها إلى منزلها في حارة حريك. لكنه اعتذر بحجة أن المسافة طويلة وهو مشغول في هذه

الأيام، رغم أنه يعرف أن المسافة لا تتعدى سبعة كيلومترات عن مدينة بيروت، ولن تستغرق بالباص أكثر من نصف ساعة، فتأكدت سلمى في هذه اللحظة بأن وائل لم يعد مهتماً بها، لا شك أن هناك بنتاً ثانية تشغل تفكيره.

اسودّت الدنيا بعيني سلمى لسماعها هذه الكلمات من وائل، وأيقنت أن علاقتهما قد قاربت على الانتهاء، تذكرت طفولتها التعيسة، وكيف أنها لم تكن محظوظة مثل باقي البنات، فهي لم تكن جميلة، ولم تكن متفوقة في صفها، زاد على ذلك جهلها في ذلك الوقت، بأن فرصتها لتعويض نقص جمالها، بأن تركز على دراستها، كما تفعل أكثر البنات العاديات. لما تقدمت لفحص البكالوريا رسبت في المرة الأولى، ما اضطرها لإعادة السنة الدراسية، وبالكاد نجحت في المرة الثانية، فقررت عدم متابعة دراستها والالتحاق بالجامعة، كما فعلت أغلب صديقاتها. انصرفت إلى العمل لتعيل نفسها ولتساعد أسرتها في هذه الظروف الاقتصادية الصعبة، ربما كان عليها أن تفكر بالسفر والهجرة إلى أميركا كما فعل ابن عمها، لاستطاعت حينها أن تعيش حياتها الخاصة، كما تشاهد في الأفلام الأميركية، حيث يمكنها أن تعمل بدوام جزئي، وتلتحق بالجامعة بالوقت نفسه، وسيكون عندها صديق دائم تعيش معه في شقة واحدة، ويتقاسمان جميع المصاريف، حتى إذا نجحت علاقتهما، فقد ينتهي أمرهما بالزواج من دون ضغوط اجتماعية ومفاهيم مسبقة بالية عن الخطبة والزواج. كانت هذه هي الطريقة الوحيدة القادرة على تخليصها من هذا العالم الرجولي الذي تعيشه في لبنان، لكن قدرها لم يسعفها، كل ما عليها الآن أن تجد العريس المناسب لتتزوجه.

ذهبت مع ابنة عمتها نهاد لمقابلة الشيخ من أجل أن يعمل تعويذة ليربط بها وائل، ويجبره على التقدم مسرعاً لخطبتها. طلب منها الشيخ أن تدفع له خمسمئة دولار قبل بدء الجلسة، لكنها أخبرته بصراحة.... بأنها لا تملك حالياً سوى مئتين وخمسين دولاراً.... وعندما يتقدم وائل

إلى خطبتها سوف تستدين من صديقتها، لتعطيه المبلغ كاملاً. في البداية رفض الشيخ أخذ هذا المبلغ، فتدخلت ابنة عمتها بالنقاش، وأقنعت الشيخ بقبول هذه الدفعة الأولى على الحساب، وعدته بأنها ستكون هي المسؤولة عن تأمين الدفعة الثانية، بعد أخذٍ وردٍ، وافق الشيخ على أن يقوم بهذه العملية، فطلب منهما أن ترجعا إلى منزله بعد ثلاثة أيام، ومعهما صورة حديثة لوائل لاستخدامها أثناء استحضار الجني خادم الشمعة، كانت قد التقطتها بوساطة هاتفها الجوال من على صفحته بالفيسبوك، بعدها أخذت هاتفها الجوال إلى دكان المصور القريب من منزلها، قام بوصل هاتفها إلى الطابعة الموجودة عنده، وحصلت بعدها فوراً على ست نسخ ورقية مطبوعة من صورة وائل، إن تقدم التكنولوجيا في هذه الأيام سهّل وعقّد من طبيعة حياتنا اليومية في الوقت نفسه.

رجعت سلمى وابنة عمتها إلى بيت الشيخ بعد ثلاثة أيام، أدخلهما إلى غرفة صغيرة عارية من الأثاث، وفي منتصفها طاولة خشبية مستديرة من الخشب الأسود، لا يزيد ارتفاعها على أربعين سنتمتراً، وقد غطت نافذتها الوحيدة الموجودة بالغرفة ستارة سوداء، لكي تمنع ضوء النهار من الولوج إلى داخل الغرفة، جلس الشيخ على أرضية بلاط الغرفة وحوله على المائدة سلمى وابنة عمتها، أعطته سلمى صورة وائل واسمه واسم أمه، أخرج من جيبه شمعة حمراء قاتمة، طولها حوالي خمسة عشر سنتمتراً ذات أربعة وجوه، رفع إبرة عمياء من النحاس الأصفر، وأخذ يحفر على الشمعة بالمقلوب اسم سلمى واسم أمها على أحد وجوه الشمعة، ثم حفر على الوجه المقابل اسم وائل وأمه، ثم بدأ يحفر كلمات أجنبية غريبة لا تعرفها على الوجه الثالث من الشمعة، بعد أن انتهى من كتابة هذا الطلسم، انتقل إلى الوجه الرابع من الشمعة، وكتب عليه باللغة العربية ميمون، وهو اسم الجني الذي كلفه مهمة التسلط على وائل، حتى يجلبه إلى سلمى ويجعله عبداً لها، ثم أخذ صورة وائل ووضع عليها بعض البخور والفلفل الأسود وأشعلها، أثناء

ذلك قام وأطفأ اللمبة المضيئة بالغرفة، فساد نوع من الظلام الخفيف أرجاء المكان، أشعل الشمعة، وبدأ يتمتم بأحرف عربية ويكررها لعشرات المرات، ثم يعود ليقسم على الجني ميمون ليحضر هذه الجلسة، أغلقت سلمى عينيها كما طلب الشيخ منها، وبدأت تركز على رغبتها في الزواج من وائل، فالشمعة ترمز إلى روح الإنسان، وترمز إلى الارتباط بين البشر، إن عليها ألا تشتت تفكيرها بأمور ثانوية، ويجب أن تركز كل تفكيرها على وائل، بعد أن خلصت الشمعة وذابت راح نورها، أكد عليها الشيخ أنه خلال بضع ساعات ستلاحظ تغيرات في تصرفات وائل نحوها، وخلال أسبوعين سيتقدم لخطبتها، فشكرت الشيخ على هذه الخدمة العظيمة التي قدمها لها، وأكدت له أن بمجرد خطبتها من وائل ستعود لتدفع له المئتين والخمسين دولاراً الباقية له في ذمتها.

جاء اليوم التالي، وذهبت سلمى إلى عملها، كانت تتوقع أن تشاهد وائل يتقدم بسرعة ليتودد إليها، لكنها لاحظت وهي لا تصدق عينيها بأن وائل كان منشغلاً عنها، ولم يأتِ لزيارتها في مكتبها، انتظرت فترة، لكن وائل استمر في تجاهلها، لقد طوى في عقله صفحة علاقتهما، باحثاً عن علاقة مؤقتة عابرة من دون التزامات، يكون فيها العنصر الأساسي هو المظهر، ومن ثمّ الإثارة التي تبعثها خاصة الفتيات الصغيرات، فروح الشباب تجذب الرجال من كل الأعمار، وفيما يتعلق بوائل فإنّ أي علاقة مع البنت يجب أن تؤدي إلى الجنس بنهاية الأمر، بينما كانت تبحث سلمى في تماس عاطفي يؤدي بالنهاية إلى الزواج.

تهاوت أحلامها، وعرفت أن الشيخ قد خدعها ونصب عليها، وأخذ مئتين وخمسين دولاراً منها، قررت أن تذهب بمفردها إلى بيته لاسترداد هذا المبلغ، عندما قرعت الجرس فتح الشيخ الباب، وأدخلها إلى الغرفة الصغيرة التى تمت فيها جلسة الطقوس السحرية، باشر الشيخ حديثه من دون مقدمات، ليخبرها بأن الجني ميمون قد أخبره بأنه لم يتمكن من التسلط على وائل، لأنه شخص معقّد وعنيد، إن الطريقة الوحيدة

والأكيدة لجلب وائل هو اللجوء إلى السحر السفلي، وسيختار من بين الشياطين الذين يعيشون تحت الأرض واحداً من أكثرهم بطشاً وقوة للسيطرة على وائل، وإن النتيجة مضمونة مئة بالمئة، لكن لابدّ من لقاء جنسي بينها وبين الجني القادم من العالم السفلي عن طريقه، حتى يتم تفعيل السحر، اندهشت سلمى وخافت من سماعها لهذا الكلام، فغادرت بيت الشيخ فوراً، قبل أن تخسر عذريتها إضافة إلى مبلغ المئتين والخمسين دولاراً، فحينها قد يكون من الصعب عليها حتى الحصول على عريس.

ظهر المذيع على شاشة التلفزيون، وطلب من وائل أن ينزل فوراً إلى مدخل البناية، ومعه سكينه المدببة، ليقترب من سيارة البيجو الرمادية الواقفة عند مدخل البناء المجاور، وبعد أن يتأكد من عدم وجود أي شخص في هذه المنطقة، يقوم بتمرير رأس السكين المدبب على كامل طول الجانب الأيمن للسيارة، ليحزها وليستيقن من أن دهانها أصبح مخدوشاً بشكل ظاهر، بعدها عليه أن ينتقل إلى الجهة اليسرى من السيارة، ليقوم بخدشها بالطريقة الأولى، بحيث يصبح طرفا السيارة متناظرين، ثم يعود بخفة إلى غرفته، من دون أن يلاحظه أحد من الجيران.

نجاح وائل في مهمته أعطاه متعة داخلية غريبة، خلصته من كل المخاوف الوهمية التي كان طول عمره يعانيها، في كل خطوة يخطوها أثناء تنفيذ مهمته تزداد ثقته بنفسه، ويزداد احترامه لذاته، لذة غريبة تعتريه وهو يتحرك في عالمه الخاص، بعيداً من أجواء الوظيفة التقليدية، لقد تحدى جميع الأفكار السلبية التي كانت تراوده عن عدم قدرته على القيام بالأعمال الصعبة، إن شعوره بالفشل من عدم استطاعته إكمال دراسته الجامعية، أخذ بالتلاشي، إنه شخص فريد، وله قيمة ويستحق الرضا عن نفسه، وهذا ما حدا بالمذيع لأن يختاره من بين جميع الأشخاص.

إن الحديث مع النفس دلالة على اكتمال العقل ويؤدي إلى رفع معنويات الشخص ولو بشكل كاذب، لكن الشيء الوحيد الذي يزعجه في الوقت الحاضر تدهور أحوال أخته الصحية، تمنى في هذه اللحظة، لو كان معه المال اللازم لينقلها للعلاج في أحد المستشفيات الخاصة المميزة، لتتمكن من زيادة عدد جلسات الغسيل الكلوي إلى ثلاث جلسات، إن المستشفيات الخاصة تحولت من منشآت لتقديم الخدمات للمواطنين بأسعار معقولة إلى مؤسسات تجارية، همها تأمين أكبر قدر من المال بأسرع ما يمكن لأصحابها الذين يستغلون هوس المواطنين من المستشفيات الحكومية، لمعرفتهم بوجود نقص في خدماتها وتجهيزاتها، ربما عليه في المستقبل بعد أن تتوطد صداقته بالمذيع، أن يطلب منه أن يساعده مادياً، للتغلب على الكثير من المشكلات التي يعانيها.

استيقظ من نومه نشيطاً على غير عادته، قرر أن يكافئ نفسه، وألا يذهب للعمل في هذا اليوم، عليه أن يمارس شيئاً يستمتع به، إنّ عليه أن يدلل نفسه، وأن يتوقف عن مقارنة نفسه بالآخرين، وقرر أن يفتح الإنترنت، ويتفقد أحد المواقع الإلكترونية التي أعطاها إياه أحد أصدقائه منذ فترة طويلة. في بداية الأمر، اعتبر أنه لا يمكنه ممارسة الجنس بهذه السهولة في بيروت، وأن المسألة قد تكون مجرد مزحة من صديقه، فالموقع ربما كان مزيفاً ولا وجود له، ولكن لما فتح الموقع، وجد صوراً لعدد من الفتيات نصف العاريات، وبجانب كل صورة رقم باللغة الإنكليزية، ثم قام بطلب رقم الهاتف الذي وجده على الويب سايت، اتصل بالرقم وفوجئ بالرد من رجل، فهم من مجرى المحادثة بأنه القواد المسؤول عن تلك الفتيات، طلب منه أن يرسل إليه الفتاة رقم خمسة إلى عنوان غرفته، ولكنه لم يصدّق أذنيه عندما أخبره القواد بأن عليه أن يدفع أربعمئة دولار مقابل تمضية ساعتين معها. استكثر هذا المبلغ واعتبره سرقة في وضح النهار، ولكي ينهي هذه المكالمة، عرض عليه مئتي دولار، ولشدة استغرابه، وافق القواد مباشرة على هذا المبلغ،

إن إشباعه لغريزته الجنسية لا مفرّ منه في هذه الحياة، لكن أوهامه وخيالاته الخاصة تتسلط عليه، وتمنعه بأن يشبع نزواته بالطريقة الطبيعية السليمة بالزواج، متوقعاً بأن ممارسة الجنس معها ستكون متنفساً له من ضغوط الحياة الكبيرة التي تعرض لها بالأسابيع الأخيرة.

لم يمضِ أكثر من ساعتين حتى قُرع الجرس، عندما فتح الباب وجد نفسه أمام القواد ومعه البنت رقم خمسة، دفع للقواد مئتي دولار، فانصرف تاركاً البنت في عهدته، نظر إلى البنت فلم تكن جميلة بقدر صورتها على شاشة جواله، لاشك أنه قد تم التلاعب بصورتها بوساطة استخدام برنامج الفوتوشوب من شخص محترف، لقد تم تفتيح بشرتها وتصفية بشرة وجهها، وإزالة النمش الموجود عليه، كما تم تعديل شفايفها لتصبح ممتلئة مثل مشهورات هوليوود، ومن تقاطيع وجهها كانت تبدو بالعشرينات، لكن الأهم من كل هذا، أنها ما زالت نحيفة وقصيرة وناعمة، ولها صدر صغير مكتنز ومشدود، مثل نوع النساء اللواتي كان ينجذب إليهن في أيام المراهقة. على الجانب الآخر فهو دائماً يريد أن يكون مسيطراً خلال علاقاته الجنسية، ويتصور أن ذلك أسهل إليه مع البنات الصغيرات، إضافة إلى أنه سيكون قادراً على الاستمتاع بنضارتها.

دخلت الغرفة وحدها، وجلست على الأريكة المتهالكة، نظرت حولها فشاهدت سريراً قديماً في زاوية الغرفة، وبجانبه خزانة رخيصة ذات درفة واحدة، وفي الزاوية المقابلة هناك تلفزيون مستهلك قديم، تواجهه كنبة ضيقة بالكاد تتسع لشخصين، لمحت من خلال باب المطبخ المفتوح أشياء وتجهيزات غريبة، ذكرتها بالمناظر التي كانت تشاهدها عندما تذهب إلى المخبر الطبي، لكن على الرغم من منظر البيت الكئيب، فإن رائحة النظافة كانت تنبعث من كل زاوية منه، فأحست بنوع من الخوف والفضول من هذا الزبون الذي تتعرف عليه لأول مرة، وتحت عامل الرهبة من الموقف تصورت بأن عليها أن تسايره من دون تحفّظ لتلبية رغباته المنحرفة.

شعرت خلال علاقتهما بأنه يبحث عن العطف والإثارة مثل طفل صغير، ولم يكن عنده تخيلات جنسية ليطلبها منها مثل أكثر زبائنها، لقد شعرت بالارتياح معه، بعد أن شعرت بعفويته واحترامه لها، وأثناء تناولها فنجان القهوة وهي تدردش معه، تطرقت إلى حياتها الخاصة، فهي تعيل أمها وأخاها الصغير، وكيف أنها كانت قد تقدمت للحصول على عمل، فعرض عليها القواد الذي يشغلها الآن فرصة للعمل براتب مغرٍ كسكرتيرة له، وبعد أن غرّر بها ووعدها بالزواج نام معها وفضّ بكارتها، وأخذ يؤجل مواعيد خطبتها، ثم هددها بأخبار أهلها، عندما رفضت طردها من عملها، وأدركت بأنها أصبحت بالشارع وغير صالحة للزواج، وعدها بأنه بعد أن تنتهي من العمل لديه، سيجري لها عملية ويعيدها عذراء لتتابع حياتها الطبيعية من جديد ومعها مبلغ محترم من المال يساعدها على أن تبدأ حياتها من جديد. إن حاجتها للمال نظراً لظروفها الصعبة هي العامل الرئيس الذي يمنعها من التوقف على ممارسة هذه المهنة، فالقواد يستحوذ على فتاته بطرق عديدة، حتى يوصلها إلى عالم المخدرات، فتصبح مثل الخاتم في أصبعه.

لاحظت بأن وائل كان ينصت بهدوء شديد إلى حديثها، شعرت بطيبة هذا الرجل الذي يختلف عن بقية الرجال الذين عاشرتهم في حياتها، تكلم وائل وحدثها عن حياته الخاصة، وعن طبيعة هذا العالم الفاسد الذي تقوده الحكومة الخفية، التي تحاول تجويع الناس للسيطرة عليهم، إن على البشر أن يتحركوا قبل فوات الأوان. وعدها بأنه سيحاول أن يؤمن لها بالمستقبل مبلغاً شهرياً من المال، لكي تتوقف عن ممارسة الدعارة، لم تكن عندها الشجاعة لتسأله كيف سيكون بإمكانه تأمين هذا المبلغ، بعد أن شاهدت بعينيها غرفته الصغيرة وفرشها الرث القديم، الذي لم يُبدّل لسنوات طويلة، ومن معرفتها بأنه موظف صغير بدائرة حكومية، بعد أن أمضت ساعتين معه أعطته رقم هاتفها الخاص، ليتصل معها من دون معرفة قوادها. غادرت غرفته، معتقدة بأنها تعرفت لأول مرة على رجل شهم، قد يمكنها بالمستقبل بأن تعتمد عليه.

ذهب وائل إلى عمله في اليوم التالي، وأخبر مديره بأنه كان مشغولاً مع أخته بالمستشفى طوال نهار البارحة، لذلك لم يتمكن من الحضور إلى مكتبه، كان المدير يدرك مدى حرص وائل على وظيفته، نظراً لأحواله المادية الصعبة، وهو معجب بذكائه وثقافته العالية، لكن مشكلته الرئيسة تكمن في عدم قدرته على التركيز في عمله، ولعل ذلك يعود لأن عمله البسيط، أقل بكثير من إمكانياته الفكرية، تعاطف المدير مع وائل، فاقترح عليه أن يأخذ إجازة لمدة يومين، ليبقى بجانب أخته المريضة، لكن وائل طمأنه بأن الأمور قد تحسنت، وأن أحوال أخته الصحية أصبحت على ما يرام، هذه الكذبة الصغيرة شتتت تفكير وائل، وأعادت خلط مفاهيم الصواب والخطأ في عقله، فبينما هو يسعى للمثالية في هذا العالم الذي يعيش فيه، يجد نفسه متورطاً في خطيئة الكذب التي يكرهها، إن خوفه من أن يفقد عمله دفعه إلى ارتكاب هذه المعصية. في واقع الحياة، إن الأفكار المثالية هي دائماً صحيحة، مادامت لا تتعارض مع مصالحنا الشخصية.

جلس في تلك الليلة كعادته على شاشة التلفزيون، ينتظر ظهور المذيع، في الساعة الثالثة تماماً أطل المذيع، وطلب منه أن يذهب في اليوم التالي بعد انتهاء الدوام إلى سوق الحرف، للبحث عن مطرقة صغيرة تستخدم عادة لدسر المسامير، يجب أن يكون مقبضها من الخشب، وطوله بحدود الثلاثين سنتمتراً، لكي يتمكن من دسها تحت سترته من دون أن يلفت الانتباه، كما يجب أن يكون رأسها الحديدي كبيراً نوعاً ما، ليساعده على تحطيم الأجسام القاسية. عليه أن يتأكد عندما يمسكها بيده أن تركيز معظم وزنها يأتي من رأسها الحديدي، كما يجب بأن يحسّ بهذه المطرقة وهو يمسك بها، ويشعر بشعورها لكي تصبح امتداداً ليده، على المطرقة أن تتناغم مع حركة يده وطبيعة الجسم الذي ستُصدم به، لتساعده للوصول إلى الأشياء التي يريد تحطيمها، فقط عندما يجد هذه المطرقة، عليه أن يقوم بشرائها، لأنها ستكون شريكته المخلصة في المستقبل.

اشترى المطرقة فأحسَّ بأنها أصبحت جزءاً منه، وجلس لا يطيق الانتظار، متلهفاً لمشاهدة المذيع على شاشة التلفزيون. استلقى على الأريكة، وشرد في أحلام اليقظة التي تعود على ممارستها منذ صغره، لقتل الوقت والتخلص من حالات الملل والضجر التي لا تنتهي، سامحاً لنفسه بأن يعيش أفكاره الغريبة، التي من المحال أن تتحقق على أرض الواقع. استرسل في تأملاته الخيالية وهو في كامل يقظته، محاولاً إشباع هذه الرغبات التي قمعت وكبتت في أيام طفولته من أبيه، متذكراً التجارب التي مرّ بها طوال حياته، مهيِّئاً نفسه للأحداث المستحيلة التي ستقع في المستقبل القريب، إنه يؤمن بأن هذه الأحلام، هي أسرع وسيلة لقتل الوقت وإدخال البهجة إلى نفسه.

توجه كعادته في اليوم التالي إلى عمله، رأى أن سلمى قد زادت من اهتمامها بمظهرها، فهي ترتدي ثوباً أخضر ضيقاً، يبدي جميع مقاييس جسمها، وتبرز من خلاله استدارة نهديها الصغيرين. أسدلت شعرها الأسود الحالك على كتفيها، لاحظ أنها قامت بصباغة لون شعرها باللون الأسود القاتم، ليتنافر مع لون بشرتها البيضاء. أدام النظر إلى جسدها، وقارنها مع بائعة الهوى مايا التي تعرّف عليها منذ يومين، إنه جازم بأن اسم مايا، هو اسم مستعار اختارته لتعطيه لزبائنها، إن استعمال الأسماء المستعارة أصبحت ظاهرة متفشية في الوسط الفني، بحيث يمكن للبنت أن تمارس نشاطها من دون خوف بأن يعرفها أحد من معارفها، ولتتفادى المتاعب من الأهل والشرطة، لعل اختيارها لاسم مايا، منبعه بأنه اسم جميل ومشهور، ويرمز إلى التفاؤل، ما يدل على إقبالها على الحياة واستبشارها بالمستقبل.

وصلت مايا بالتاكسي إلى شقته حسب الموعد، ذهبت مباشرة إلى الفراش، وخلعت ملابسها، لأنها تعرف بأن عليها مغادرة منزله بعد أقل من ساعة، لم يستحسن وائل هذه الحركة، لأنه ظن بأنها بدأت تتعلق به، ودَّ لو يستطيع أن يجلس معها ويشرح لها حقيقة ما يجري في

هذا العالم، لكنه لما شاهدها عارية في الفراش نسي الموضوع، وأغراه جسدها، وسيطرت عليه شهوته، وتحول إلى إنسان عادي، همه إشباع غريزته الجنسية، ناسياً نظرية السمو الأخلاقي التي طالما تحدث عنها مع أصدقائه، بعد أن انتهت من مهمتها، أخذ حقيبتها ودسّ فيها مئة دولار، متصوراً أن هذا المبلغ أكثر مما تستحق، أحس بمدى حقارتها وهي تغادر الغرفة، عاهد نفسه، بأنه لن يتصل معها مرة ثانية، فكّر أنه من الأفضل على كل الأحوال، بألا تحضر إلى شقته في الأيام القادمة، لأنه لو حدث ورأتها صاحبة البيت، فستعارض زواجه من ابنتها.

جافاه النوم تلك الليلة، وهو يتقلب من القلق في سريره، ربما أن صاحبة بيته، قد لمحت مايا وهي تغادر المبنى، عندما حان موعد دفع إيجار الشقة، ذهب كعادته إلى بيت مالكتها، وخلال دردشته معها، انتهز الفرصة ليخبرها، بأن له عمّاً يعيش في أستراليا بمدينة ملبورن، وقد توفي منذ خمسة أشهر، وهو غير متزوج، وليس عنده أولاد، إنه وأخته هما الوريثان الوحيدان له، لقد وكلا محامياً في مدينة ملبورن لتصفية ممتلكات المرحوم، ما قد يجعله مضطراً بعد شهر للسفر إلى أستراليا لحضور جلسة المحكمة المكلفة تصفية ممتلكات عمه، متوقعاً أن تكون حصته من هذا الإرث بحدود ثلاثمئة ألف دولار، فوجئت المرأة من هذا الخبر، فهي تسمعه منه لأول مرة، خطر لها أن تستغل هذا الموضوع، عرضت عليه أن تبيعه غرفة السطح التي يسكن فيها، على أن يقوم خبير مختص بالعقارات بتخمين سعرها، فوعدها بأنه سيفكر بالشراء من بعد عودته من أستراليا، بينما هو يصعد الدرج شعر بنشوة عارمة تعتريه، لا شك أن قصة ثروته أثارت اهتمامها، فباشرت تفكر وتخطط لكي تزوجه ابنتها الشقراء الجميلة، وهذا ما يفسر لماذا عرضت عليه أن يشتري الغرفة التي فوق بيتها، لكي تضمن أن يعيش مع ابنتها بالقرب منها، إن كيد النساء عظيم.

لا يتوقف وائل عن خلق الدهشة إلى كل من حوله، خال أنه بهذا

الحديث مع صاحبة غرفته، قد جعل الطريق سالكاً لزواجه من ابنتها، أعطاه شعوره بالنجاح الثقة بنفسه من جديد، وأنه آن الأوان له ليعتني بمظهره الخارجي، ذهب في نهاية عطلة الأسبوع إلى سوق البالة في حي اللجا في بيروت، حيث يبيعون الملابس الرجالية المستعملة ذات الماركات العالمية بأسعار معقولة، لقد ازدهرت تجارة الألبسة المستعملة في لبنان في الفترة الأخيرة نتيجةً لسوء الوضع الاقتصادي وتراجع القدرة الشرائية لمعظم اللبنانيين، وهي ليست مقصداً للفقراء فحسب، بل يرتادها كثير من أصحاب الدخل العالي، لأنهم يجدون فيها الملابس ذات الماركات المشهورة، التي تجدها نفسها متوافرة في واجهات أفضل الدكاكين في شارع الحمراء.

أمضى أكثر من ثلاث ساعات في البحث، حتى وجد بدلة رجالية رمادية غامقة اللون مناسبة لمقاسه، اختار لونها الرمادي، لأنه يقف على الحياد بين كل الألوان الأخرى، ما سيساعده على ارتدائها في كل المناسبات، كما اشترى حذاء أسود في حالة ممتازة مع حزام أسود وقميص أبيض، لقد حصل على مبتغاه، فهو يكره التباين بالألوان، ويحب الظهور بلون واحد، لأنه يعطيه نوعاً من الرصانة والغموض، فهو بطبيعته أحادي اللون والتفكير، سيكون لهذه البدلة سحر خاص على مايا، وسيلفت انتباهها، إنها لا تجعله يظهر بشكل أنيق فحسب، بل تجعله يبدو أكثر ذكاء ورصانة، لقد صرف أكثر من ثلاثمئة دولار في هذه الصفقة، وبقي كل ما معه مئة وعشرون دولاراً فقط، لم يعد قلقاً في هذه الأيام بخصوص النقود. فالمذيع سيساعده دائماً على إيجاد الطرق الجديدة، للحصول على مزيدٍ منها.

التفكير بجسد مايا يعطيه الشعور بالإثارة والنشاط، ولعل ذلك يعود إلى زيادة إفراز هرمون التستوسترون في جسمه. وجد نفسه مسوقاً من جديد للاتصال بهاتف مايا، فجاءت إلى منزله من دون تردد، لقد بدأت تنجذب إلى شخصيته الغريبة، وتتصور بأنه الشخص الوحيد القادر على

إنقاذها من هذا الوضع المأساوي الذي تعيشه، عندما همت بالمغادرة حاول أن يدس في حقيبتها خمسين دولاراً. لكنها رفضت أن تأخذها، على الرغم من أنها تعرف بأن السبب الرئيسي لقبولها بالمجيء إلى بيته في كل مرة هي النقود. لقد استمتعت بعلاقتها الجنسية معه، وتغيّر ترتيب أولوياتها من دون أن تدرك أن رفضها لأخذ النقود منه، جعله منتشياً من موقفها، وتأكد من أنها تمارس الجنس معه لإعجابها به، وتمنى في تلك اللحظة لو أنه كان غنياً، ليتمكن من الإنفاق عليها، لتتوقف عن ممارسة مهنتها، وليصونها عن الزبائن الآخرين.

قرر أن يقطع إجازته، ويجلس في هذه الليلة أمام شاشة التلفزيون، ليشاهد المعلم، لعله يكلفه ببعض المهمات الجديدة التي يمكنه أن يحصل منها على مبلغ كبير من المال.

ظهر المعلم على الشاشة، بعد أن هنأه على نجاحه في مهمته الأخيرة، أخبره بأن أحوال أخته الصحية ستأخذ بالتدهور خلال الأشهر الثلاثة القادمة، وأنها ستضطر لإجراء عملية زرع كلية جديدة، وعليه منذ الآن أن يفكر بإيجاد المتبرع الذي يمكنه إجراء الفحوصات الطبية عليه، من أجل زيادة احتمالات نجاح عملية الزرع لأخته، كما أن عليه أن يؤمن مبلغاً كبيراً لشراء هذه الكلية لها، سمع ذلك بذهول، ولم يصدّق أذنيه، لأنه يعلم جيداً، بأن المذيع قادر على أن يعرف كل شيء عن المستقبل، لكن أصابه التردد في قبول نبوءته، لأنه منذ يومين كان في زيارة أمه، وشاهد أخته بحالة طبيعية، وقد تحسنت صحتها كثيراً عن السابق، واستعادت لونها الطبيعي، حاول أن يصرف هذه الفكرة عن رأسه، لكن الذي أزعجه فعلاً، أن المذيع لم يتطرق إلى عملية جديدة تمكنه من الحصول على مزيد من النقود.

الفصل الثالث

تأكدت سلمى بأن وائل لم يعد مهتماً بها، وهو بالكاد يتكلم معها أثناء ساعات الدوام بالوظيفة، ولا يختلس النظرات إليها، كما كان يفعل بالماضي، وهو غالباً ما يجلس مع سعيد في مكتبهما طوال فترة الدوام، على الرغم من أن سلمى لا تستطيع أن ترى أي قواسم مشتركة بينهما، توصلت إلى نتيجة بأن وائل على علاقة مع امرأة ثانية، تعطيه الجنس، لأنه لم يعد يبالي بها، فكرت لو أنها سايرته، وذهبت معه إلى غرفته لربما كان قد تغير الأمر، نزعت هذه الأفكار من رأسها، بدأت تفكر بطريقة جديدة لتعيد وائل إليها، إنها لم تتعود منذ صغرها بأن تتحمل مسؤولية نفسها، درجت بأن تلقي بجميع المشكلات التي تصادفها وتحملها لمن حولها، إن أسرع وسيلة للتخلص من عتاب أهلها، لعدم زواجها حتى الآن هو البحث عن ساحر شاطر قادر على إعادة وائل إليها.

فتحت الإنترنت، وجلست تبحث في المواقع عن أسماء الأشخاص القادرين على إعادة الحبيب وفك المربوط، فهالها هذا الكم الكبير من عدد عناوين السحرة الموجودين على الإنترنت، اختارت من بينهم عنوان امرأة، كتبت في إعلانها بأنها قادرة على ردّ الحبيب خلال أسبوعين،

وأنها لن تتقاضى أي مبلغ من الزبونة، إلا بعد أن يعود حبيبها إليها خاضعاً ذليلاً. ذهبت مع ابنة عمتها نهاد إلى عنوان هذه الشيخة الموجود على الموقع، بعد أن دخلتا إلى غرفة معتمة تفوح منها رائحة البخور، جلستا على الأرض حول طاولة مستديرة، أمسكت الشيخة بيد سلمى، فتحت كتاباً مملوءاً بالطلاسم، وبدأت تقرأ منه على زجاجة مملوءة بالماء موجودة أمامها، بعد انتهائها من القراءة، أعطتها الزجاجة، وقالت لها: في هذه الليلة قبل ذهابها إلى النوم عليها أن تشرب قليلاً من هذا الماء وتغتسل بالباقي، حتى يتّحد روح الطلسم بروح جسدها، أكدت أنها ستحاول مساعدتها لوجه الله سبحانه وتعالى، ولن تتقاضى منها أي قرش قبل أن يعود إليها حبيبها، أعطتها موعداً لتراجعها بعد يومين، حتى يكون السحر قد أخذ مفعوله.

انتظرت بلهفة انقضاء هذين اليومين لتعود لزيارة الشيخة، جلست في الغرفة المظلمة التي تفوح منها رائحة البخور، أمسكت الشيخة بيدها، وأخذت تتصفحها بتمعن، ثم قالت لها: إنها مصابة بالعين من حاسدة من قريباتها، وإنه قبل تكليف قرين حبيبها بجلبه إليها، لابد من فك عقدة سحرها، إنها بحاجة إلى حفلة زار صغيرة تحضرها مع ابنة عمتها، تقوم فيها الشيخة بتقديم ماعز أسود صغير قرباناً للسادة، ليساعدوها على إبطال السحر، وإنها لن تتقاضى منها سوى ثمن هذا الماعز الأسود الصغير، وهو بحدود الثلاثمئة دولار. انصدمت سلمى لسماعها بهذا المطلب الجديد، من الشيخة، توجست في داخلها بأن هذه الشيخة محتالة، وهي تريد أن تنصب عليها كما فعل الشيخ السابق، فأخبرتها بأنها لا تحمل هذا المبلغ في حقيبتها، وسترجع إليها بعد أن تؤمن الثلاثمئة دولار، ثم غادرت البيت وهي عازمة على ألا تعود إليه مرة ثانية، إنها ليست غبية إلى الدرجة التي تسمح فيها لكل شخص دجال باستغلالها، لابد من أن هناك طريقة ثانية لاستعادة وائل.

عاش وائل حياته من جديد مع مايا، التي تعودت على أن تتردد على

غرفته بانتظام، وبدأ يتثاقل بالاتصال بالمعلم، متخدراً بعلاقته الحميمة معها، فهي لا تعطيه جسدها فقط، بل غالباً ما تُحضر معها، وهي قادمة إلى بيته، وجبتين سريعتين من ماكدونالد، مع زجاجة ويسكي من نوع الجيد، لقد أصبحت شريكته غير المباشرة في مصروف البيت. أحسّ أنه لم يعد تحت ضغوط مالية كبيرة، حتى إنه لما احتاج إلى مبلغ خمسمئة دولار عندما تدهورت حالة أخته الطبية واحتاج إلى شراء بعض الأدوية، لم تتردد مايا ولو للحظة واحدة في إعطائه هذا المبلغ، تحاول أن تكون سنده وشريكته في هذه الحياة القاسية التي يعيشها، لكي تقنعه بالزواج منها، على الرغم من المبلغ الكبير الذي تجنيه من عملها في كل يوم، فإن قوادها يحصل على أكثر من ضعف هذا المبلغ، وهو يتلاعب بها، ويسلبها الإكراميات التي تحصل عليها أحياناً من بعض الزبائن، فوق هذا كله، فإنه يجبرها على أن تمارس الجنس معه.

ازدادت كراهية وائل لهذا القواد الذي يستغل مايا بهذا الشكل البشع، إنه كالحشرة التي تعيش متطفلة على امتصاص دماء الآخرين، هناك أشخاص كثيرون موجودون في هذا العالم دون الحاجة إليهم، إنهم مثل الأغصان اليابسة الميتة على جذع الشجرة، لابد من تقليم الشجرة وتخليصها من فروعها الضعيفة لتقويتها وتجديدها، إن صورة القواد مازالت ماثلة بوضوح في عينيه، وهو مازال يتذكره لما أحضر مايا إلى غرفته للمرة الأولى منذ أكثر من شهر، وأخذ منه مئتي دولار، من النظرة الأولى ترك انطباعاً سيئاً لديه، أصدر حكمه بكراهيته لهذا الشخص، لعل ذلك عائد إلى منظره وطريقة كلامه، واختياره لألوان ملابسه.

باشر بتجميع المعلومات حول هذا القواد، استوضح من مايا بطريقة غير مباشرة عن تحركاته، ومرافقته لها في كل ليلة، لتوصيلها إلى زبائنه. في إحدى المرات، بينما هي جالسة معه قفزت من مكانها، وقالت إنها تأخرت عن موعدها، إن عليها أن تذهب مباشرة إلى غرفتها لتستحم وتتزيّن، فإن قوادها سيحضر في الساعة العاشرة، ليصطحبها إلى شقة

اعتادت التردد إليها كل يوم خميس بالطابق الخامس في بناء فخم بحارة حريك، سألها عن عنوان البناء بالتفصيل، استغربت من طبيعة سؤاله، لأنه لم يعتد التدخل بتفاصيل عملها، حاولت أن تميّع الموضوع، لكنه ألحّ على معرفة العنوان، وبما أنها غير راغبة في إغضابه، فلقد أعطته العنوان، معتقدة أنه يغار عليها، لمعرفته بأن هناك شخصاً آخر يشاركه فيها، الغيرة بدأت تنهش قلبه، وهو واقع في غرامها، من الأكيد أنه سيطلبها قريباً للزواج.

دخلت شقة زبونها، استلم قوادها الألف دولار، واتجه بوجهه إلى المصعد مغادراً البناء، بعد حوالي ساعة، وبينما هي مستلقية عارية في السرير تلاطف صديقها، سمعا جلبة قادمة من مدخل البناء، فشعرت بالخوف، وخطر لها، أنه ربما قام أحد الجيران بإبلاغ الشرطة الأخلاقية، بأن هناك امرأة مشبوهة، في الشقة بالطابق الخامس، ارتدى زبونها ملابسه بسرعة ونزل إلى مدخل البناء، عاد بعد عشر دقائق ليخبرها بأن أحد سكان البناية لما فتح باب المصعد ودخل إليه، وجد رجلاً ممدداً بالمصعد، غارقاً في دمه، وقد سال الدم من أنفه، يبدو أنه تلقى صدمة قوية على رأسه، ربما من باب المصعد الذي انغلق فجأة على رأسه، وهو يهمّ بالدخول إليه، فاستدعى الجار الشرطة، وهي تقوم الآن بالتحقيق بالأمر، لقد أخذت إفادة الشخص الذي استدعاها، وإفادة ناطور البناء، عليها ألا تقلق من هذه الحادثة، عليها أن تسترخي وتبادله الحبَّ، وأن تتركه يستمتع بجسدها، غداً قبل الظهر ستغادر شقته بهدوء، لكيلا تلفت أنظار سكان العمارة إليها، لم تصدق كيف مضت تلك الليلة، غادرت بيت الزبون إلى منزلها، وكل خوفها وهي تغادر المبنى، من أن توقفها الشرطة وتسألها: لماذا هي موجودة في هذا البناء؟

جلست في منزلها بالمساء، تنتظر القواد ليعطيها الخمسمئة دولار التي استحقتها، مقابل قضائها الليلة الفائتة مع زبونها، لكنه لم يحضر كعادته في كل ليلة، ظنت أنه يحاول ألا يعطيها المال ويسرقها، كما يفعل في

بعض الأحيان، شعرت بالضجر من انتظاره، فارتدت ملابسها، وقررت أن تمضي ليلتها في بيت وائل، إنها بدأت تتعود عليه وتشتاق إليه، هناك أشياء كثيرة متطابقة بينهما، تسهم في خلق كراهيتهما المشتركة لهذا المجتمع الذي يقوم على استغلالهما لمصلحة الطبقة الغنية، حديث وائل الدائم معها عن توظيف جسدها لخدمة عملائها الميسورين، قد أيقظ حقداً نائماً في أعماقها، لم تكن تعرفه من قبل، لهذه الطبقة المترفة في المجتمع الذي تعيش فيه.

دخلت بيت وائل وهي معصبة، بدأت تشرح له كيف أن قوادها قد غدر بها، ولم يأتِ إلى شقتها ليعطيها حصتها البالغة خمسمئة دولار، لاحظت أن وائل لم يتأثر من حديثها، ولم يبدِ أسفه لخسارتها لهذا المبلغ، علق وائل على حديثها بقوله: ربما أخذ هذا المبلغ واختفى، ليمارس عمله من جديد في مكان آخر. شعرت بالخجل من نفسها، لإقحام وائل في هذا الموضوع، قضت ليلتها معه، محاولة أن تنسى حياتها المملة وغير السارة، بينما كان هو خلال ممارسته الجنس معها، يأمل بتخفيف شعوره المستمر بالاكتئاب، إن كل واحد منهما كان يمارس الجنس للهروب من واقعه بطريقته الخاصة.

اختفى القواد ولم يظهر مرة ثانية في حياة مايا، تصورت أنه كما قال وائل أخذ نقوداً ونقود بعض البنات اللواتي يعملن معه وهرب إلى مكان آخر، ليمارس فيه عمله من جديد، لكنها لم تكن مقتنعة بهذا التحليل، لأنها تعرف بأنه كان يحصل على مبالغ طائلة من تشغيله لها وللبنات الأخريات، قررت أن تستمر في ممارسة عملها بمفردها، أصبحت تعرف عدداً كبيراً من الزبائن، ولم تعد بحاجة إلى قواد لكي يستغلها ويبتزها، استعادت حريتها، وأصبحت تملك زمام أمرها، راحت تمضي أكثر أوقاتها بالمساء في بيت وائل، متوقعةً منه أن يطلب يدها للزواج في أي لحظة.

مضى أكثر من أسبوع ومايا تستمتع في كل دقيقة من حياتها، وكأنها تعيشها لأول مرة، لا ينغص من سعادتها سوى شعور وائل بالأسى، من

تطور مرض الفشل الكلوي عند أخته، فحالتها تزداد سوءاً مع مرور الوقت، أصبح العلاج البديل لغسل كليتيها، هو شراء كلية سليمة وزرعها في جسمها، وهذه العملية تحتاج إلى مبلغ كبير من المال، تمنت في هذه اللحظة، لو كان باستطاعتها أن تتكفل بتغطية نفقات هذه العملية، عرضت على وائل أن تعطيه كل ما معها في البنك من النقود، وهي بحدود عشرة آلاف دولار، لكن المبلغ يظل أقل بكثير من تكلفة هذه العملية، التي قد تكلف في لبنان مع شراء الكلية بحدود الخمسين ألف دولار، لقد نصحه الطبيب، إنه نظراً لضيق يده، فيمكنه أخذ أخته والسفر إلى الهند، حيث لا تتجاوز تكلفة هذا النوع من العمليات حوالي العشرين ألف دولار، لكن عليه أن يضع في حسابه بأن الخدمات الطبية في تلك المستشفيات، أقل بكثير من مستوى الخدمات الطبية المقدمة في بيروت، وبالتالي يكون احتمال نجاح هذه العملية أقل من مثيلاتها في المستشفيات في لبنان.

لم يعد أمامه بدٌّ، من أن يعود مرة ثانية إلى شاشة التلفزيون، ليترقب ظهور المذيع عليها، ليعطيه النصيحة التي يجب عليه أن يقوم بتنفيذها للخروج من هذا المأزق. في الليلة الأولى عندما بلغت الساعة الثالثة، جلس مشدوداً ينتظر إطلالة المذيع، مرت الدقائق ثقيلةً، ولم يتجلَّ المذيع على الشاشة، فذهب إلى فراشه وهو يشعر بالقلق، لعل المذيع قد هجره، لأنه قد توقف عن متابعته منذ أسبوع، في ليلة اليوم التالي جلس وحده خلف الشاشة مترقباً ظهور المذيع عند الساعة الثالثة تماماً، برز وجه المذيع، فشعر بفرحة عارمة، لقد كان يعرف سلفاً، أن المذيع لا يمكن أن يتخلى عنه.

طلب المذيع من وائل أن يشتري مسدساً روسياً من نوع ماكاروف مع كاتم للصوت، فهو متوافر بكثرة في السوق اللبنانية، سعره معقول، طلقاته من عيار تسعة ملمتر، ما يجعلها من أقوى الطلقات، يحتوي مخزن المسدس على ثماني طلقات، كان هذا المسدس بالذات هو النوع الذي يحلم به وائل منذ صغره، بعد أن شاهد ضابطاً روسياً في أحد

الأفلام يطلق منه النار على رجل يركض أمامه على مسافة بعيدة. لم يحسّ وائل بأي خوف من طلب المذيع، فهو من جيل الحرب الأهلية التي عصفت في لبنان، واستمرت حتى نهاية عام ألف وتسعمئة وتسعين، وشارك فيها بشكل غير مباشر، وعاش أدق تفاصيلها.

اتصل بصديق قديم له من أيام الجامعة، وبصعوبة تمكّن من الحصول على مسدس ماكاروف مع كاتم للصوت بألف دولار، النقود في هذه الأيام لم تعد مشكلته، أخذ المبلغ من مايا، اشترى المسدس وأصبح يشعر من جديد، بأنه أصبح امتداداً لجسمه، وقد أعطاه جرعة كبيرة من الثقة بالنفس، من السهولة الحصول على أي قطعة من السلاح في لبنان، لقد لجأ المجتمع اللبناني مؤخراً إلى استخدام العنف لحل جميع مشكلاته، حتى أصبح اقتناء المسدسات عادة عند أكثر الشباب، فالتغيير الاجتماعي الذي حدث بعد الحرب، أجّج العنف في داخل الشباب ودفعه بعيداً من الأنظمة والقوانين والتقاليد جراء تلك الضغوط الحياتية القاسية التي يعيشها.

في هذه الفترة ساءت حالة أخته من جديد، إن اكتشافها بإصابتها بالفشل الكلوي منذ سنتين كانت محطة لها، لتبدأ مرحلة المعاناة التي لا تنتهي، والتي ستمتد حتى نهاية عمرها، لقد أصبح الحل المؤقت، بأن يقوم بنقل أخته إلى مستشفى خاص، لتلازم أجهزة غسيل الكلى لمدة ثلاث ساعات في كل جلسة، أربع مرات أسبوعياً، وعليه أن يدفع مئة وخمسين دولاراً لكل جلسة غسيل من نقود مايا، من المفروض أن يتحرك بسرعة لتأمين زراعة كلية في جسم أخته.

جلس ينتظر ظهور المعلم على الشاشة ليعطيه الحل لهذه المشكلة المستعصية التي يواجهها، بعد قليل ظهر المذيع، طلب منه أن يجهز نفسه لعملية استيلاء بسيطة على صراف في قرية صغيرة نائية. اسمها عينطورة المتن، وتبعد عن بيروت حوالي ثلاثين كيلومتراً، عليه أن يذهب وحده، لدراسة موقع دكان الصرافة الذي يقع على أطراف هذه القرية،

وأن يتأكد من عدد الموظفين بالدكان، عليه أن يحسب لكل خطوة حسابها، لكي ينجح في مهمته السهلة، بعد أن انتهى المذيع من كلامه، انتابت وائل موجة من الحماس، لأنه وجد الحل لمشكلته، لم يعد هناك شيء في هذا العالم قادرعلى إخافته، فهو يعرف أن باستطاعته التغلب على رهبة الموقف الذي سيواجهه عند دخوله الدكان، إنه نوع من التهوّر والإقدام، منبعه قلة مبالاته بالواقع الذي يعيش فيه، وعدم النظر في عاقبة الأمور التي يمكن أن تكون بانتظاره، فوق كل ذلك، فهو مازال مقتنعاً، بأن المعلم لن يتخلى عنه حتى في أسوأ الظروف.

شهر العسل مع مايا مازال مستمراً، لقد استحوذ بأفكاره الذكية، التي يشرحها لها في كل ليلة على تفكيرها، شرعت تدرك بأنها تتحول إلى امرأة واعية، مع كل أمسية تقضيها معه، وهي تستمع إلى حديثه عن الحكومة الخفية التي تحكم العالم، وكيف أنها استطاعت بوساطة السينما والمسلسلات التلفزيونية تنويم المشاهدين تنويماً مغناطيسياً، لتخلق في عقولهم مفهوماً جديداً عن الاستهلاك، لقد تمكنت من إقناعهم باسم الموضة، بأن يلقوا في كل سنة بملابسهم التي مازالت بحالة جيدة، ليشتروا ملابس جديدة حسب الموضة، قد لا يكون شكلها أفضل من ملابسهم الحالية التي يرتدونها، لقد تمكنت من خلق رأي عام في المجتمع، يخنق الشخص، ولا يترك له مجالاً للتعبير عن أفكاره بحرية، لقد تمكنت من تحويل الناس إلى مجموعة من القطيع، تسيّرها وسائل الإعلام، شاهدت بنفسها بعض الأدوات والأنابيب الزجاجية المخبرية المملوءة بالماء في غرفة المطبخ، ولما سألته عنها أجابها بأنه يستخدمها لتقطير مياه الشرب، لأن المياه التي تزعم الحكومات بأنها صالحة للشرب قد تم إضافة مادة الفلور إليها، ما يجعلها تؤثر بطريقة غير مباشرة في عمل الدماغ، هذه الأفكار الغريبة التي يتكلم عنها بدت معقولة جداً إليها، على الرغم من أنها امرأة غير متعلمة، استغربت كيف أن أكثر الناس، لم تكتشف حتى الآن هذه الحقائق الموجودة بوضوح

أمامهم، والتي يتكلم عنها وائل باستمرار، لا شك أنه شخص مثقف وعظيم، وهي تزداد انجذاباً إليه كل يوم.

لاقت هذه الأفكار الثورية صدى في أعماق نفس مايا، لقد زرع أفكاره في التربة الملائمة للتكاثر فيها، وهي تدرك منذ زمن بعيد بأنها تمارس أحقر مهنة بالعالم، لكنها كانت ترفض الاعتراف بذلك، حيث عليها أن تمنح جسدها لمن يدفع ثمنه، بغض النظر عن مشاعرها، كما أن عليها أن تلبي طلبات زبائنها المنحرفين، وأن تسايرهم، لكي تحتفظ بهم، ولتحصل على إكرامية جيدة بعد الانتهاء من علاقتها معهم. شعرت بحسد وحقد على هذه الطبقة التي تستغل الفقراء، وتعطيهم القليل من المال، بالكاد يكفي لتغطية متطلبات معيشتهم اليومية، إنهم يستغلون الفقراء الذين يمثلون الطاقة الإنتاجية في البلد، بينما يجلسون خلف مكاتبهم، يعيشون من العمولات أكثر مما كان يعجبها في وائل، إنه لا يملي عليها أفكاره بالقوة، لكنه يساعدها على أن تتبلور أفكارها الخاصة، بالشكل الذي يتلاءم مع مصالحها.

ذهب وائل مرتين لزيارة قرية عينطورة المتن، راقب من بعيد دكان الصرافة التي تقع على طرف القرية، شاهد وجود رجلين بشكل دائم داخل الدكان، تصوّر أن عملية السطو عليها ستكون سهلة إذا تمكن من تأمين سيارة لتكون بانتظاره جاهزة للانطلاق عند انتهائه من عملية السرقة.

في إحدى الليالي، طلب من مايا على غير عادته بأن تبقى لتمضية الليلة معه، كانت كلما طلبت منه تمضية الليلة بمسكنه، يتحجج بأنه يخاف من أن تعرف صاحبة البيت، التي يستأجر منها غرفته، طبيعة علاقتهما، وهي دائماً ترضى بقبول أعذاره عن طيب خاطر، لكيلا تزعجه فيهرب منها، وافقت فوراً على قضاء هذه الليلة في غرفته، ناسية زبونها الذي كان من المفروض أن تذهب إليه، عندما استيقظت في الصباح متأخرة كعادتها، لم تجد وائل إلى جانبها بالفراش، ظنت بأنه ذهب إلى وظيفته، لكن بعد ساعتين فاجأها بعودته، وأول ما سألها

عند دخوله الباب فيما إذا كانت شهادتها للسواقة معها، فأخبرته بأنها تحتفظ دائماً فيها بحقيبتها اليدوية، فارتاحت أسارير وجهه، طلب منها أن ترتدي ثيابها، لأنها ستذهب في نزهة قصيرة معه إلى قرية عينطورة المتن، لأنه قد قام باستئجار سيارة موديل بيجو من وكالة تأجير السيارات، لكي يتمكنا من الاستمتاع بهذه الرحلة.

جلست إلى جانبه وهو يقود السيارة، واتجها إلى قضاء المتن، لم تفكر مايا بأن تسأل وائل عن سبب رحلتهما إلى قرية عينطورة المتن، لأنه قادر بأجوبته الغريبة، على إدخال الدهشة إلى عقلها في كل لحظة، أخذت السيارة تصعد الطريق الجبلي المتعرج، مرتفعة عن الطريق الساحلي متجهة إلى قمة الجبل، وهي تميل يمنة ويسرة، قاطعة منحنيات الطريق القاسية، ضغط وائل على مكبس الفتحة الموجودة في سقف السيارة، فانفتحت ودخل تيار من الهواء البارد العليل، ليصفع وجهها ويبعثر خصلات شعرها، وظهرت بعض السحب الصغيرة والمعزولة، تسبح تحت أشعة الشمس الساطعة، وأمكنها ملاحظة الغيوم من كوة سقف السيارة، تعبر بكسل على طول السماء الزرقاء الصافية.

أخذت السيارة تصعد الطريق الضيق المتعرج بطيئة حذرة، باتجاه قمة الجبل، كانت أشجار التنوب والسنديان مبعثرة على جانبي الطريق، مع بعض الشجيرات البرية الخضراء المعلقة على السفوح الشديدة الانحدار، بدأ تعرج الطريق يزداد، ويتلوى في صعود متواصل، فخفف وائل من سرعة السيارة، بالغ من انتباهه لكثرة التعرجات الموجودة على هذا الطريق الجبلي الضيق، لأن قليلاً من عدم الاكتراث سيدفع بالسيارة إلى السقوط في الوادي السحيق.

بعد نصف ساعة تغير تعرّج الطريق، واستدارت السيارة باتجاه طريق واسع بعض الشيء ذي مسار مستقيم، فانكشفت قرية عينطورة المتن، الممتدة على مساحة صغيرة، ترتفع على الجانب الشرقي من كتف الجبل، تحيط بها عند مدخلها حقول أشجار التفاح الخضراء في هذه الأيام من

فصل الربيع، ما يمنح القرية وأسقفها المغطاة بالقرميد الأحمر منظراً جميلاً من أعلى الطريق المنحدر باتجاهها.

اقترب من دكان الصرافة، صفّ السيارة على يمين الطريق، بحيث تتجه مقدمتها باتجاه بيروت، على حوالي ثلاثين متراً من مدخل الدكان، وجلس بالسيارة حتى تأكد من أن الطريق أصبحت خالية من المارة، نزل من السيارة، وطلب من مايا أن تجلس بمقعده خلف المقود، وأن تبقي محرك السيارة دائراً. أفهمها بأنه سيتجه إلى دكان الصيرفي الموجود أمامهما، وعندما يخرج من الدكان عليها أن تأتي إليه بعجلة لتلتقطه، وتتجه بأقصى سرعتها باتجاه طريق العودة، عندما تبتعد قليلاً من الدكان فإنه سينزل ويأخذ مكانها خلف المقود، لأنه أكثر مهارة منها في اجتياز المنعطفات القاسية بسرعات كبيرة، إن عامل الوقت مهم جداً لنجاح هذه العملية، في هذه اللحظة فقط أدركت مايا خطورة هذه العملية التي ورّطها وائل فيها، لكنها لم تعد قادرة على الانسحاب.

نزل وائل من السيارة واتجه نحو دكان الصيرفي، بقيت وحدها خلف مقود السيارة، يتآكلها الخوف والقلق، وسرحت بها الأفكار، ماذا سيكون مصيرها فيما إذا لو فشلت هذه العملية، إن وائل لم يستشرها قبل إشراكها فيها، ولم يراعِ مسؤوليتها عن عائلتها، ولا حتى عن حياتها الخاصة، وتناهى إلى أذنها صدى دويّ ضعيف، يشبه صوت ثلاث طلقات نارية آتية من مسافة بعيدة، ثم ظهر وائل ملوحاً لها بيده، لكي تأتي مسرعة لتأخذه من مكانه، بالفعل انطلقت بالسيارة، وما كادت تصل إليه، حتى فتح الباب بسرعة، وقفز إلى جانبها، طلب منها أن تنطلق بأقصى سرعة ممكنة، بعد أن ابتعدت قليلاً عن القرية، نزل وائل وأخذ مكانها، بدأ يقود السيارة ببراعة كبيرة، وهو يقصّ المنحنيات بسرعة جنونية لا يمكنها تخيلها، بعد أن اجتاز الطريق الضيّق النازل الملتوي، وجدت نفسها مرة ثانية على الطريق الإسفلتي الرئيسي المتجه إلى بيروت.

ساد الصمت داخل السيارة، شرد تفكير مايا بعيداً، وهي تتصور ماذا سيكون موقفها، لو أن أحد المارة بالمصادفة، قد شاهد سيارة البيجو، وتمكن من أخذ رقم لوحتها، لكنها تحاملت على نفسها، وطردت هذه الأفكار السوداء من رأسها، نظرت إلى وجه وائل، لقد اصفرّ وبدا شاحباً، وظهرت علامات الحزن عليه، أصبح له وجه آخر، ليس ذاك الوجه الذي كانت تعرفه منذ ساعتين، وكأن له وجهين مختلفين، ومع كل هذا الحزن الظاهر في عينيه، ارتسمت علامة ساخرة على شفتيه، محاولاً أن يخفي فيها حقيقة عواطفه، مشاعر متناقضة تظهر على وجهه بالوقت نفسه، ما بعث الذعر فيها، سألته بلهفة: كيف الأمور؟ فأجابها باقتضاب: على ما يرام، قاطعاً عليها الطريق لمتابعة حديثها، بينما نقلت تعابير وجهه إلى مايا، أن الأمور خلاف ذلك، لكنها احترمت رغبته في عدم الكلام، فلاذت بالسكوت، أخذت تعيد التفكير بموقفها من وائل، لقد أدركت متأخرة، بأنه شخص غامض وخطير لا يعرف الرحمة، ما زاد من خوفها منه.

دلفا إلى الغرفة بسرعة، وأغلقت مايا الباب بإحكام، بينما جلس وائل على الأرض، بدأ بإخراج رزم النقود من جيب معطفه بعجلة، كان عدد الرزم قليلاً، ما بعث الحسرة في قلب مايا، وهي تراقبه من بعيد، محاولة أن تحصي بنظراتها مقدار المبلغ الذي حصلا عليه من الدكان، كانت الرزمة الأولى عبارة عن ورقات من ذات المئة دولار، مكدسة فوق بعضها مغلفة بشكل كامل، ما يعني أن قيمتها هي عشرة آلاف دولار، وكانت هناك حزمتان من ورقات اليورو ذات الخمسمئة، مغلفة كل واحدة منهما على حدة، بشكل كامل أيضاً، وهذا يعني أن في كل واحدة عشرة آلاف يورو، إضافة إلى ذلك، فهناك بضع مئات من الدولارات، وعدداً كبير من العملات المتداولة المحلية من الفئات الصغيرة، وكذلك الحال لعملة اليورو، كما وجد كمية كبيرة من أوراق الليرة اللبنانية، يطغى عليها اللون الزهري من فئة العشرين ألف ليرة لبنانية، استخدم وائل الآلة الحاسبة على هاتفه الجوال، لجمع هذه العملات الورقية وتحويلها بالنهاية إلى

دولارات، كان مجموعها صادماً لمايا، إنه بحدود سبعة وأربعين ألف دولار، إنه لا يساوي هذا الجهد المبذول، والمخاطرات الكبيرة التي تحملتها مع وائل، من أجل تنفيذ هذه العملية.

توقعت في هذه اللحظة أن يقوم وائل بقسمة المبلغ إلى نصفين، ويعطيها حصتها منه، لكنه جمع الأوراق المالية ورتبها فوق بعضها بعضاً، ليقول: إن كل هذا المبلغ لا يكفي لعملية الزرع التي تحتاجها أخته، لم يكن أمامها سوى أن تهزّ رأسها بالموافقة، تأكدت من أنه قد ظلمها، وأغفل حقيقة أنها شريكته في العملية، وتستحق نصف المبلغ، لم تسأل وائل عن صوت الطلقات الثلاث التي سمعتها وهي بانتظاره بالسيارة، معتقدة أنها كلما قلت معرفتها عن تفاصيل السرقة، كان أفضل لها، في حال أوقفتها الشرطة وحققت معها.

ساد جو الغرفة نوع من التوتر، ناتج عن الخيبة التي تركها هذا المبلغ الصغير، كانا يتوقعان أن يكون المبلغ أكثر من ذلك بكثير، عادت مايا إلى شقتها، معتقدة أن أفضل ما تفعله في الوقت الحاضر أن تضع ملح الطعام في المغطس وتملأه بالماء الساخن، وتنقع جسمها فيه لفترة طويلة، إن للماء المالح قدرة كبيرة على امتصاص التوتر والتعصيب من جسم الإنسان، لقد تعودت منذ صغرها، عندما تواجهها المشكلات، أن تجلس بالمغطس الساخن، وتمارس أحلام اليقظة لساعات طويلة، تحاول أن تحقق في ذلك العالم الافتراضي جميع رغباتها العاجزة عن تحقيقها على أرض الواقع، إنها مازالت مقتنعة بأن المبلغ الذي سرقه وائل أكثر من سبعة وأربعين ألف دولار، كيف يعقل أن تكون دكان الصرافة كلها، لا تحتوي سوى على هذا المبلغ الصغير، قررت أنها ستنتظر الغد، لتشتري جريدة الأنوار، وستقرأ فيها بالأخبار المحلية بالتفصيل الدقيق عن عملية السطو التي تمت في قرية عينطورة المتن.

استيقظت مبكرة على غير عادتها في حوالي الساعة السابعة صباحاً، نزلت مباشرة إلى أقرب بقالية، اشترت جريدة الأنوار، وعادت مسرعة

بها إلى بيتها، بدأت تبحث بلهفة في صفحة الأخبار المحلية، حتى وجدت خبراً، عنوانه بالخط العريض: عملية سطو مسلح قُتل فيها شخصان، أشار المقال إلى أن عملية سطو مسلح قد جرت على دكان للصرافة في قرية عينطورة المتن، تم فيها قتل صاحب المحل وأجيره، وسلب جميع النقود الموجودة في الدكان، وتشير التحقيقات الأولية إلى أن عصابة محترفة قامت بتنفيذ هذه الجريمة، في وضح النهار، وأفاد أحد الشهود، بأنه شاهد سيارتين من نوع مرسيدس سوداوين أمام الدكان ساعة وقوع الجريمة، استخدمتهم العصابة لتنفيذ عملية السطو المسلح، أكد مختار القرية، أن هناك خيوطاً عديدة في يد الشرطة، ستؤدي إلى إلقاء القبض بسرعة على المجرمين ومعاقبتهم. شعرت بنوع من الاطمئنان بعد قراءتها لهذا الخبر، تصوّرت أنّ بهذه العقلية من المستحيل أن يتم القبض على اللصوص الحقيقيين، لكنها مازالت حتى الآن لا تعرف حقيقة مقدار المبلغ الذي تم الاستيلاء عليه.

ارتاحت لفكرة أن الشرطة لن تستطيع أن تقبض عليها، وتخيلت ماذا كان سيحل بأمها وأخيها، لو أصبحت خلف القضبان الحديدية، إنها المعيلة الوحيدة لهما، وكيف سيكون موقف صديقاتها في الكار، عندما يسمعن بأنها أصبحت في السجن. من المعروف للجميع أن البنات اللواتي يعملن في هذه المهنة يكرهن بعضهن، نتيجة للغيرة الشديدة بينهن، بسبب المنافسة الشرسة، من أجل الحصول على الزبائن، هناك أيضاً كراهية شديدة للبنات الصغيرات، من البنات المتقدمات في العمر، لأن أكثر الزبائن، يفضلون أن يستمتعوا بنضارة البنات الصغيرات. قررت أنها بعد أن تحصل على حصتها من عملية هذه السرقة، والبالغة حوالي عشرين ألف دولار، ستأخذ أمها وأخاها وتنتقل إلى مدينة صيدا، لعند إحدى قريبات أمها، وستتوقف عن ممارسة مهنة الدعارة، وتحاول أن تفتح دكاناً لبيع الملابس النسائية المستعملة، وربما تصادف ابن الحلال الذي يتزوجها، لتبدأ صفحة جديدة من حياتها.

فاجأها وائل في مساء اليوم التالي، حين أخبرها بأنه قرر أن يتزوجها، وسيشتري لها خاتم خطبة، وسيأخذها غداً إلى بيت أمه، ليعرفها عليها وعلى أخته المريضة، لم تصدق حديثه في بادئ الأمر، فهي قد فقدت ثقتها به، لكنه طلب منها أن تبيت هذه الليلة في غرفته، ليصطحبها غداً لشراء الخاتم.

في الصباح ركبا السيارة، لاحظت أن وائل أخذ الطريق الساحلي باتجاه الشمال قائلاً: إنه سيذهب إلى طرابلس التي تبعد حوالي ثمانين كيلومتراً عن بيروت بالسيارة المستأجرة، ليزيد من عدد الكيلومترات المسجلة على عداد السيارة، لأنه عندما سيعيدها إلى وكالة تأجير السيارات، بعد ظهر هذا اليوم، لن يخطر على بالهم، بأن يربطوا بين عدد الكيلومترات المسجلة على عداد السيارة والمسافة إلى قرية عينطورة المتن، إضافة إلى أن أسعار المشغولات الذهبية في طرابلس، أقل من أسعارها في العاصمة بيروت.

بعد ساعة وصل إلى مدينة طرابلس، وانطلق إلى منطقة جذب التاريخية، وهو موقع تراثي قبل أن يذيع صيته كسوق للصاغة، فيه كثير من المحال المقامة منذ مئات السنين، التي مازالت حتى الآن، تستخدم الطريقة اليدوية البسيطة في صنع المشغولات الذهبية، وجميع زبائنها من الناس الذين يبحثون عن مشغولات ذهبية مستعملة وبجودة عالية وبأسعار معقولة، في البداية لم يرق لمايا فكرة أن تلبس خاتم خطبة مستعملاً، لكن وائل كعادته، تمكن من إقناعها بأن القيمة الحقيقية للذهب موجودة فيه، وليس هناك أي فرق عملياً بين الجديد والمستعمل، بالنهاية وجدت ضالتها في خاتم سادة بسيط أبيض من البلاتين. لكن لفت نظرها بالواجهة الزجاجية عند البائع خاتم من البلاتين، وفي رأسه فصٌّ ألماسي صغير، ألحت على وائل بأن يشتري لها هذا الخاتم أيضاً، بحجة أنها تريد أن تبدو بشكل لائق أمام أمه، اشتد النقاش بينهما، إذ يرى وائل أنه لا داعي لصرف ألفي دولار، على هذا الخاتم في الوقت الحاضر، بينما كانت مايا تتصور بأنها فرصتها

المواتية، لتسترد بعضاً من حقوقها المسلوبة في عملية السطو تحت تعنّتها وإصرارها، شعر وائل بالخجل من هذا النقاش أمام البائع، ولم يكن أمامه سوى أن يشتري الخاتمين.

انطلقا إلى بيروت، واتجها مباشرة إلى بيت أمه، وفي الطريق أكد عليها أنها ستقول لأمه بأنها تعمل مدرسة في مدرسة ابتدائية، وستجد الفرصة المناسبة أثناء حديثها، لتخبرها بأنها أقرضت ابنها وائل عشرين ألف دولار من أجل مساعدته لإجراء عملية زرع الكلى لأخته، بعد انتهائه من هذه الجملة، ازداد خوفها من وائل، وأدركت أن هدفه للزواج منها، هو محاولة التغطية أمام أمه، على حقيقة المبلغ الذي بحوذته، لكن الذي أكد شكوكها بشكل قطعي رفض وائل شراء خاتم خطبة لنفسه ليضعه في يده، لكنها قررت مسايرته في لعبته، حتى تتمكن من استرداد حصتها منه.

دخلت البيت، فاستقبلتها أمه عند الباب، فقامت مايا وأخذت يدها وقبلتها ووضعتها على جبينها، لتعطيها الشعور بأنها مازالت صاحبة المكانة الأولى في البيت، لاحظت أن البيت ضيّق وصغير ومتهالك، وهناك بقع متساقطة من الدهان على جدرانه وسقوفه، إنه بحاجة إلى إعادة الدهان بالكامل، قادتها أمه إلى غرفة صغيرة قديمة، بالكاد تتسع إلى سريرين، تتمدد أخته سعاد على السرير القريب من الباب، لقد عادت لتوّها من جلسة غسيل الكلى التي استمرت لأربع ساعات، لقد بدا وجهها شاحباً مرهقاً، نتيجة للضعف الشديد الذي يصيبها عقب عملية الغسيل الكلوي، الله وحده يعلم بمعاناتها الصامتة، التي أدت إلى إصابتها، بالعديد من الأمراض النفسية التي لا تبوح بها.

شرحت أمه لمايا بأن حالة ابنتها الصحية تتدهور بسرعة، وأن الكلية لديها تعمل بقدرة عشرين بالمئة فقط، ما أدى إلى ازدياد ارتفاع ضغط الدم لديها، على الرغم من الجلسات المستمرة لغسل الكلى، إن طبيبها في المستشفى الخاص في بيروت يقوم بالاتصال مع أحد المستشفيات التي يعرفها في مدينة بومباي بالهند، ليقوم المشفى بإجراء الفحوصات

المخبرية، على المتبرعين بكليتهم، للتأكد من توافق الأنسجة بين سعاد والمتبرع قبل الاتفاق على شراء كليته، لزراعتها في جسم سعاد، وعند إيجاد هذا الشخص الملائم، فيسافر وائل وأخته فوراً إلى مدينة بومباي.

مضت الأيام بطيئة متثاقلة، وهو مازال ينتظر الإيميل من المستشفى في بومباي، ليخبره بأنهم وجدوا المتبرع الملائم، الذي سيبيع كليته إلى أخته. اعتادت مايا خلال هذه الفترة أن تتردد إلى بيت وائل في كل ليلة، وأن تفتح الباب بمفتاحها الخاص، لتدخل بحرية إلى البيت، وتقضي فيه ساعتين أو ثلاثاً، تمارس الجنس مع وائل قبل أن تغادره لتمضية بقية الليلة مع أحد زبائنها، لم تستطع مايا أن تفهم كيف أن وائل حتى الآن لم يطلب منها أن تتوقف عن ممارسة عملها، لا شك أنه رجل بلا كرامة ولا نخوة. فهو لا يغار عليها من الرجال، وهي تعرف أن الغيرة مؤشر على دليل الحب، حتى إنه لا يهتم بمشكلاتها العائلية، ولا يحاول أن يتعرف على تفاصيل حياتها الصغيرة، لكي يشعر بالاطمئنان عليها، فهو لا يهمه أمرها، إنه يستمتع بجسدها مثل بقية الزبائن الآخرين، من دون أن يدفع ثمن اللذة التي يحصل عليها، مستجدياً عطفها ومساعدتها من أجل أخته سعاد، وقد وعدها بالزواج، لكي يكمل لعبته بالاحتيال عليها، والاستيلاء على حصتها من النقود.

اقترب موعد سفره إلى الهند، لقد مضت فترة طويلة منذ آخر مرة شاهد فيها المعلم على شاشة التلفزيون، جلس كعادته في هذه الليلة منتظراً ظهوره، في الساعة الثالثة تماماً برز على الشاشة، هنأه بنجاحه في عملية السطو على دكان الصرافة، طلب منه أن يأخذ حذره من الساقطة مايا، وألا يثق بها. وتمنى له نجاح عملية زرع الكلية لأخته في مدينة بومباي، طلب منه أن يكون قوياً ومتماسكاً، لأن هناك احتمالاً كبيراً بفشل العملية الجراحية، واختفى من على الشاشة.

قبل الليلة المقررة لمغادرة وائل إلى بومباي، أمضت مايا ليلتها الأخيرة معه في بيته، وبينما هي تمارس الجنس، حاولت بخبرتها، أن تعطيه

الشعور، بأن كل ما يقوم به يشعرها بالسعادة الغامرة، لتشجعه على تبادل الحديث معها بحرية، ولتختفي الحواجز بينهما في تلك اللحظات، أخبرته بما أنها ستصبح زوجته، فيجب عليها احتراماً له، أن تتوقف عن ممارسة الدعارة، وأنها بحاجة إلى عشرة آلاف دولار لتتمكن من تأسيس نفسها أثناء غيابه في الهند، في هذه اللحظة تغيرت ملامح وجه وائل، رفع صوته عليها، وظهرت علامات الضيق على وجهه، وغارت عيناه تحت حاجبيه العابسين، وأصبح شكله شرساً، لم يعد وائل الذي تعرفه من قبل، ما جعل قلبها يخفق بشدة، ثم غيّر جلسته في السرير متذكراً نصيحة صديقه المعلم البارحة على التلفزيون، نظر إليها قائلاً: إن العملية الجراحية لأخته ستكلف أكثر من عشرين ألف دولار، وهناك مصاريف تذاكر الطائرة، والإقامة في بومباي التي ستستمر حتى التأكد من نجاح العملية، لا تعرف من أين جاءت لها هذه الجرأة، لتتابع حديثها قائلة: إن جميع مصاريف هذه الرحلة لن تزيد على ثلاثين ألف دولار، إضافة إلى مبلغ الألفين وخمسمئة دولار، ثمن الخاتمين، فيكون من المفروض أن يبقى حوالي خمسة عشر ألف دولار، فقد أعصابه، وصرخ بوجهها، بأنها بنت كسولة، لا تريد أن تتحمل مسؤوليتها في هذه الحياة، فأيقنت بشكل نهائي، بأن وائل غير جاد في هذه الزيجة، وأنه أسوأ من قوادها الذي كان يستغلها في الماضي، إنه يستغل جسدها، ويدمّر روحها وجميع ما بقي من قيمها الأخلاقية.

وصل مع أخته إلى مطار رفيق الحريري في بيروت، اتجه إلى صالة ركاب المغادرين، توجه مباشرةً إلى شركة طيران الخطوط الهندية، على الرغم من ازدحام القاعة بالمسافرين، لقد شعر بالوحدة التي ترفض أن تفارقه، فهو يخلق جدراناً بينه وبين ما حوله من الأشخاص، ليؤمن الحماية الذاتية من اكتشافهم لما يدور في عقله، ما يسبب له كثيراً من العزلة والفراغ، أما أخته سعاد، فكانت حالتها أسوأ من حاله، فهي تتساءل باستمرار عن الحكمة من قدرها الذي جعلها عانساً، وأصابها بمرض الفشل الكلوي، لتجد نفسها الآن عالة على أخيها بإمكانياته

المادية المحدودة، لو دخلنا في أعماق كل واحد من هؤلاء المسافرين، وحتى الذين تزين وجوههم ابتسامة مزيفة، لاكتشفنا أن كل واحد منهم يستحق الشفقة.

هبطت الطائرة مساءً في مطار بومباي الدولي بعد ثماني ساعات من الطيران، خرج وائل وأخته مع بقية الركاب، ولما لم يكن عنده أي خبرة بالسفر، أخذ يتتبع سير بقية المسافرين ويسير خلفهم، واهتدى بحركاتهم في إجراء معاملات الأمن واستعادة حقائبه، ثم خرج معهم إلى ساحة المطار، وجد تكسي وأعطاه عنواناً لفندق سعره معقول، كان قد وجده على الإنترنت، يقع قريباً من المشفى الذي ستتعالج فيه أخته، عند وصوله إلى غرفته بالفندق، اتصل بالطبيب الذي سيشرف على عملية زرع الكلية لأخته، وأخذ منه موعداً في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي.

نزل في الصباح مع أخته إلى مطعم الفندق، ليتناولا فطور الصباح، وعندما اقتربا للجلوس على طاولة موضوعة في مقابل النوافذ التي تطل على البحر، اعتذر منهما الجرسون، وأخبرهما بأنها محجوزة، ولعل ذلك يعود إلى مظهرهما المتواضع، إنهم يحجزون هذه المقاعد المميزة للزبائن الذين يهتمون بمظهرهم الخارجي. اقتادهما إلى طاولة ثانية في الجزء الخلفي من المطعم، فشعر بالخيبة من هذه الحركة، واعتبرها إشارة نحس منذ الصباح الباكر، وخطر على باله بأن ينتقل من هذا الفندق، بأقرب فرصة ممكنة، بعد الانتهاء من فطوره، طلب من موظف الاستعلامات أن يستدعي تاكسي، لينقلهما إلى المشفى.

ركب التاكسي مع أخته، اشتمَّ من نافذة السيارة المفتوحة رائحة البحر النتنة التي تشبه رائحة البيض الفاسد، وشعر بالريح الرطبة تهب منه، شاهد تشكيلة من طيور النورس تحوم فوق الشاطئ، تطير بشكل تلامس فيه سطح الماء، ثم تغطس فيه باحثة عن وجبة صباحية لتسدّ بها رمقها، لاحظ أن البيوت كلها متلاصقة ومتّشحة بلون أصفر

يميل إلى الرمادي من كثرة التلوث الذي يغطي هذا المدينة، أحسّ بأن القذارة التي في داخله قد انعكست على هذه الأحياء، وصل المستشفى، وعندما اجتاز مع أخته مدخلها، لم تكن حالة النظافة فيها أفضل بكثير من المباني المحيطة بها.

اجتمعا مع الدكتور الجراح هارش، وهو المسؤول عن زرع الكلية لأخته سعاد، جلسا في مكتبه، أخذ يتكلم باللغة الإنكليزية، ووائل يجد صعوبة بالغة في فهم ما يقوله، كان يجيبه بلغته الإنكليزية الضعيفة، ولهجته المكسرة على بعض أسئلته، شرح لهما الجراح الطريقة التي سيتبعها خلال هذه العملية، سألها الدكتور هارش، بعد أن انتهى من حديثه، فيما إذا كانت تريد أن تحصل على غرفة نوم مستقلة... فأجابته بنعم.. بعدها أخذ الطبيب هارش يكتب على الكومبيوتر الموجود أمامه أمراً بإدخال المريضة سعاد إلى المستشفى، أخرج من درج طاولته ورقة مكتوبة باللغة الإنكليزية، طلب من سعاد أن توقعها، لم يستطع وائل أن يستوعب الجمل المكتوبة فيها، ولكنه فهم من الدكتور بأنها ورقة روتينية على كل مريض توقيعها قبل دخوله المستشفى، هي عبارة عن إقرار خطي من سعاد بأنها موافقة على إجراء العملية الجراحية مدركةً مخاطرها ومضاعفاتها والآثار المترتبة عليها، قال وائل بأنه لا يوافق على أن تقوم أخته بالتوقيع على هذه الورقة، لكن الدكتور هارش كان قاطعاً في جوابه، بأن لوائح المستشفى لا تسمح للمريض بالدخول إلى المستشفى من أجل إجراء العمليات الجراحية إلا بعد التوقيع على ورقة الإقرار الطبي.

ليس أمام وائل سوى حلين، إما أن توقع أخته سعاد على هذه الورقة، أو أن يعودا أدراجهما إلى لبنان، تذكر في هذه اللحظات ما قاله المذيع على التلفزيون من أن عليه أن يكون متماسكاً، فهناك احتمال بعدم نجاح العملية الجراحية، التفت إلى أخته سعاد ليسألها عن رأيها في توقيع الورقة، فما كان من سعاد إلا أن أخذت الورقة ووقعتها من دون تردد أو خوف، لقد نفدت قدرتها على الصبر، وسئمت من جلسات غسيل الكلى

التي لا تتوقف، أصبحت عاجزة على أن تتحمل مزيداً من الألم، ونظرات الشفقة التي تحيط بها من أفراد أسرتها، لكن الأهم من ذلك كله أنها تفضل أن تموت من أن تبقى عالة على أخيها، وخصوصاً أن الأمور قد ساءت بالفترة الأخيرة، عندما انتقلت إلى العلاج بالمشافي الخاصة، لقد ملت من الاستمرار بهذه التعاسة التي لا تنتهي.

ذهب وائل إلى شعبة المحاسبة ليدفع عشرة الآلاف دولار تأميناً لدخول أخته إلى المستشفى، وهي تعادل تقريباً التكلفة الإجمالية للعملية، كما تم إرسال سعاد إلى الطابق الثاني لتبدأ رحلة العذاب من جديد. عندما لحق بأخته إلى غرفتها، وجد أنها تلبس في يدها أسوارة التعريف الخاصة بها في المستشفى، وشاهد أن الممرضة تقوم بتجهيزها لنقلها إلى قسم غسل الكلى، إذ إن عليها أن تخضع في ثلاثة الأيام القادمة إلى جلسة يومية، تمتد لأربع ساعات، كما أن عليها أن تجري مزيداً من فحوصات تحليل الدم قبل إجراء العملية.

لم يستطع أن ينام في تلك الليلة، وهو يفكر ماذا ستكون أحوال أمه لو فشلت هذه العملية، لكنه كعادته طرد هذه الأفكار من عقله، لقد مرّ بحياته بمواقف أصعب بكثير من هذا الموقف، وكل ما عليه الآن أن يتماسك كما نصحه صديقه المعلم.

في الصباح، قرر أن يتوجه ماشياً إلى المستشفى القريب من فندقه، ليتخلص من التوتر الذي ينتابه، من خبرته الطويلة يعرف أنه لا شيء يمكن أن يساعده على التخلص من مشكلة التوتر والقلق، ويعدل من مزاجه سوى المشي لمسافات طويلة.

خرج من باب الفندق، متبعاً الطريق نفسه الذي سلكته التاكسي في صباح البارحة، هالته كارثة الرائحة النتنة التي تنبعث من الشوارع، حيث تسبب الطقس الحار في تفاقم رائحة النفايات البشرية والصناعية الموجودة على شاطئ البحر، لم تهتم السلطات ولا الناس التي تسكن في هذه المنطقة من إيجاد حلّ لهذه المشكلة التي يبدو أنها تعانيها منذ فترة

طويلة، ربما يعود ذلك إلى نظام صرف صحي متهالك، غير قادر على أداء وظيفته بشكل فعّال، فصبت النفايات مباشرة في البحر، كما يحدث في بعض المناطق في لبنان، أخذ يفكر بأن البخار الخانق الناجم عن هذه المخلفات البشرية سينشر الأمراض في الجو، وقد تتأثر أخته بالعدوى من هذه الجراثيم، الناس لم تكن خائفة من تفاقم هذه الرائحة الكريهة، لأنها قد تعودت عليها منذ زمن بعيد، تمنى لو أن مايا كانت إلى جانبه في هذه الأوقات، إنه بحاجة إلى دعمها، والإحساس بأنفاسها وصوتها، وهي تبدي إعجابها به، لترفع من روحه المعنوية وليستعيد ثقته بنفسه.

دلف إلى غرفة أخته بالمستشفى، شاهد أنها بحالة نفسية جيدة، إنها تشعر بأن ساعة الخلاص من هذه المعاناة في مراحلها الأخيرة، لم تعد خائفة من الموت، لقد تخلصت من حالة الاكتئاب التي تعيشها، والتي كانت تزيد من آلامها، لقد قررت أن تقبل بمخاطر هذه العملية، لأنه من العدالة أن تخوض رحلة الحياة إلى آخرها، وأخوها الذي لم يتخلَّ عنها إلى جانبها، إن من حقها أن ترفض مواجهة هذه المعاناة غير الضرورية، لتستمر في حياة غير طبيعية مملوءة بالأوجاع.

بعد أن اطمأنّ عليها، أخذ طريقه إلى مكتب الدكتور هارش، ليستفهم منه عن أحوال المرأة التي ستتبرع بكليتها إلى أخته. بعد أن جلس أمامه على الطاولة، أخبره هارش بأن المتبرعة ستحضر للإقامة غداً في المستشفى، ليتم تحضيرها لإجراء العملية، إن جميع الفحوصات المخبرية التي أجريت بالمستشفى على أخته تؤكد أنها جاهزة لعملية زرع الكلية، إن حالتها جيدة، وستتمكن من الصمود أمام العملية والأدوية المثبطة للمناعة التي ستتناولها بعد عملية الزرع، عليها أن تهيئ نفسها لتتقبل كل التبعات بعد العملية، من تناول الدواء طوال حياتها، وكذا المتابعة الصحية المستمرة.

إن جميع الفحوصات التي قام بإجرائها على المتبرعة تبين بأنها تحقق الشروط اللازمة لتتبرع بكليتها من الناحية الطبية والتقنية، وأكد

له أنه أجرى مئات العمليات لزرع الكلى، ولقد نجح أغلبها، ويظل هناك احتمال قائم، بأن يرفض جسم سعاد الكلية المزروعة، ووعده بأن يجمعه غداً بالمستشفى بالسيدة التي ستتبرع بكليتها، وإن عليه أن يجهز سبعة آلاف دولار ليتم دفعها إليها، عن طريق إدارة المستشفى.

كما هو مقرر اجتمع في المستشفى بالسيدة التي أدخلوها صباح اليوم، لتجهيزها للتبرع بكليتها، هاله منظرها، فهي متقدمة بالعمر وبحدود الستين، قصيرة محدودبة الظهر بعض الشيء، رسمت التجاعيد على بشرتها التي أحرقتها الشمس، صورة لمعاناتها وتعبها من هذه الحياة، خطر بباله أنها مسكونة بالأمراض والجراثيم، فالتفت إلى الطبيب هارش، وأخذه إلى جانب مكتبه، وقال له على انفراد: بأنه لن يقبل بها، لأن تكون المتبرعة لأخته بكليتها، فهي كبيرة بالسن وجاءت من بيئة فقيرة، ما يجعلها غير قادرة على العناية بصحتها بالشكل الملائم. أجابه الدكتور هارش بحدة: إن القوانين الطبية تنص على أن يكون العمر الأقصى للمتبرعة خمسة وستين سنة، بينما عمرها لا يزيد على الخمسين سنة، إنها فلاحة فقيرة عاشت في بيئة قاسية، وهذا يعني أن بنيتها قوية، وهي تتبرع بكليتها من أجل الحصول على سبعة آلاف دولار لتعيل أسرتها، لقد اجتازت جميع الفحوص الطبية والشروط اللازمة لتتبرع بكليتها، أفهمه بأنه من المستحيل إيجاد بنت صغيرة وحالتها ميسورة، وعلى الاستعداد لأن تبيع كليتها، يمكنه منذ الآن أن يأخذ أخته ويعود إلى لبنان، وأن يترك الفشل الكلوي يأخذ مساره الطبيعي داخل جسد أخته، ليقضي عليها في المستقبل، هذا هو خبر النحس الثاني، الذي يتلقاه خلال اليومين الماضيين، انقبض قلبه عندما تذكر أمه، عندما كانت تردد دائماً: التالتة ثابتة.

بعد أخذ وردّ، رأى أنه لا خيار آخر أمامه سوى القبول بإجراء العملية، مرّ أكثر من ست ساعات وهو جالس بالردهة المقابلة لغرفة العمليات، لم تنتهِ العملية، ولم يخرج أحد من غرفة العمليات، ليخبره بنجاح

العملية خلال هذا الوقت الطويل الذي قضاه بالانتظار، شعر لأول مرة منذ فترة طويلة بحاجته إلى الدعاء إلى الله، ليساعده على شفاء أخته. في هذه الظروف الشديدة أدرك بأنه بحاجة إلى قوة لا متناهية لكي تتدخل، لتنقذه من هذا الموقف الذي يمر به، تذكر مايا وتمنى لو أنه لم يعاملها بتلك القسوة، وعاهد نفسه بأنه إذا ما شفيت أخته، ونجحت هذه العملية فسوف يتغير، سيتزوج مايا، ويمنعها من أن تمارس مهنتها، إن لديه في البيت حوالي أربعة عشر ألف دولار، وعند مايا رصيد بالبنك بحدود عشرة آلاف دولار، إن هذا المبلغ كافٍ لتحقيق حلم مايا بفتح دكان للملابس النسائية المستعملة، في حي شعبي في بيروت.

فوجئ بأن باب الردهة يفتح، وتدخل منه الممرضة القادمة من غرفة العمليات، لتخبره بأن العملية قد نجحت، وأن الأمور كلها على أحسن ما يرام، بعدها خرج من الغرفة رجلان يجران نقالة متحركة، تستعمل عادة لنقل المرضى، كانت أخته سعاد ممدة عليها، شاهد وجهها البريء الشفاف، وقد أغلقت عينيها بتأثير مفعول البنج، كأنها ملاك نازل من السماء من كثرة سعادته، ولم يشعر إلا بيده تمتد إلى جيبه، لتخرج جميع القطع الورقية الموجودة فيها، وتدسها في يد الرجل الذي يحمل نقالة أخته سعاد، سيتم الآن نقلها إلى غرفة الإنعاش، التي تفصل بين صالة العمليات وعنابر النوم، لمراقبتها أثناء اجتيازها فترة الصحو من التخدير.

شعر بالنشوة من هذه الأخبار السارة، ما جعله أكثر ثقة بنفسه، بطبيعة الحال ذكرته هذه اللحظات بعلاقته بمايا، فأحس بالاسترخاء والراحة، أخذ هاتفه الجوال، وأرسل رسالة نصية إلى مايا.. نجحت عملية أختي، وسأعود قريباً، لأتزوجك، ونفتح محلاً لبيع الملابس المستعملة..... توقفي عن العمل فوراً، عند استلامك هذه الرسالة، بعد ثوان ظهرت على شاشة جواله علامة دائرية باللون الأزرق وفي داخلها إشارة تعجب، ما يشير إلى أنه لم يتم تسليم الرسالة، فعرف فوراً بأن مايا قد غيرت رقم هاتفها الجوال، وحصلت على رقم جديد، كعادتها

من فترة إلى أخرى، مخافة أن تقوم الشرطة الأخلاقية بتتبع مخابراتها الهاتفية مع زبائنها، لأن جميع خطوط الهاتف في لبنان مراقبة.

آخر ما كان في بال وائل قد حدث فعلاً، بعد أن أوصلته مايا إلى المطار، أخذت تاكسي، وعادت مباشرة إلى غرفته، فتحت الباب بمفتاحها، وهي تمشي على رؤوس أصابعها، حتى لا تسمع الجارة صوت خطواتها، إن وائل يهتم كثيراً بأمر هذه الجارة، ومن كثر ما يتحدث عنها وعن ابنتها أصبحت تشعر بكراهية لهما، خافت من أن تستدعي الجارة البوليس، فيما إذا سمعت حركة في بيت وائل، لأنها تعرف بأنه سافر صباح اليوم خارج لبنان.

فتحت الخزانة الصغيرة الموجودة بالغرفة، بدأت تفتش بدقة عن مبلغ الخمسة عشر ألف دولار التي تتوقع أن يكون وائل قد تركها بغرفته، التي تؤمن بأنها حصتها من السرقة، أخرجت جميع الملابس وفتشت جيوبها فلم تجد شيئاً، ومررت يدها على بطانية السترات البالية الموجودة بالخزانة، لتتحسس وجود أي كتلة من الأوراق المالية قد تكون مخبأة بينها وبين قماش السترة، فلم تجد شيئاً، إنها موقنة من أن وائل من المستحيل أن يضع في جيوبه كل هذا المبلغ، وهو ذاهب إلى الهند، قلبت مفرش التخت معتقدة أن وائل ربما خبأ النقود تحته، فلم تجد شيئاً أيضاً، حتى انتابها اليأس من كثرة التنقيب في غرفة النوم.

انتقلت إلى التفتيش في المطبخ، إنه المكان الوحيد المناسب ليخفي فيه وائل هذا المبلغ، فتحت البراد وكان تقريباً خالياً إلا من بعض الفواكه والخضراوات، وضعت كرسي الطاولة وصعدت إلى سطح النملية الخشبية القديمة التي يستعملها وائل لحفظ صحون وأدوات المطبخ، لم تستطع أن تمدّ بصرها لتشاهد ظهرها، فوضعت يدها، وتلمست سطحها الخشبي، فاصطدمت يدها بصندوق صغير من التنك، دفعته بأطراف أصابعها حتى اقترب من حافة الخزانة، ثم أمسكته بيدها، نزلت من على الكرسي، وضعته على الطاولة وفتحته، لم تصدق عينيها،

وهي تشاهد محفظة قوادها السوداء، التي ميزتها بكل سهولة، فتحتها بيد مرتعشة، لتجد في داخلها البطاقة الشخصية لقوادها وشهادة سواقة السيارة، ولم يكن بداخلها الألف دولار التي قبضها عند مغادرته شقة زبونها، لقد أعمى هذا المنظر بصيرتها لفترة قصيرة من الوقت، وعندما أعادت نظرها في الصندوق، وجدت عدداً محدوداً من أوراق الخمسمئة يورو، وعدداً كبيراً من فئات عملة اليورو الصغيرة، أحصتها بسرعة، لتجدها بحدود ثلاثة آلاف يورو، لابد من وجود مبلغ أكبر، قد قام وائل بإخفائه في مكان آخر، لكن في هذه اللحظة تأكدت بأن وائل هو الذي قام بقتل قوادها بالمصعد، فانتابتها نوبة الذعر من وائل، لأنها تصورته بأنه شخص ممسوس قادر على القيام بأي عمل يخطط له، يجب عليها أن تتخلص من المحفظة السوداء، لتزيل الإثبات الوحيد المتبقي، الذي يربطها بقتل قوادها، لأنه لو حدث وألقت الشرطة القبض على وائل، فسيوجهون الاتهام إليها، بأنها شريكته في الجريمة، وأنها أعطته عنوان المبنى الذي تمّ فيه قتل المغدور.

لم يعد يهمها أن تبحث عن بقية النقود، اكتفت بثلاثة آلاف يورو، جلست قليلاً على الكرسي خلف الطاولة لتسترد أنفاسها، وتستجمع شجاعتها، وتترك التردد جانباً، إن عليها أن تغادر المنزل بأسرع ما يمكنها، أخذت الحافظة وكل ما فيها من أوراق، وبدأت تقصها بالمقص الموجود بالمطبخ، على الرغم من أن المقص لم يكن على درجة كبيرة من الحدّة، إلا أنها تمكنت من تقطيعها إلى شكل قطع صغيرة، بحيث لا يمكن لأي شخص أن يقوم بتجميعها مع بعضها مرة ثانية، حملت هذه القطع معها لترميها في حاوية الزبالة، وهي في طريقها عائدة إلى بيتها، إن عليها أن تغادر بيروت مع أمها وأخيها إلى بيت قريبتها في صيدا بأقرب وقت ممكن، قبل أن يعود هذا المجنون، ويكتشف أنها فتشت بيته، ووجدت الصندوق الذي على ظهر النملية، عليها أن تختفي بصورة نهائية من حياته، لأنه قادر بتهوره على تدميرها مع جميع أفراد عائلتها.

الفصل الرابع

بدا النهار طويلاً بشكل فظيع، لاحظ أن عقارب ساعته بالكاد تتحرك، يزحف الزمن ببطء شديد، وهو جالس وحده في عالم الجدران والأبواب البيضاء في المستشفى أمامه اللاشيء، وأمامه كل شيء، لأنه لا يستطيع إدراك ماهية الزمن، ولا الأسباب التي تجعله يحس بأن له سرعات مختلفة، فهو عندما يكون سعيداً، لا يشعر بمرور الوقت، لكنه في ساعات تعاسته، يتوقف الزمن عن الدوران، بعد أن استعادت أخته وعيها، وصحيت من تأثير البنج، تمّ نقلها إلى غرفتها، جلس لفترة إلى جانبها حتى اطمأنّ عليها، وعاد بعدها إلى غرفته بالفندق، أول ما فعله بعد جلوسه على الكنبة أنه اتصل بمايا على هاتفها الجوال في بيروت، جاءه الجواب من نظام المجيب الصوتي لشركة الاتصالات في لبنان: الرقم خارج الخدمة، يرجى الاتصال لاحقاً، لم يعد لديه مجال للشك بأن مايا قد بدلت رقم جوالها، تذكر نصيحة صديقه المعلم على التلفزيون، بأن عليه ألا يثق بمايا.

انقلبت مشاعره نحوها رأساً على عقب، فهو رجل مزاجي متقلب، لا يعرف الاستقرار على حالة واحدة، خمّن بأنها، ربما قد خانته واصطادت عشيقاً غنياً، أو وجدت لنفسها قواداً جديداً، إنها امرأة فاسقة لا يمكن

الاعتماد عليها، في صغره كان مهووساً بقصص جاك السفّاح، الذي عاش في لندن قبل أكثر من مئة سنة، كان مصلحاً اجتماعياً، وكل همه أن يخلّص مدينة لندن من العاهرات، لأنهن ينشرن الأمراض الجنسية في المجتمع، ويدمرن مفاهيم مؤسسة الزواج، كان يقتل المومسات ويرمي بجثثهن في نهر التايمز، وأكثر ما أعجبه في سيرته، بأن أحداً لم يستطع حتى الآن اكتشاف اسمه الحقيقي، إنهن طفيليات، يمارسن أقدم مهنة عبر التاريخ، فهن كسولات، ولا يردن تحمّل المسؤوليات، عندما يعود إلى بيروت، عليه أن يجد حلاً لمشكلة مايا، لأنها تعرف أكثر مما ينبغي.

تمنى لو أن كان معه الآن رقم جوال المومس الثانية التي تشارك مايا في شقتها، لقد أعطته مايا مرة رقمها، ولكنه لم يحتفظ به في جواله، إنه يكره أن يضيف أي رقم جديد إلى الأرقام القليلة الموجودة في ذاكرة جواله التي لا تتعدى سبعة أرقام، يستغرب كيف أن بعض الأشخاص يحتفظون على جوالهم بمئات الأرقام، عدد الأشخاص في هذا العالم قد تجاوز سبعة مليارات إنسان، وهم يتكاثرون كالفطر بعد المطر، يستنفدون خيرات الأرض، ويستهلكون مياهها من دون رحمة، إن أغلب الأشخاص الموجودين في هذا العالم، لا يستحقون نعمة الحياة، فهو لا يتعاطف إلا مع أمه وأخته وصديقه سعيد، لأنه حاول أن يقنعه بأن يبقى بوظيفته، ويأخذ إجازته السنوية بدلاً من تقديم استقالته، لما قرر الذهاب برفقة أخته إلى الهند، أعطاه سعيد مئتي دولار ليشتري بها هدية لأخته سعاد، ولا يستطيع أن ينسى موقف سلمى التي أخذت منه رقم هاتف أمه، ووعدته بأنها ستتصل بها كل يوم، أثناء غيابه لتطمئن عليها، أما بقية الموظفين، فكانوا سعداء بهذه المصيبة التي حلت به، وهم يتمنون أن تكون رحلة بلا عودة.

في صباح اليوم التالي وصل باكراً إلى المستشفى، عندما دخل الباب شاهدها ممدة على السرير، وجهها شاحب، يبدو عليه التعب والإرهاق، كما لاحظ زجاجة المحلول الوريدي المعلقة على الحامل الحديدي بجانب

سريرها، وقد امتد منها أنبوب مطاطي ينتهي بأبرة تشبه الفراشة تم إدخالها في وريدها بمنطقة يدها تحت الكوع، استدعى الممرضة، وسألها عن حالة أخته فأجابته: بأن كل الأمور تحت السيطرة.... إن شهية أخته منخفضة للطعام، لقد رفضت أي غذاء... أو شرب الماء... ما سيؤدي إلى جفاف جسمها.... لذلك كان لابد من إعطائها الأدوية عن طريق المحلول الملحي. ولما سأل أخته عن وضعها، أحس بأن الكلمات تخرج من فمها بصعوبة، وأن حركتها بطيئة.

فلما أعاد سؤاله للممرضة عن سبب ذلك، كان جوابها: إنها تعاني بعض الآلام نتيجة العملية الجراحية، لذلك أعطاها الدكتور هارش مسكّناً قوياً لتتمكن من النوم، وحرارتها مرتفعة قليلاً... وإن كل هذه الظواهر هي مضاعفات طبيعية تحدث بعد العمليات الجراحية... وليس هناك أي داعٍ للقلق.

لم يشعرٍ بالاطمئنان لكلام الممرضة، لكنه حاول أن يقنع نفسه أنها امرأة اختصاصية خبيرة، لقد مرّ على رأسها كثيراً من العمليات الجراحية، قضى عدة ساعات في غرفة أخته، تركها وهي نائمة ونزل إلى المطعم المعد لزوار المستشفى. اشترى ساندويشة من لحم الدجاج المدخن وزجاجة بيبسي كولا، لم يستسغ طعم الساندويشة، ولا رائحتها الغريبة، إنه يشم طوال الوقت روائح كريهة، تنبعث من كل مكان، إن مفهوم النظافة معدوم حتى في هذا المستشفى، عاد إلى غرفة أخته، أمضى ساعتين، ثم غادر غرفتها وهي نائمة.

عاد في اليوم التالي صباحاً إلى المستشفى لعيادة أخته، عند دخوله غرفتها، لحسن حظه شاهد الدكتور هارش واقفاً إلى جانب سريرها، وهو يتكلم مع الممرضة عن حرارتها... لما سأله عما يجري.... أجابه بأن الأمور كلها تحت السيطرة... لكن درجة حرارة أخته مرتفعة نوعاً ما، فهي بحدود تسعة وثلاثين درجة، لذلك طلب من الممرضة إضافة مضاد حيوي إلى زجاجة المحلول الوريدي... ولا داعي للخوف،

فالمضاد الحيوي الذي سيستعمله قوي جداً... ولن تتمكن الجراثيم من مقاومته... تصور وفقاً لمعلوماته الطبية البسيطة، بأنه من المفروض أن يقوم مختبر المستشفى بعملية زرع عينات من الدم لمعرفة نوع الجرثومة قبل تقرير نوع المضاد الحيوي، لكنه تحاشى أن يثير هذا الموضوع مع الدكتور هارش، لأنه يعتقد بأنه جراح ماهر ويعرف وظيفته، ترك أخته نائمة، وهو غير متأكد بأنها تتلقى العناية اللازمة، مقابل هذا المبلغ الكبير الذي دفعه للمستشفى.

لا يعرف كيف انقضت تلك الليلة، فلما طلع الصباح انطلق إلى زيارة أخته، فلاحظ أن منظرها غير مشجع، هناك نقص كبير للطاقة عندها، وحركتها بعد يومين من إجراء العملية مازالت بطيئة، ومازالت تتكلم بصعوبة، إنه يعرف أن نقص الطاقة هو سمة من اقتراب الموت. شاهد اضطراب عملية تنفسها بوضوح، لقد عانت أخته لفترة طويلة مرض القصور الكلوي، مرت بمراحل كثيرة، كانت في كل مرة تدل على قرب نهايتها، لكنها بصبرها وشجاعتها قد تجاوزتها، وهي الآن كعادتها ستستمر في المقاومة، حتى تجتاز هذه المرحلة إلى بر الأمان.

تركها وهي تغط في نوم عميق، قرر أن يعود إلى غرفته ليأخذ دوشاً ساخناً، لأنه يشعر بالقذارة والتعب، وسيعود إليها بعد وقت قصير، ما كاد يصل إلى غرفته، حتى رنّ جرس جواله، كان الدكتور هارش على الطرف الآخر من الخط، من كلامه المتلعثم، ولهجة صوته، وكأنه لا يعرف كيف يبدأ حديثه، شعر بأن أخته قد فارقت الحياة، نزل الفندق وأخذ أول تاكسي صادفها في طريقه إلى المستشفى، صعد مباشرة إلى غرفة أخته، ولم يمر بطريقه على طاولة الاستعلامات الموجودة في الطابق، فتح باب غرفتها، ولم يصدّق عينيه، كان السرير خالياً، وكأنه لم يكن هناك مريض فيه منذ ساعات، أثناء مروره أمام طاولة الاستعلامات، شاهدته الممرضة المناوبة، فحاولت أن تلحق به، لتخفّف عنه من وقع الصدمة.

أخذت بيده.. لاحظ الدموع في عينيها.. وهي تقول له: إن الدكتور

هارش بانتظاره في عيادته بالطابق الأرضي، دخل الغرفة، فقام الدكتور من خلف مكتبه وتقدم إليه وعانقه، ثم قدم له التعزية بوفاة أخته. باشر حديثه، أخذ يعطي الأسباب المبررة لوفاتها، أكد له أنها توفيت أثناء نومها ولم تكابد آلام الموت الفظيعة، لما وصل الدكتور إلى هذه النتيجة، خطر له أن يأخذ قلم الحبر الناشف الموجود على سطح طاولته، ويغرزه في رقبته، ليستمتع بمنظر الدم الأحمر، وهو يندفع من شرايين رقبته السمراء الداكنة، ليتوقف عن الكذب وعن إيجاد الأعذار المبررة لإهماله وعدم كفاءته، إنها ليست مستشفى، بل هي مؤسسة تجارية تسعى وراء الربح، لكنه تذكر نصيحة صديقه المذيع على التلفزيون، بأن عليه أن يتماسك، وفهم بنهاية الحديث، أنه تم نقل جثة أخته إلى البراد في المستشفى، حتى يتخذ قراره، ماذا يريد أن يفعل بجثتها.

حدثت الأمور بسرعة كبيرة جداً، حتى إنه لم يستوعبها، تبادر إلى ذهنه في بادئ الأمر، بأن ما يشاهده هو مجرد حلم عابر، يمر أمام عينيه أثناء النوم، وعندما يستيقظ، ستكون كل الأمور على ما يرام.

لقد اتصل منذ قدومه إلى هنا على الهاتف الجوال بأمه ثلاث مرات، الأولى ليخبرها بوصوله وأخته إلى بومباي، والثانية بعد إجراء العملية، حين زفّ إليها خبر نجاحها، والبارحة بالليل ليؤكد لها أن صحتها بخير، وليعلمها بأن الطبيب متفائل من نتيجة العملية، من المفروض أن يتصل بها هذه الليلة، ليطمئنها على أوضاع ابنتها، أخذ يفكر ماذا سيقول لها، وماذا سيحدث لها، عندما تسمع خبر هذه المصيبة، قرر أن يضع جواله خارج الخدمة طوال هذه الليلة، فيما إذا خطر لها أن تتصل به في هذا المساء.

لم يستوعب كيف حدثت الوفاة، لا شك أن الدكتور هارش يكذب عليه، سار بوجهه مباشرةً لرؤية مدير المشفى، لم تسمح له الممرضة بمقابلته، بحجة أنه باجتماع مهم، فأحالته إلى مقابلة نائبه، وهو كبير الجراحين بالمستشفى، عندما دخل غرفة عيادته، وجده جالساً خلف

الطاولة وهو في الستينيات، شعره الأبيض الشائب، أعطاه الشعور بأنه يقابل شخصاً محترفاً في مهنته، سلم عليه الدكتور بحرارة، وقدّم له التعزية باسمه، وباسم العاملين بالمشفى بوفاة أخته، شرح له أنه في جميع عمليات نقل الأعضاء هناك احتمال لحوالي العشرة بالمئة من المرضى، بأن يكون عندهم علامات الرفض لهذا الجسم الجديد، الذي تم زرعه في أجسادهم، على الرغم من أنهم يحصلون من الأدوية التي يتناولونها على مثبطات المناعة. إن سعاد قد ماتت نتيجة لجلطة دموية، التي يمكن أن تحدث بعد أي نوع من العمليات الجراحية الكبيرة. وخاصة في منطقة البطن والظهر، وهي غالباً ما تحدث بعد يومين إلى عشرة أيام بعد الجراحة، وأنه لا علاقة لارتفاع درجة حرارتها بوفاتها، وستقتطع إدارة المستشفى مبلغ ستة آلاف دولار، وهي تكلفة العملية وأجرة الغرفة، وستعيد إليه المبلغ الباقي من تأمين دخول المشفى.

شعر بالخجل من نفسه، عندما تصور أن هؤلاء الأطباء عبارة عن مجموعة من النصابين، وأردف الدكتور قائلاً: إن أخته قد عانت وتألمت كثيراً من مرض القصور الكلوي، وقد يكون الموت خلاصها من هذا العذاب، إن كثيراً من الأحياء يحسدون الأموات، لأنهم ذهبوا وتركوا هذا الشقاء الذي لا ينتهي، الموت بالنهاية هو من طبيعة الحياة، وليس نهايتها كما يتصور أهل الميت، تصور كم ستكون الحياة مملة وقاسية لو أن كل واحد منا عاش ألف سنة، شعر بسكون داخلي عميق، وهو يستمع إلى الطبيب، وتمنى لو كانت أمه جالسة معه، لتستمع إلى هذا الكلام.

خرج من غرفة معاون مدير المستشفى، وباشر بالمشي باتجاه الفندق، إنه يستمتع بالمشي عندما يكون تحت الضغوطات الشديدة، فالمشي يحرره من التوتر، ويساعده على اكتشاف أفكار جديدة، تساعده على التغلب على مشكلاته، خطر له أن الحل الوحيد أن يتصل بسلمى، ويطلب منها أن تنقل خبر وفاة أخته سعاد إلى أمه. تعوّد منذ صغره

عندما تسوء الأمور، أن يلجأ إلى أحلام اليقظة، والاعتماد على الآخرين لحل مشكلته، لم ينتظر حتى يصل إلى الفندق، لأنه خاف بأنه ربما قد يغير عقله، ويستصعب الاتصال بسلمى.

ذهب إلى مقهى شعبي على طرف الشاطئ، وطلب زجاجة كولا، اتصل بسلمى، خلال ثوانٍ سمع صوتها على الطرف الثاني... لم يعرف ماذا يقول، استجمع كل شجاعته، فسألها عن حالها وعن أهلها، وإذا كانت على اتصال مع أمه، فاجأته بقولها: إنها كانت البارحة عندها، وهي سعيدة بنجاح عملية سعاد، لم يعد يعرف، كيف يتابع حديثه، توقف خروج الكلام من فمه، واضطرب إيقاع صوته، واجه صعوبة في التحكم بكلامه، رفع يده اليسرى ليجفف دموعه، لم يعد يستطيع الاستمرار، انفجرت سلمى بلحظتها في البكاء، لقد أدركت أن سعاد قد غادرت هذا العالم، طلب منها أن تذهب غداً لزيارة أمه، لتخبرها بأن ابنتها قد توفيت، فكان جوابها: إنها لا تستطيع مواجهتها في هذا الموقف، واستمرت في البكاء وهي تصدر أصواتاً خافتة، كأنها تنهدات خارجة من أعماقها، أغلق الخط، اتخذ قراره النهائي، بأنّ عليه أن يتوقف عن الاتصال بأمه، وسيبقي جواله مغلقاً حتى يعود إلى بيروت.

لا أحد يعرف التفصيلات الصغيرة والعلاقات العامة مثل موظفي الاستعلامات بالفنادق، فهم بحكم عملهم على اتصال مباشر مع جميع فئات المجتمع، وهم على علاقة فورية مع زبائن الفندق الأغنياء، ومع المومسات الذين يجلبونهم إلى غرف النزلاء، لإشباع نزواتهم، ومع سائقي التاكسي الذين لا يتورعون عن القيام بأي عمل مقابل النقود، وفوق ذلك كله، فهم على علاقة جيدة مع رجال الشرطة. خطر له أن يعرض على موظف الاستعلامات في الفندق، أن يأخذ إجازة من عمله بالفندق لمدة يومين، ليساعده على موضوع تأمين دفن أخته بالمقبرة الإسلامية في بومباي، لقد عرض عليه مبلغاً لا يمكنه أن يرفضه، لقد وعده بأنه سيعطيه خمسمئة دولار، إذا أنهى له هذا الموضوع خلال يومين.

أمام إغراء هذا المبلغ، لم يكن لراجا موظف الاستعلامات بدٌّ من الموافقة، طلب منه أن يمهله ساعتين حتى يتمكن من تدبّر الأمر، وسيطلب تكسي ليصطحبه إلى مقبرة المسلمين بادا كابيستان التي تقع على البحر إلى جنوب بومباي، وتبعد عنها سبعة وأربعين كيلومتراً، بعد ساعتين انطلق وائل مع راجا موظف الاستعلامات باتجاه مقبرة المسلمين، إن أخته بنت مؤمنة، وهي تستحق على أقل تقدير أن تدفن حسب الطريقة الشرعية، إن إكرام الميت بالإسلام غسله والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين، وهو لن يتردد في دفع أي مبلغ لإنجاز ذلك، كان خائفاً من أن يرفض المسؤول بالمقبرة دفن أخته في التراب الهندي، لأنها زائرة وليست مقيمة في الهند، لكن موظف الاستعلامات، استلم الحديث مع مسؤول المقبرة، وأفهمه أنها بنت مسلمة مؤمنة بالله ورسوله، وأن أخاها على استعاد لأن يتبرع للمقبرة بألفي دولار من أجل دفنها فيها. رحّب المسؤول بهما، أعطاه ورقة رسمية مطبوعة، لإملائها وتوقيعها، كما طلب منه شهادة وفاة موقعة من المستشفى، على أن تقوم سيارة الإسعاف العائدة للمستشفى بنقل جثمانها إلى المقبرة، لم يكن يتوقع أن تجري الأمور بهذه السهولة، لكن النقود وفقاً لتجربته قادرة على تذليل جميع العقبات.

تم نقل جثمان سعاد إلى مقبرة بادا كابيستان، وأقيمت صلاة الجنازة عليها في المسجد الصغير فيها، ولقد أخبره راجا أنه في هذه المقبرة، يرقد في سلام أهم الممثلين المسلمين في بوليوود، إنها مقبرة كبيرة ومشهورة في كل أرجاء الهند، عندما انتهت الصلاة ومراسم الدفن، وأصبحت أخته تحت التراب، شعر بارتياح كبير، لأنه لم يكن يتخيل كيف سيكون موقف أمه، لو عاد ومعه جثة ابنتها سعاد.

أخذ الطائرة وعاد إلى لبنان، لم يخبر أمه ولا سلمى بموعد وصول طائرته إلى مطار بيروت، إنه بحاجة إلى بعض الوقت الخاص لترتيب أموره، أخذ تاكسي من ساحة المطار، واتجه مباشرة إلى بيته، ينتابه

قلق مبهم، بأن مايا ربما قد دخلت إلى بيته في غيابه، فوجئ لما دخل المطبخ، وشاهد علبة التنك المعدنية مفتوحة على طاولة المطبخ، نظر إليها فوجدها فارغة، لاشك أنها مايا، لأنها الوحيدة التي معها مفتاح البيت، خاف من أن تكون قد التقطت محفظة قوادها بقطعة من البلاستيك وحفظتها عندها بعناية، لتبقي عليها آثار بصماته، ولتبتزه فيها بالمستقبل، شاهد أنها أخذت جميع ورقات العملة الموجودة بالعلبة، وهي بحدود أربعة آلاف دولار، كاد قلبه يتوقف وهو يسرع إلى مطربان الرز الموجود في النملية، أدخل رؤوس أصابعه وتحسّس مبلغ رزمة عشرة الآلاف يورو التي خبأها بين الرز في أسفل المطربان، أحسّ بأنها مازالت موجودة، استغرب كيف لم يخطر لمايا، بأن تفتش في هذا المطربان.

تذكّر في هذه اللحظة أن رقم هاتف جوال المومس التي تشارك مايا في شقتها موجود عنده في دفتر الحسابات الصغير بالمطبخ، اتصل بها مباشرة، لما ردت عليه، أخبرها بأن اسمه وائل، وهو صديق قديم لمايا، لقد اتصل معها عدة مرات ولم تجبه، فضحكت بدلال، وقالت له: تكون حدها، لقد سافرت مع أمها وأخيها إلى تركيا لعند خالتها، حاولت أن تمطّ الحديث معه، قالت له إن مايا كانت دائماً تذكره بالخير، وهي ترغب في التعرف عليه، ويمكنها أن تحضر إلى بيته متى يشأ، تابعت بدلع: إن بعض أصدقائهم يقولون عنها بأنها أجمل من مايا، وتريد أن تأخذ رأيه الشخصي بالموضوع، اطمأن من محتوى حديثها، بأنها تشعر بالأمان معه، وهي ترغب في معاشرته، وهذا يدل على أن مايا لم تخبرها عن طبيعة العلاقة التي كانت تجمعه بها، أنهى الحديث معها، وعدها بأنه سيتصل بها مرة ثانية من أجل الحصول على موعد يجمعهما معاً.

لقد حُلّت نصف المشكلة حتى الآن، أخذ جواله، واتصل بسلمى على مكان عملها، وأخبرها بأنه وصل بيروت منذ دقائق، ويريدها أن تذهب معه الآن إلى منزل أمه، لأنه يجد صعوبة في ملاقاتها بمفرده، فوجودها معه سيخفف من احتقان الجو، وستساعده عندما يخبر أمه

بعد أقل من نصف ساعة في التخفيف من هذه المصيبة. توقف التاكسي أمام مبنى دائرة السجل العقاري، صعدت سلمى إلى المقعد الخلفي، جلست إلى جانبه وهي تحاول جاهدة أن تخفي دموعها، مدّ يده وأمسك بيدها، وضغط عليها بلطف، إنه يعرف أن الطاقة الحيوية الإيجابية قادرة على تغيير الواقع.

اتجهت السيارة إلى منزل والدته، وحين وصولهما فتحت أم وائل الباب، لم تصدق عينيها وهي تشاهد وائل واقفاً أمام الباب، وحده ومعه سلمى، سألته مباشرة: أين سعاد؟! لم ينطق وائل بكلمة واحدة، هنا انبرت سلمى لتجيبها: العمر إلك.. البركة بوائل، عندما تفقد الأم أحد أولادها، تصبح عبارات المواساة لا معنى لها، إلا لمنعها من التركيز على مصيبتها وإلهائها بالمجاملات عن بليتها، أخذت أم وائل تصرخ وتضرب صدرها بيديها، لقد أدركت أنها لن ترى سعاد ثانيةً، وهي تصرخ لماذا اختار الله سعاد وتركهاعائشة وحدها في هذه الدنيا.

المنظر فاق قدرة وائل عن تحمله، ولم يعد قادراً على كبت دموعه، فانفجر باكياً، واندفع نحوها، مقبلاً يديها ورأسها، فانهارت سلمى من البكاء، أخذت أم وائل تصرخ على هذه المصيبة التي ابتلاها الله بها، وتنادي بأعلى صوتها طالبة منه أن يلحقها فوراً بابنتها سعاد، سمع جيران الشقة المواجهة صوت بكائها وصراخها، فاجتمعوا حول أم وائل محاولين تهدئة الموقف، وتذكيرها بأنها أم صالحة تؤمن بالله، وليس لها حيلة إلا القبول بمشيئته، تحت هذه الفوضى والصراخ أغمي على أم وائل، سقطت على الأرض، لم تعد عضلات جسمها قادرة على حملها من هول الصدمة، فرفعتها جارتها أم علي التي تعيش معها في هذا البناء منذ أكثر من ثلاثين سنة، حملتها مع ابنها وائل وسلمى، وسطحتها على سريرها، خطر لوائل أن أمه ربما قد أصيبت هي أيضاً بجلطة قلبية، فكر بأن يستدعي الإسعاف، إلا أن أم علي طمأنته بأنها حالة إغماء عادية، تصيب النساء بسبب انخفاض ضغط الدم، أحضرت إحدى

الجارات محلول ماء الزهر، وأخذت ترشه على وجه أم وائل، بالفعل بعد حوالي دقيقتين، استعادت وعيها بالكامل، وانخرطت بالبكاء من جديد.

كان الموقف قاسياً على وائل، وأصبح كل همه الآن بعد أن استعادت أمه وعيها، أن يفكر كيف سيتمكن من مقابلة المعلم على شاشة التلفزيون في بيته في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل كالعادة. الساعة الآن تشير إلى السابعة مساءً، لقد مضى عليه أكثر من خمس ساعات في هذا الجو الكئيب، بعدها خارت قوى أمه وانهارت، وغرقت في نوم عميق على سريرها كالطفل الصغير، محاولةً الهرب من هذا الواقع التعيس إلى عالم أكثر رحمةً لتعيشه في منامها، تلتفت فيه إلى الباب، لتنتظر دخول ابنتها سعاد.

تطوّعت جارتها أم علي لأن تنام معها في غرفتها على فراش المرحومة سعاد، إنها لن تتركها وحدها في هذه المصيبة، استغل وائل هذه الفرصة، وانسحب من الغرفة، خرج من البيت على أساس أنه سيعود لزيارة أمه في الصباح الباكر، لحقت به سلمى، فهي تأخرت عن موعد عودتها إلى أهلها. عليها أن تستقل الباص لمسافة طويلة، للوصول إلى الضاحية الجنوبية، أوقف وائل أول تاكسي صادفها في الشارع، طلب من سائق التاكسي أن يوصل سلمى إلى بيتها، ثم يوصله إلى بيته، لم تكن سلمى ترغب في استخدام التاكسي، لأنها تعرف أحوال وائل المادية، ولكنها سايرته لكيلا تكسر بخاطره.

انتظر وائل الساعة الثالثة، حتى طلّ المعلم على شاشة التلفزيون، لقد مضى أكثر من ثلاثة أسابيع على آخر لقاء بينهما، استهل حديثه بتعزيته بوفاة أخته، نصحه أن من واجبه أن يبحث عن دار رعاية خاصة للمسنين، يجب أن تكون من الدرجة الأولى، بغض النظر عن تكلفتها الشهرية، ليضع أمه فيها. عليه ألا يقلق بخصوص موضوع النقود، كما أن عليه أن يستجمع قواه، لأن هناك أشياء كثيرة خطِرة بانتظاره، وانتهت المقابلة.

استيقظ وائل مبكراً، وبدأ يبحث في الإنترنت عن دار مأوى للعجزة في بيروت، حتى وجد واحدة اسمها دار العمر الطويل، تقع في بكفيا بالمتن، في حضن جبل تغطيه أشجار الصنوبر، وتطل على البحر، وهي تبعد عن بيروت مسافة خمسة وعشرين دقيقة، وستكون تكلفة إقامتها فيها بالشهر بحدود السبعمئة دولار، فكّر بأنه سيقوم بتأجير البيت الذي تعيش فيه أمه، والذي ورثوه من المرحوم والده بحدود الأربعمئة دولار، وبذلك يكون عليه أن يدفع عملياً ثلاثمئة دولار بالشهر، بدا له هذا المبلغ معقولاً جداً، كل ماعليه الآن، أن ينتظر مرور فترة الحداد، وبعد انقضائها سيقوم بنقل أمه إلى دار العمر الطويل، لأول مرة بحياتها ستجد من يخدمها ويهتم بها، وستستمع بمناظر البحر والجبل، انتظر بشق النفس، حتى صارت الساعة الثامنة صباحاً، ليتوجه إلى بيت أمه.

الوضع مازال كئيباً في البيت، وشبح الموت مازال يسكنه، وصوت بكاء أمه ونحيبها على ابنتها سعاد لا يتوقف، اتصل بمطعم مخايل، وهو من أفضل المطاعم الشعبية في بيروت، وطلب منه تأمين عشرين وجبة غداء، ليتناولها المعزّون في بيت والدته، كعادة اللبنانيين في تناول طعام الغداء في أول يوم من أيام الحداد في بيت الميت.

بعد قليل حضرت سلمى إلى البيت، أخبرته بأنها تمكنت من الحصول على إجازة لمدة يومين، لتقضيها إلى جانب أمه لكيلا تشعر بالوحدة.... أعلمها وائل بأنه طلب من مطعم مخايل أن يحضر عشرين وجبة طعام للغذاء، فصرخت سلمى: هل أنت مجنون، هل تعرف تكلفة هذه المطاعم، هزّ وائل رأسه، لم تعد تعرف سلمى ماذا يجري مع وائل، فحسب علمها بأنه يعاني مشكلات مادية بصورة مستمرة، ودائماً مديون لصديقه الوحيد سعيد، شاهد وائل نظراتها المتسائلة، فشرح لها بأنه يعمل حالياً في مجال التجارة بالعملات الرقمية الافتراضية في بيته، لقد جنى كثيراً من الأرباح بالمضاربة على قيمة البيتكوين، لم تفهم سلمى كلمة واحدة من قصة التجارة بالعملات الإلكترونية.

ما كادت سلمى تصل إلى بيتها، حتى فتحت الإنترنت مباشرة على موضوع العملات الإلكترونية، هالها العدد الهائل من المقالات الموجودة حول هذا الموضوع، لكن الأهم من ذلك كله، صور مئات الأشخاص الموجودين على الإنترنت، وكل واحد منهم يتكلم عن ملايين الدولارات التي حققها بفترة وجيزة من التعامل بهذه العملة الافتراضية. أغلبية الأشخاص تدعي أنها دخلت السوق ورأسمالها كله لا يتجاوز بضع مئات من الدولارات، استنتجت أن العالم أصبح منقسماً إلى فئتين، أمثالها الذين يكدحون لساعات طويلة في النهار، وبنهاية الشهر يحصلون على راتب قليل يسد الحاجات اليومية الضرورية لاستمرارهم في الحياة. وفئة ثانية متعلمة ذكية، تشغّل عقلها لفترة عدة ساعات في النهار، وتجني أموالاً طائلة من وراء قدرتها على التفكير والإبداع، أصبح من المستحيل في هذه الأيام على الأشخاص العاديين تجميع النقود من وراء العمل الجاد، ولو حتى لو عملوا لفترة عشرين ساعة في النهار.

لما قابلت وائل في اليوم التالي، أخبرته بأنها قد اقتصدت ألفي دولار من راتبها، وهي تريد أن تعطيه هذا المبلغ ليستثمره لحسابها في المضاربات بالبيتكوين، شرح لها وائل باقتضاب مبدأ التعامل بالعملات الافتراضية، وأن هناك احتمالات كبيرة في الوقت نفسه لتخسر الألفي دولار، ترددت سلمى، لأنها كانت تحتفظ بهذا المبلغ من أجل إجراء عملية جراحية تجميلية لأنفها، وهي تعرف أن هذا المبلغ لا يكفي لإجراء العملية لتصحيح أنفها المعقوف، إن أقل مبلغ تحتاجه لإجراء هذه العملية، بوساطة طبيب جراح عادي هو ثلاثة آلاف وخمسمئة دولار، أما إذا كانت تريد أن تجري العملية في مركز طبي مشهور، فهي بحاجة على الأقل إلى ستة آلاف دولار، إنها عملية جراحية شائعة تستخدمها كثير من البنات في بيروت، بهدف تحسين المظهر العام لوجوههن، لكن عليها ألا تتسرع كعادتها في اتخاذ هذا القرار، ثم بعد ذلك تتأسف على القرار الذي اتخذته، فيما لو فشلت العملية، إن عليها أن تجد جراحاً ماهراً

مختصاً في جراحة حداب الأنف، ليعيد تشكيل أنفها ويصغره ويرفعه قليلاً، ليضفي جاذبية خاصة على وجهها، إن الرجل الشرقي يموت بالأنف الصغير المرفوع.

ابتسم وائل وأكد لها أنه على استعداد ليدفع تكلفة هذه العملية، لكن يجب عليها أن تختار الجراح الماهر، وأن تجري هذه العملية في مشفى معروف، حتى لا تتعرض لانتكاسات قد تدمر ملامح وجهها، كما حدث لبعض الممثلات المعروفات، اللواتي اعتزلن الفن، بعد أن دمرت العمليات الجراحية التجميلية حياتهن.

وقعت هذه الكلمات على سلمى وقوع السحر، أحست أن علاقتها بوائل لم تعد علاقة عادية، آن الأوان لها لأن تدفع وائل، لكي يتقدم لخطبتها، عندما تحدث معها وائل عن نيته في أن يضع أمه في دار المسنين، وأن يقوم بتأجير البيت الذي تسكنه، خافت من أن تفلت هذه الفرصة من يدها، فهي مازالت تتصور بأن الحل الأفضل للجميع، بأن يتزوجها وتنتقل لتعيش معه جنباً إلى جنب مع والدته، وأن يقوم بتسليم الغرفة التي يستأجرها، فهي لم تكن مرتاحة للطريقة التي يتحدث بها وائل حول صاحبة البيت وابنتها.

وائل هو الشخص الوحيد الذي يدرك صعوبة مشاركة حياته مع شخص آخر في البيت نفسه، فمساحته الخاصة التي يحتاجها كبيرة جداً، إضافة إلى أنه بحاجة إلى أن يقابل المعلم في غرفته وحده بعد منتصف الليل، هناك نقطة مهمة أيضاً، فهو مازال يفكر بأن يتزوج من ابنة صاحبة العقار الذي يقطنه، فهي شقراء صغيرة لا يزيد عمرها على سبعة عشر عاماً، عندما سيذهب إلى دفع أجرة الغرفة بآخر الشهر، سيذكر لصاحبة الغرفة أثناء الحديث، بأنه سافر إلى ملبورن في أستراليا لمتابعة موضوع الورثة التي آلت إليه من عمه، لا شك أن جارته عندما تسمع بموضوع النقود ستشجع ابنتها بلقيس على الزواج منه، إن للنقود تأثيراً عجيباً في نفسية النساء، المال وحده هو القادر على شراء

قلب المرأة، مازال يتذكر المثل الذي ترددده والدته باستمرار، إذا دخل الفقر من الباب هرب الحبّ من الشباك.

المشكلة الوحيدة التي تواجهه الآن هو كيف سيخبر أمه، بأنه قرر إدخالها إلى دار رعاية المسنين، مهما حاول أن يقنعها، بأن من مصلحتها أن تعيش بقية عمرها في دار العمر الطويل، الذي يطل على البحر، وعلى غابات الأرز في المتن، فهي لن تتخلى أبداً عن فكرتها بأنه وضعها فيها، لكي يتخلص منها، إنها تحمل الأفكار البالية التي يحملها القطيع البشري. تعيش أمه في واقع يحتاج إلى تقييم جديد، ومفاهيم حديثة تتلاءم مع ثورة التكنولوجيا، إنها لا تعرف كم يعاني، لأنه مجبر في أغلب الليالي على المبيت في شقتها، لكيلا يتركها بمفردها.

مضى أكثر من أسبوعين، وهو يتحمل على مضض هذا الوضع الجديد، الذي دمّر حياته الخاصة، بالنهاية لم يجد بداً من أن يخبرها، بأنه حجز لها في مأوى عجزة يشبه الفندق الفخم، اسمه دار العمر الطويل، وسينقلها إليه لمصلحتها، لقد دفع سلفاً أجرة غرفتها لأربعة أشهر، ردة فعلها كانت غير متوقعة، حافظت على هدوئها، إنها ماتت منذ أن سمعت بوفاة ابنتها سعاد، لكن جثتها مازالت تتحرك، يدفعها شبح الأمل، بأن ابنها وائل سيعوض لها خسارتها، وفي هذه اللحظة، تسمع بأذنها بأنها أصبحت غير مرغوبة، حتى من أقرب الناس إليها، لقد خطط للتخلص منها، باسم مصلحتها الخاصة، هناك غصة كبيرة بقلبها، من ابنها وائل، لكنها فضلت ألا تعبر عنها، لكيلا تجرح مشاعره، وصلت إلى مرحلة من اليأس أصبحت فيها عاجزة عن التحكم بحياتها، هزت برأسها بالموافقة، تاركة لابنها أن يحدد مصيرها.

أوصلها بالتاكسي ومعه سلمى إلى دار العمر الطويل، بعد أن استقرت في غرفتها التي تطل بلكونتها الصغيرة على حرش الصنوبر، أخبرها بأنه سيحضر لزيارتها مع سلمى ثلاث مرات بالأسبوع. فالمسافة كلها عشرون دقيقة بالسيارة من بيروت، فابتسمت وهزت رأسها بالموافقة، وصلت إلى

آخر مراحل الاكتئاب، ولم تعد تبالي ماذا يخبئ لها المستقبل، وصلت إلى نهايتها، عندما ودعها، أحست بداخلها بأنها لن تراه مرة ثانية.

لا خيارات أمام وائل سوى أن يعود إلى ممارسة حياته القديمة، لقد أصبح بعد استقالته من وظيفته عاطلاً عن العمل، ما خلق عنده مزيداً من الإحباط، يغلفه مزيج من الحقد والكراهية تجاه المجتمع، لقد صرف مبالغ كبيرة في الأسابيع الماضية، استهلك كل النقود التي كانت في جيوبه، لم يعد لديه الآن سوى عشرة الآلاف يورو المخبأة في المطبخ، في بعض الأحيان يذهب إلى شارع الحمرا مع صديقه الوحيد سعيد، إنه يحب شارع الحمرا منذ أيام طلعته الأولى في بيروت، فهو سوق تجاري ينفرد بطابع اجتماعي خاص، بسب وجود العديد من المقاهي والمحال التجارية الممتدة على طوله، لقد نبتت شوارع أخرى حديثة في بيروت فيها دكاكين فخمة، لكنها لم تستطع خطف الأضواء من شارع الحمرا، ومن تاريخه الطويل في الستينيات، يجلس في مطعم البندقجي مع سعيد، يأكلان المشاوي مع المقبلات والحمص، وأمامهما قنينة العرق تفوح منها رائحة اليانسون القوية، يستمتعان بتدخين الشيشة، بطعم معسل التفاح، غير عابئ بمبلغ الفاتورة التي ستأتيه بنهاية القعدة، مستلماً حديثه المفضل، مكرراً الكليشات نفسها عن الحكومة الخفية التي تحكم العالم، وعن القطيع البشري الذي يسير خلفها، تحت تأثير الميديا، وسعيد مأخوذ بهذه الأفكار الجديدة، التي لم يسمع بها في حياته من قبل، إنه ينظر بإعجاب إلى وائل، فهو شخص متعلم درس الفلسفة بالجامعة اللبنانية، بينما اقتصر تعليمه على المرحلة الثانوية، ينظر إلى وائل كمثله الأعلى في الحياة، وكم كان بودّه أن يتقمّص شخصيته، والآن يشاهد بعينيه، كيف استطاع وائل من وراء المضاربة بالعملة الرقمية حل جميع مشكلاته المادية.

اتصلت فيه صديقة مايا على جواله، فاستغرب في لحظتها كيف عرفت رقم جواله، ثم تذكر بأنه كان قد اتصل بها منذ عدة أيام، أخبرته

بصوت ممزوج بالدلع، بأنها تفكر فيه طوال الوقت، مازالت تنتظره بأن يتصل بها كما وعدها، وتابعت كلماتها وهي ضاحكة.. على الوعد يا كمون، سُرَّ وائل من حديثها، فهي مازالت ترغب في التعرف عليه، وجعله زبوناً لها، إن مايا بالتأكيد لم تخبرها عن موضوع السطو على محل الصرافة، ولم تخبرها عن أفكاره الخاصة، أثاره دلعها المصطنع، فكّر بأن يعطيها عنوان بيته لتحضر إلى عنده، ليقضي معها هذه الليلة، ثم تذكّر بأنه من الأفضل ألا يقيم معها أي علاقة، إن قيام الرجل بالتنقل من علاقة نسائية إلى أخرى، قد يتحول مع التكرار إلى نوع من الإدمان على الاستمتاع بتغيير الشريك بصورة مستمرة، إن العاهرات هنّ أسهل وسيلة لتحقيق عملية التبديل، إنهن كالفطور السامة، يجب اقتلاعهن من جذورهن، فهن أعداء الأسرة والزواج، وسبب خربان المجتمع.

وعدها بأنه مشغول بالوقت الحاضر، وسيقوم بالاتصال بها غداً، بعد أن أغلق خطّ هاتفه، قرّر أن أول عمل عليه أن يقوم به هو الذهاب إلى شركة الاتصالات المشترك في خدماتها، وإلغاء اشتراكه فيها، ثم الذهاب إلى شركة ألفا للاتصالات، للاشتراك برقم جديد، لأن هناك عدة أشخاص أصبحوا عارفين برقم جواله، من المفروض أن يكون هناك أربعة أشخاص فقط يعلمونه، أمه وسلمى وسعيد وصاحبة الغرفة التي يقطنها، للرقم أربعة مفعول سحري، فهو يعني في شرق آسيا الموت، لذلك الأشخاص الذين يخافون رهاب الموت، هم سيعانون كثيراً من استعمال الرقم أربعة، إن للحضارات الآسيوية نمطاً خاصاً في تمثيل الأرقام وتفسيرها.

الفصل الخامس

استعاد وائل عالمه الخاص، واستأنف حياته اليومية بشكل عادي، أصبح نفسياً جاهزاً للاستماع إلى نصائح المعلم على شاشة التلفزيون، فهو يمضي معظم أوقات النهار بمتابعة أخبار العالم على شاشة جواله، دفعه الفراغ إلى الانخراط في مشاهدة مباريات كرة القدم على التلفزيون، اكتشف هواية جديدة لقتل الوقت، وجد فيها الإثارة والتخدير، بشكل يفوق متعة مشاهدة الأفلام السينمائية التي مازال يعشقها منذ أيام الصغر، ميزة مباريات كرة القدم، بأنك تشعر بالأحداث الحية تجري أمامك على التلفزيون، وقد يأخذك الحماس لتتصور نفسك بأنك من أنصار أحد الفريقين المتصارعين، لذلك ترى الأشخاص الجالسين أمامك يتحمسون لفريق ما، من دون أن يكون هناك أشياء مشتركة بينهم، لأن مجرد فكرة الانتماء إلى فريق ما، تجعلهم جزءاً من اللعبة التي تجري أمامهم، إنها أسهل وأرخص وسيلة لزيادة جرعة التخدير.

اختراعه لهذه الهواية الجديدة، بمشاهدة مباريات كرة القدم على التلفزيون، ملأ ساعات الفراغ الطويلة التي يعيشها، ما أجبره على الذهاب في أغلب الأمسيات مع سعيد إلى مقهى الغلاييني على الشاطئ لمتابعة مباريات كرة القدم على شاشة التلفزيون، إن لرائحة البحر وصوت

تلاطم الأمواج سحراً خاصاً يخلصه من الاضطرابات التي يعانيها، ويجعله أقل توتراً، ويعطيه الشعور بالاطمئنان، ربما يعود ذلك إلى امتداد البحر اللامتناهي، وإلى لونه الأزرق الذي يشعره بالعزلة والحزن، ليس من المفروض أن تكون المباراة مهمة أو أن الفريقين اللذين يلعبان بها مشهوران، المهم أنها مباراة ممتلئة بالحركة، وهو يجلس مراقباً الجمهور في القهوة، وقد انقسم إلى مجموعتين، تشجع كل واحدة منهما فريقاً قد لا تعرف اسمه، من أجل المزيد من الإثارة والتخدير، هذه السهرات بالمقاهي على الرغم من تكلفتها القليلة ولكن استمراريتها قد رتبت على عاتق وائل مصروفات جديدة.

كعادته جلس منتظراً ظهور المذيع، لينبئه بالخطوات التي عليه اتخاذها، ليتمكن من الاستمرار في هذه الحياة القاسية التي لا ترحم، بالنهاية ظهر المذيع وأخبره بأن عليه أن يشتري سيارة صغيرة مستعملة، سعرها أقل من عشرة آلاف دولار، وأن يجهز نفسه لعملية كبيرة قادمة، ثم اختفى من على الشاشة، كل ما معه الآن هو عشرة الآلاف يورو التي لم تتمكن مايا من سرقتها، وهي تعادل حوالي اثني عشر ألف دولار، إن شراءه لسيارة خاصة سيزيد من قيمته الاجتماعية بنظر صاحبة شقته وابنتها الصغيرة، كما أن نوع السيارة التي سيشتريها ستعطي انطباعاً معيناً عن شخصيته لأصدقائه، وتؤثر في نظرة الجيران تجاهه.

زيارة معارض بيع السيارات أصبحت شغله الشاغل يومياً، يجب ألا يقع فريسة التأثير العاطفي عند اختياره السيارة، كما أن التسرع في المعارض يجعله يدفع سعراً أعلى، نتيجة لأسبوع من البحث، وجد سيارة من نوع بيجو موديل ثلاثمئة وثمانية مستعملة لمدة ثلاث سنوات بحالة جيدة، بعد تفاوض شاق مع صاحب معرض السيارات، وافق على تنزيل السعر الملصق على واجهة السيارة الأمامي ألفي دولار، ليصبح ثمانية آلاف وخمسمئة دولار، ربما كانت هذه الصفقة ظالمة إلى وائل، ولاسيما أنها خالية من الكماليات غير الضرورية، ولا شروط للخدمة والصيانة

بعد البيع، تصور وائل أنّ هذه السيارة الصغيرة القوية بشكلها الجذاب قادرة على تأمين احتياجاته.

منحته هذه السيارة شعوراً بالنشوة وهو يقودها، والأهم من ذلك، فإن قيادتها بشكل روتيني يؤمن له لذة تتجدد كل يوم في عالمه الكئيب الخالي من الإثارة، كان بوده لو كان المبلغ الذي معه يمكنه من شراء سيارة رياضية، ليبهر فيها جيرانه وسلمى وسعيد، إن السيارة عملياً، هي أكثر من مجرد وسيلة للنقل. فالسيارة الرياضية هي التي تناسبه، لأنها المرآة التي تعكس شخصيته السريعة المتقلبة.

الوقت يمضي مسرعاً، ووائل يعيش هذا النعيم بعيداً من الوظيفة الروتينية التي استقال منها، يقضي أوقاته مستمتعاً بقيادة سيارته الصغيرة في الذهاب مع سعيد إلى قهوة الغلاييني كل مساء لتدخين الشيشة، ولمتابعة مباريات كرة القدم التي لا تنتهي على شاشة التلفزيون، وغالباً ما يقضي عطلة نهاية الأسبوع مع سعيد بالسباحة المبهجة في مطعم تحت الريح في منطقة أنفه على بعد ثمانية وستين كيلو متراً شمال بيروت، حيث الشاطئ الرملي الأصفر والمياه الزرقاء النقية، ما يجعله مكاناً مثالياً للسباحة والاسترخاء تحت أشعة الشمس.

لم تعد المسافات ولا تكلفة المطاعم والمقاهي تعني له أي شيء، مازال معه حوالي ثلاثة آلاف وخمسمئة دولار، تجعله بمنأى عن الضغوط المادية التي يرزح تحتها أكثر الناس في بيروت هذه الأيام.

جلس في تلك الليلة أمام شاشة التلفزيون، أطل عليه المعلم ليخبره بأنّ عليه الحصول على مسدس صاعق كهربائي، واختفى المذيع، لم يستوعب ماذا يعني المسدس الصاعق، ففتح الإنترنت من هاتفه الجوال، وبدأ بالقراءة حول هذا الموضوع، هاله وجود عدد كبير من الدعايات في أميركا لهذا المسدس الذي يسمع به للمرة الأولى، استغرب أسعاره المنخفضة، وهو مسدس يستخدم آخر صرعات التكنولوجيا للدفاع عن النفس. جاء في واحدة من هذه الدعايات، مسدس صاعق قادر على

توفير حماية كاملة ضد أي اعتداء، يطلق قذيفتين مثل الرصاصتين، تدخلان جسم الخصم، ثم يقوم حامل المسدس، بعد ذلك بالضغط على زر الصاعق الموجود على جانب المسدس، فينصعق الخصم مباشرة بوساطة التيار الكهربائي الذي يسري في جسمه، لن يستطيع المصاب من التخلص من الطلقتين مهما حاول، وميزة هذا المسدس أنه يطلق قذيفتين على الخصم بالوقت نفسه، واحدة إلى الأعلى والثانية إلى الأسفل، حتى يضمن إصابة الشخص بالقذائف الصاعقة، من دون الحاجة إلى خبرة سابقة للتصويب على الأشخاص. يمكن لهذا المسدس إطلاق عدة قذائف، فيما إذا كان يتعرض لهجوم من عدة أشخاص، يشمل السعر علبة تحتوي على أربعين قذيفة، وجراب جلدي أنيق، وهو حالياً بمئتين وتسعة وأربعين دولاراً، بدلاً من ثلاثمئة وعشرين دولاراً، وذلك لفترة محدودة.

الشراء في مواقع التسوق في أميريكا، يوفر كثيراً من المال، حيث يمكنك شراء المنتجات بأسعار أقل من السوق المحلي، هذا المسدس من النوع الآمن، تستخدمه النساء في أميركا لحماية أنفسهن، وهو يساعد الفتيات على الشعور بالأمان والطمأنينة أثناء السير بمفردهن في الليل، كما يستخدمه أفراد الشرطة أيضاً، تسبب الطلقات الألم للمصاب من دون أن تعرضه لجروح أو إصابات، إلا إذا كان يعاني أمراضاً قلبية مزمنة، المسدس مصمم لإيقاف حركة الشخص لمدة عشر دقائق تقريباً عند إصابة الشخص المستهدف بطلقة، فإنه يتعرض لشحنة كهربائية تترجم إلى آلام شديدة، ثم تحدث بعدها تقلصات وتشنجات لا إرادية في عضلات الجسم، يفقد المستهدف بشكل مؤقت السيطرة على عضلات جسمه لحوالي عشر دقائق.

ذكر الإعلان أن الموقع يؤمن خدمة ممتازة للعملاء، التوصيل مجاني، وسيصلك المنتج خلال أيام قليلة إلى منزلك، كما يمكنك الدفع بكل أمان من خلال بطاقتك الائتمانية، على الرغم من السهولة الكبيرة التي

تبدو في هذا الإعلان بالنسبة للمواطن الأميركي، فإن الأمور قد تكون أكثر تعقيداً إلى وائل، تأمل ماذا سيكون موقفه لو أن موظف البريد عند استلامه الطرد، سأله عن الهدف من استيراد هذا المسدس، وهو لا يعرف أصلاً، فيما إذا كان من المسموح استخدام هذا المسدس للدفاع عن النفس في لبنان، إنه يضع نفسه تحت شبهات لا داعي لها، فكر أن أفضل طريقة للحصول على هذا المسدس السوق السوداء في لبنان، لأنه من السهولة أن تجد فيها كل ما يخطر على بالك من بضائع ومواد.

عندما يشعر وائل بالضياع، ولا يدري ماذا يفعل، يعود دائماً إلى مقابلة صديقه المعلم على الشاشة، فتح التلفزيون وظهر المعلم كعادته بعد منتصف الليل، طلب منه طلباً غريباً لم يستطع استيعابه، كلفه بمشاهدة فيلم السيدة داوتفير، بطولة الممثل الشهير روبن وليامز، وأشار إليه بأن يركز على حركاته، حيث يقوم الممثل في هذا الفيلم بتقمص شخصية امرأة، ويؤدي دوره ببراعة شديدة، حتى إن زوجته وأولاده في الفيلم لا يستطيعون أن يكتشفوا حقيقة أمره، بعد هذه الكلمات القليلة، اختفى من على الشاشة.

بقي وائل منتظراً طوال الليل بزوغ الشمس، حتى يتمكن من الذهاب إلى فيرجن ميغا ستور في بيروت، ليشتري أسطوانة مدمجة لهذا الفيلم، اتصل بعد حصوله عليها، من هاتفه الجوال بسعيد ليخبره أن بعد انتهائه من عمله بوظيفته سيأتي بسيارته لاصطحابه إلى بيته لمشاهدة فيلم فيديو في منزله، ليس أمام سعيد سوى المثول لطلب وائل، فهو مثله الأعلى، إضافة إلى أنه الشخص الذي يتكفل بجميع مصاريف المطاعم وجلسات المقاهي، لكنه استغرب في قرارة نفسه، لماذا لا يشاهد هذا الفيلم في بيته وحده، بدلاً من أن يحرجه بالقدوم إلى منزله، ويتعدى على خصوصيات أهله.

توقع سعيد بأنه فيلم جنسي رخيص، مثل هذه الأفلام المنتشرة بين الشباب بكثرة في هذه الأيام، لكنه فوجئ عندما رأى بأن الفيلم، يحكي

عن قصة رجل، يلبس لباس امرأة، تعمل مربية للأطفال، ويتقمّص شخصيتها بشكل كامل، بحيث يصعب على زوجته السابقة وأولاده أن يتعرفوا عليه، قد يكون في هذا الفيلم بعض المبالغات، لكن الفكرة وصلت بوضوح إلى وائل، لقد استوعب أن لهذا الفيلم علاقة كبيرة بالتخطيط للعملية الكبرى التي بانتظاره.

علاقات وائل الاجتماعية محدودة جداً، وهو عملياً لا يعرف سوى سعيد وسلمى، لذلك لم يكن أمامه سوى أن يفاتح سعيد بموضوع حاجته لشراء مسدس صاعق كهربائي من السوق السوداء، ولاسيما أنه يعرف أن لسعيد ابن خال، يعمل في صيد الأسماك بمدينة صيدا، من المعروف أن الصيادين على علاقة مع كل أنواع البشر، وخصوصاً المهربين، طلب من سعيد أن يفاتح ابن خاله، بأنه بحاجة إلى شراء هذا المسدس من السوق السوداء، بغض النظر عن سعره.

حتى الآن لم يستطع سعيد أن يستوعب ماذا يجري من حوله، لكن لم يكن أمامه سوى مسايرة رغبات وائل، أتاه الجواب من ابن خاله، بأن ثمن المسدس الصاعق الكهربائي صناعة ألمانية، ويأتي معه عشرون طلقة، في السوق السوداء حالياً ألف ومئتا دولار، عندما أخبره سعيد بهذا السعر، انفجر وائل من الغضب في بادئ الأمر، لأن هذا السعر يعادل خمسة أضعاف سعره الحقيقي الموجود في أميركا، لكنه تمالك نفسه بصعوبة، لأن ليس أمامه خيار، سوى شراء هذا المسدس، تحول الجميع في هذا المجتمع إلى لصوص، لا شك أن ابن خال سعيد قد شارك أيضاً في هذه السرقة، واقتطع لنفسه عمولة كبيرة من هذا المبلغ، الفساد مستشرٍ في المجتمع من صغيره إلى كبيره.

في يوم ربيعي من أيام نيسان، انطلق وائل بسيارته وسعيد جالس إلى جانبه، قاصداً مدينة صيدا التي تبعد أقل من ساعة عن بيروت، سالكاً الطريق الساحلي المؤدي إلى صيدا، اكتست الأرض بحلية خضراء، وفتحت الشمس ذراعيها الطويلتين، لتغطي البساتين المنتشرة بكثرة على

جانبي الطريق. انتشرت أشجار البرتقال على طول الطريق، وقد فاحت رائحة أزهارها العطرة في الجو، الطريق الإسفلتي مازال مبلولاً، والحفر الموجودة على جانبه ممتلئة بالماء، نتيجة لزخات المطر الخفيفة التي تساقطت ليلة البارحة. على يمينه يمتد شريط البحر الأزرق باعثاً الراحة في قلبه، بدأ الخوف من مقابلة ابن خال سعيد يتبدد، ليأخذ مكانه شعور آخر بالفرح نتيجة للجو الخارجي الخلاب، إن الوجود في أحضان الطبيعة يريح عقله من القلق والتوتر، ويحسن من مزاجه، ليعيد إليه التفاؤل بالحياة من جديد.

اجتمعا مع ابن خال سعيد في بيته في صيدا، كان رجلاً شعبياً ذا وجه مستطيل داكن نحيف، وملامح قاسية بسبب عظام فكيه البارزين، ظهرت بعض التجاعيد المبكرة على وجهه، من كثرة ما تعرض لأشعة الشمس الحارقة، ففي عينيه لؤم ودهاء، تفضحهما نظراته المتفحصة الحادة، لكن وائل لم يرتح إليه، لا يمكن مقارنته مع سعيد بملامحه الطيبة، ولا بشكل من الأشكال، استنزله وائل بالكلام، استفهم منه عن طرق الصيد التي يستعملونها في البحر، فكان جوابه بأنهم يفضلون استخدام أصابع الديناميت لصيد السمك، لأن إصبع الديناميت الواحد يُخرج من بطن البحر أعداداً كبيرة من الأسماك، من دون تمضية الوقت بالصبر وانتظار ماذا يعلق بالشبكة من الأسماك، كان تفكيره محدوداً، فهو غير عابئ بالحفاظ على الحياة البحرية من أجل الأجيال القادمة، أعطاه وائل ألفاً ومئتي دولار وحصل على المسدس وعشرين طلقة، أخذ يفكر وهو يقود السيارة عائداً إلى بيروت، بأن هذا الرجل سيكون مفيداً له في المستقبل القريب، لأن هناك أشياء كثيرة، قد يحتاج إلى شرائها من السوق السوداء.

النقود تنفد بسرعة، كأنها تتسرب من بين أصابعه كقطرات الماء، ولم يعد معه سوى ألفي دولار، لقد وعد سلمى بأنه سيتكفل بأجرة العملية التجميلية لأنفها، التي ستكلفه أكثر من ستة آلاف دولار، كما أنه

بعد شهرين، سيستحق عليه دفع قسط أجرة مأوى العجزة التي وضع أمه فيها، لقد مضى عليها شهر منذ إقامتها فيه، ولم يزرها إلا مرة واحدة، وكان قد وعدها بأنه سيحضر ثلاث مرات بالأسبوع لزيارتها. المشكلة ليست بالوقت ولا بالمسافة، عادت به ذاكرته إلى أيام الطفولة، وتذكر معاملته غير المتزنة معها، وأنها لم تكن قريبة منه، وكيف أنه كان كلما ضرب أخته التي تصغره بعامين، كانت تصفُّ مع أخته دائماً ضده، إن علاقته المبكرة مع والدته هي التي تحدد علاقته الحالية معها.

لابدّ له من مقابلة معلمه على التلفزيون، لمعالجة موضوع السيولة التي يعانيها، انتظره لعدة ليال، ولكنه لم يظهر، جلس في كل ليلة ينتظره بفارغ الصبر، حتى أتت هذه اللحظة وظهرالمعلم، أخبره بأن عليه ان يجد محلاً لبيع المشغولات الذهبية، حذره من أن ينتبه للكاميرات المنتشرة في كل مكان، إنها عيون الشيطان تراقب كل حركة من حركات الناس، وعليه أن يستفيد من فيلم السيدة داوتفير، قال ذلك بإيجاز، واختفى من على الشاشة.

لم يفوّت وائل عليه شرب فنجان قهوة الإسبريسو في قهوة يونس على الرصيف في الصباح الباكر، إنه يعشق هذا الشارع منذ أيام مراهقته، ففيه العديد من المقاهي على الرصيف، وفيه المسارح اللبنانية ودار السينما الشهيرة، وتستقطب الحياة الليلية محبي السهر في الحانات والباحثين عن المتعة مع فتيات الليل، بعد أن انتهى من شرب فنجان قهوته بدأ يتمشى بتمهل، وهاله هذا الكم الهائل من عدد الكاميرات الموجودة عند مداخل البنوك والدكاكين، حتى إن المقاهي لم تخلُ من الكاميرات، فتذكر قول المذيع إن عيون الشيطان تراقب كل شيء يتحرك في شارع الحمرا.

استمر بالمشي حتى وصل إلى تقاطع شارع صغير يصل بين شارع الحمرا والشارع الموازي له شارع بعلبك، دلف منه وهو لا يصدق عدد الكاميرات الموجودة فيه، بلا مبالغة هناك كاميرا مراقبة عند مدخل

كل دكان في هذا الشارع، ما يعطي الشعور بأن أصحاب المحال التجارية لا يشعرون بالأمان، لفت نظره في منتصف هذه الدخلة محل لبيع المجوهرات، ركبت على بابه كاميرا للمراقبة، أدار رأسه ونظر بسرعة إلى داخل الدكان، فلاحظ وجود شخصين في ذلك الوقت، فتابع سيره في طريقه، لم يخطر له أن يعود من كثرة خوفه، فكاميرات المراقبة تصور الشوارع والمارة، وتحتفظ بالصور لمدة أسبوع، قبل أن يتم محوها، خشي من أن تكرار ظهوره لعدة مرات على الشريط الذي يحتفظ بصور الكاميرا، قد يجعله مشبوهاً، فيما إذا قامت الشرطة بالمستقبل من مراجعة أشرطة التسجيل على الكاميرات.

ليس هناك مجال لتجنب ظهوره على شريط التسجيل الذي يحتفظ به صاحب الدكان لصور الكاميرا، تأكد أن الحل الوحيد لديه هو تقليد فيلم دور السيدة داوتفير، عاد إلى بيته، على أن يقوم غداً بمعاينة المكان مرة ثانية ليتأكد من عدد الأشخاص الموجودين بالدكان، ربما عليه أثناء العملية أن يصطحب معه مسدسه الماكاروف، إذا ساءت الأمور، ودخل شخص آخر إلى الدكان أثناء قيامه بالمهمة، فكل الاحتمالات قائمة، وعليه أن يأخذ أقصى درجات الحيطة.

من كثرة هلعه من هذه العملية، قرر أن يؤجل التفكير فيها لعدة أيام، الطريقة الوحيدة التي تعطيه النشاط هو التفكير بالجنس، يختلق وائل حكايات كاملة في خياله عن علاقته الجنسية بسلمى، ما يثيره ويدفعه إلى الرغبة في تجربتها معها، لابد أن يدعوها إلى غرفته لينفرد بها.

اتصل على هاتفها الجوال، وسألها فيما إذا وجدت الطبيب الجراح لإجراء عملية التجميل لأنفها، وتطرق بحديثه معها على أنه يفكر بأن يخطبها من أهلها، بعد أن تجري عملية التجميل لأنفها، لتصبح مثل ممثلات السينما، هذا الكلام هو الذي سيجعلها لا تقاوم فكرة اللقاء به، إن المرأة بطبيعتها تعشق الرجل الذي يتغزل بها وبأنوثتها أمامها.

دعاها أن تحضر إلى غرفته في عطلة نهاية الأسبوع للتحضير لهذه

الخطوات، لم تكن سلمى بالبنت الصغيرة التي تفوت عليها هذه اللعبة، لكنها سايرته ووعدته بأنها ستحضر بعد الظهر من يوم السبت القادم.

حضرت سلمى كما وعدته يوم السبت، فتح لها حديث العملية الجراحية، وكيف أنها بعد أن تتخلص من أنفها المعقوف، ستصبح أجمل من كل معارفها، إنه متأكد أن لا شيء يمكن أن يسحر سلمى مثل الكلام عن جمالها، عرض عليها أن تشرب معه كأساً من الويسكي، لكنها رفضت لأنها تعرف أن الكحول سيحسن من حالتها المزاجية، ويعطيها الشعور بالاسترخاء، وقد تجد نفسها مستعدة لمسايرته. حاول أن يجذب اهتمامها ويثير غيرتها، ذكر لها بمعرض حديثه، بأنه منذ يومين ذهب مع جارته صاحبة البيت وابنتها المراهقة الحلوة بسيارته إلى جوردن كافيه، وشربوا الشوكولاتة الساخنة، محاولاً ان يثير عامل الغيرة الكامن في داخلها، لكنها تجاهلت ملاحظته، وتابعت حديثه باهتمام مكتفية بهز رأسها، بالنهاية نفد صبره، اقترب منها ودفعها على الكنبة، وقال لها إنه يحبها، ويريد أن يتزوجها، وبدأ يقبّلها من على وجنتيها، حاول أن يمدَّ يده إلى صدرها، فدفعته بلطف، إنها لا تريد أن تغضبه فتخسره، إن كل ما تفكر فيه الآن، هو أن تحافظ على عذريتها، واستلقى عليها، وهي تدفعه برفق عنها، لكيلا تستفزه، فيلجأ إلى استعمال العنف معها، محاولة أن تقنعه بأنها ليست من هذا النوع من البنات اللواتي يعرفهن.

إن جسمه النحيف الخالي من العضلات سهّل المهمة عليها، بالنهاية شعر باليأس، فتوقف عن محاولاته معها، أقنعها أن حبه لها سيطر عليه، مندفعاً بغريزته لإقامة هذه العلاقة المقدسة، في كل هذه المحاولات لم تشعر بالخوف منه، لأنها تدرك بأنه أضعف من أن يغتصبها، إن هذه العلاقات الجنسية السطحية التي قد تمر بها بعض البنات خلال حياتهن، والتي قد تصل إلى الأهل في بعض الأحيان، لتصبح في مجتمعاتنا مواضيع محرمة، يضرب حولها الصمت، عميقة الجذور فينا منذ الجاهلية، ترمي البنات وأهلهن بهذه القصص في العالم المسكوت

عنه، بعالمنا الشرقي الممتلئ بالمحظورات التي نتحملها على مضض، مادامت البنت محتفظة ببكارتها، بدرجة قد تختلف من بنت لأخرى وفقاً لطبقتها الاجتماعية.

طبيعة وائل تدفعه دائماً للتسرع في اتخاذ قراراته، لكيلا يتيح الفرصة لعقله لتبديلها نتيجةً لعدم ثقته بنفسه، قرر فوراً الذهاب إلى محال بيع الألبسة المستعملة في منطقة الخندق العميق، وفيه يمكنه أن يجد لقطات من ثياب وأحذية نسائية ذات ماركات عالمية بأسعار معقولة، توازي البضائع الجديدة الموجودة في أفخم المحال في بيروت، إنه يجد متعة كبيرة في نبش أكوام الثياب الملقاة بالصناديق الكرتونية، مفتشاً عن قطع مميزة، وعنده هوس خاص بالماركات العالمية.

وجد بنطلون جينز نسائياً واسعاً بخصر عالٍ وفتحة سحاب أمامي، يتلاءم مع مقاس جسمه، عاين البنطلون بدقة حتى لا تكون فيه بعض الثقوب المكسورة، فهو يكره تصاميم الجينز الممزقة، التي ترتديها بنات هذه الأيام، للفت نظر الشباب إلى سيقانهن، وجد ضالته في قميص نسائي أبيض بأكمام طويلة، إنه يبحث عن ألوان متجانسة مع بعضها لكيلا تلفت الانتباه إليه، وعثر على كنزة كحلية داكنة تتماشى معهما، بالنهاية اشترى هذه القطع الثلاث، مع حذاء ماركة أديداس رياضي حريمي نمرة ثمانية، على مقاس قدمه، مطبوع عليه شريط ذهبي، يواكب شكله آخر صرخات الموضة، لقد اختار هذا الحذاء الرياضي الخفيف لكي يساعده على الركض، فيما لو ساءت الأمور أثناء تنفيذه للمهمة.

اتجه بسيارته مسرعاً إلى بيته، وحال وصوله وقف على المرآة، بدأ بتجربة بنطال الجينز الحريمي ليتأكد من أنه مناسب له، ثم وضع عليه القميص الأبيض والكنزة الكحلية، أحس بمتعة غريبة وهو يرتدي هذه الملابس الأنثوية بطريقة سرية، إن تأديته لدور الفتاة وتخليه عن مفاهيم الذكورة والقساوة التي طالما يفتخر بها الرجال، فضح ميله المخفي إلى

تقليد الجنس الآخر، شجعه على ذلك فيلم السيدة داوتفير، ظل واقفاً أمام المرآة وهو يتدرب بصوت عالٍ على تغيير لهجة صوته ونوعية حديثه وتعديل أدائه العام، وأسلوبه في المشي وطريقة جلوسه، ما أعطاه لذة الشعور بالانحراف.

لأول مرة اكتشف متعة ارتداء ملابس النساء، والاندساس في عالم الحريم، لم يكن هذا الأمر جديداً عليه، لقد نشأ في بيئة ملأى بالنساء، فهو لم يعرف في البيت سوى أمه وأخته ما ولّد حوله جواً أنثوياً بامتياز، تشرّبه منذ نعومة أظفاره، ونما معه بشكل تلقائي حتى سن الشباب، فطبع في ذاكرته بشكل لا شعوري كثيراً من التصرفات الأنثوية، إضافة إلى معرفته بتفاصيل سلوك أمه وأخته في البيت، الذي جعله ملماً بجزيئات هذه الأمور النسائية الدقيقة، ما سيمكنه من أن يؤدي دور الفتاة بشكل طبيعي، ولن يجذب شكوك صاحب المحل إليه.

ليس عليه أن يزور صالونات التجميل لكي يتنكر بوجه امرأة، لقد شاهد أمه وأخته آلاف المرات وهما تضعان المكياج على وجنتيهما، فإذا توافرت لديه العدة الكاملة، فلن يواجه أي مشكلة في تقليدهما، ذهب إلى مول إي.بي.سي الأشرفية، حيث يختلط الحابل بالنابل، ولا يتذكر البائعون وجوه زبائنهم، ويضم المول مجموعة كبيرة من المتاجر في مجالات الألبسة وأدوات التجميل والأكسسوارات وغيرها.

هاله حجم باروكات الشعر المستعار الموجودة في الدكاكين، وهي تأتي بكل الأحجام والألوان، باتت موجة تجتاح الجميع نساءً ورجالاً، لم يعد الأمر قاصراً على النساء، إنها ثقافة العولمة الحديثة والحاجة إلى المظهر الجديد الذي تروّج له دعايات التلفزيون.

الباروكات الاصطناعية الجيدة تبدأ بمئة دولار، أما الطبيعية فإن أسعارها قد تصل إلى الألف دولار. اختار باروكة اصطناعية نسائية ذات شعر بني طويل بتموجات خفيفة، دفع ثمنها مئة دولار، قبل شرائه للعدسات اللاصقة، كان قد قرأ على الإنترنت بأنه في كل ماركة مجموعة

عدسات خاصة تتلاءم مع لون عين الزبون، فعيناه السوداوان الأنسب لهما العدسات الرمادية، كما أنه يجب الابتعاد عن العدسات الرديئة وغير المشهورة، حتى لا يتسبب بمشكلات لعينيه.

لم يكن أمامه سوى أن يشتري عدستين لاصقتين رماديتي اللون، دفع ثمنهما حوالي السبعين دولاراً. عرج في طريقه وهو يهم بالخروج إلى دكان متخصص في بيع أدوات المكياج، واشترى مجموعة كاملة من الكريمات وأحمر الخدود وأحمر الشفاه ومكياج العيون، بذلك تصور أنه قد حصل على العدة الكاملة التي تمكنه من التنكر بزي امرأة من الرأس إلى أخمص القدمين، بعد أن خرج من باب المول، تذكر أنه لم يشترِ حقيبة اليد النسائية، على الرغم من أنها أهم الأكسسوارات اللازمة لنجاح هذه العملية، فعاد واشترى أكبر حقيبة يد نسائية سوداء وجدها بالمتاجر، وعاد أدراجه إلى سيارته المركونة في مواقف صف السيارات أمام المول.

اليوم هو يوم الجمعة، وهو آخر يوم قبل بداية العطلة الأسبوعية، توقع وائل أن تقل الحركة في الأسواق التجارية صباح هذا اليوم، وهو منذ صغره بالمدرسة يتفاءل بيوم الجمعة، لأنه يعني له التوقف عن الذهاب إلى المدرسة التي لا يطيقها. استيقظ باكراً في هذا الصباح، جلس أمام المرآة الصغيرة الموضوعة في زاوية الغرفة، وهو يحاول أن يقنع نفسه، بأن التنكّر بأزياء النساء أصبح موضة مقبولة اجتماعياً، لقد تزايد عدد المنحرفين في الفترة الأخيرة، وأصبحت ظاهرة الشذوذ منتشرة في العالم الغربي، وتكاثر الشاذون إلى أن أصبحوا يشكلون قوة ضاغطة على أرض الواقع في أوروبا، ما دفع بكثير من الدول إلى تعديل قوانينها من أجلهم، شرد تفكيره في هذا الموضوع، جمع شتات أفكاره، وبدأ بإعادة التركيز في عمله.

لجأ وائل إلى حلاقة ذقنه، ثم غسل وجهه بالماء والصابون، وجففه بمنشفة قطنية رقيقة، ليحصل على بشرة ناعمة قبل وضع المكياج عليها،

أخرج كريم الأساس السائل من العلبة، واستخدم أطراف أصابعه لفرد الكريم بالتساوي على وجهه، لكي يخفي العيوب والبقع، ويمنح وجهه لوناً واحداً، حدد عينيه بقلم أسود داكن، ووضع ظل العيون ذا اللون الترابي على الجفن العلوي وعلى زاوية العين، ثم قام بدمجهما بوساطة الفرشاة، ليأخذا شكلاً طبيعياً، أمسك بقلم الكحل الأسود بيده اليمنى، وفرد جفنه باليد اليسرى، ورسم خط الكحل على امتداد الجفن العلوي، ومده قليلاً لخارج العين، إنه يتبع البساطة في وضع المكياج، حطّ العدسة على سبابة يده اليمنى، ورفع الجفن العلوي بالأصبع الوسطى في اليد اليسرى، ووضع العدسة على بياض العين، ثم حرك البؤبؤ نحو العدسة حتى أستقرت عليه.

لقد تمت هذه العملية بمنتهى البساطة، كما ورد في المنشور المرفق بداخل علبة العدسات اللاصقة، كرر هذه العملية السهلة على عينه الثانية، بعدها قام بوضع أحمر الشفاه القريب من لون شفتيه، لكي تبدوا طبيعيتين، فرك الفرشاة على البودرة الموجودة بالعلبة، وهز الفرشاة بلطف لإزالة البودرة الإضافية العالقة بها، ثم مررها على أنفه وجبينه وباقي وجهه، بعد أن انتهى من وضع المكياج، ارتدى الملابس النسائية التي اشتراها من البالة، وأصبح همه الآن تثبيت الباروكة على رأسه، باستخدام الشريط اللاصق الشفاف ذوي الوجهتين، الموجود عليها من الأمام والخلف، تأكد بعد أن قام بتثبيت الباروكة من أنها تغطي أذنيه بشكل كامل، لأنه كان قد قرأ مرة على الإنترنت، بأن الشرطة تستخدم شكل الأذان للتعرف وتحديد أسماء الفارين من العدالة.

كان كل خوفه منصباً أثناء نزوله الدرج في طريقه إلى سيارته المتوقفة أمام مدخل البناء أن يصادف على الدرج، صاحبة بيته أو ابنتها الصغيرة الحسناء، إذ إنه مازال يعتقد أنه على الرغم من هذا المكياج الكامل، فإن الأشخاص الذين يختلطون به قادرون على اكتشاف حقيقته، وتعريضه للفضيحة والشبهات.

اتجه بسيارته نحو منطقة رأس بيروت، بعد أن وصل إلى شارع أدونيس، قرر أن يصف سيارته في حارة جانبية متقاطعة مع هذا الشارع بسبب عدم وجود كاميرات للمراقبة فيها، بعدها أوقف تاكسي، وطلب من السائق أن يوصله إلى شارع الحمرا، لما وصل إلى مصرف لبنان، ترجّل من التاكسي، أخذ يمشي الهوينى على غير عادته، لكيلا يلفت انتباه المارة إليه، إن من أكثر الأشياء التي تجذب المرأة إلى الرجل أثناء سيرها هو الكعب العالي، وتوازن جسدها أثناء مشيتها، بحيث تبرز مؤخرتها، وتصبح أكبر حجماً، لكنه الآن يشعر بالارتياح في الحذاء الرياضي، وهذه الملابس النسائية البسيطة المريحة، لدرجة لا يكاد أن يصدّقها.

خلال سيره في الطريق، لجأ إلى رفع روحه المعنوية متذكراً الكلمات التي كانت ترددها والدته عن تجار الصاغة، بأنهم لصوص النهار، فهم لا يشبعون من الغش والتلاعب بعيارات الذهب وأسعار حجارة الألماس، إنهم فوق القانون، أما لصوص الليل الذين يسرقون لسد رمقهم فهم دائماً تحت محاسبة القانون.

أثناء سيره لم يتعرض إلى أي مضايقات أو معاكسات من الشباب الجالسين في المقاهي على الرصيف، لعل ذلك يعود إلى ملابسه المحتشمة وألوانها الداكنة، أو ربما للطريقة التي يمشي بها، أو لشكل وجهه الخالي من الجاذبية الأنثوية، الألوان تلعب دوراً كبيراً في جذب المرأة إلى الرجل، تخيل بأنه كان يمكن أن يكون أكثر جاذبية، لو ارتدى اللون الأحمر.

وصل إلى الشارع الصغير الذي يصل شارع الحمرا بشارع بعلبك، ومشى حوالي خمسين متراً حتى وصل إلى دكان بيع المجوهرات، تحسّس مسدسه الكهربائي الموجود في حقيبة يده النسائية، ليحصل على مزيدٍ من الثقة بنفسه، ثم دلف إلى داخل الدكان.

لحسن حظه في تلك اللحظة، كان هناك شخص واحد يجلس خلف طاولة خشبية مفروش عليها قطعة مخملية خمرية اللون، وإلى جانبها

ميـزان إلكترونـي يسـتخدم لـوزن المشـغولات الذهبيـة، البائـع يبـدو في الخمسـينيات، توحـي ملابسـه بالأناقـة، وتلـوح عليـه دلائـل النعمـة والغنـى، فبـادره وائل بصـوت نسـائي: بونجـور.. فأجابـه البائـع: أهـلا وسـهلاً مدام... المحـل محلـك، تابـع وائـل حديثـه وهـو يقلـد صـوت أختـه: صديقنـا المسـيو جـان، وهـو مـن زبائنـك، أوصانـي أن أشـتري مـن محلـك، لأنـك سـتراعيني بالسـعر، حـاول البائـع أن يتذكـر المسـتر جـان، ولكيـلا تفـوت عليه هـذه البيعة أجابهـا: حتماً المسـيو جـان غـالٍ علينـا... اعتبـري مـدام المحـل محلـك.. شـو الاسـم الكـريم مـدام، فأجابتـه: سـحر.. فتابـع قولـه: أنـا اسـمي جوزيـف، لـم يرفـع جوزيـف نظـره عـن وجـه سـحر، التـي بـدت لهجتهـا لـه غيـر مألوفـة، ووجههـا مسـترجل بعـض الشـيء، فلـم يشـعر بالراحـة والطمأنينـة نحوهـا، إن المظهـر والشـكل يعطيـان الانطبـاع الأول للبائـع عـن زبونتـه.

أخرجـت سـحر مـن محفظتهـا ألفـين وخمسـمئة دولار ووضعتهـا علـى الطاولـة، لتشـتت من انتبـاه جوزيـف، حـول موضـوع شـكلها وصوتهـا، ولتشـجعه علـى المضـي في إجـراءات البيـع، قالـت سـحر: إنهـا بحاجـة إلـى أسـوارة ذهـب مبرومـة لا تزيـد قيمتهـا علـى ألفـين وخمسـمئة دولار، لأن هـذه هـي ميزانيتهـا لشـراء الأسـوارة، منظـر الـدولارات علـى الطاولـة جعلـت جوزيـف يركـز كل همّـه علـى ألا تخـرج سـحر، ولا بـأي شـكل مـن الأشـكال، إلا بعـد شـرائها قطعـة ذهبيـة مـن المحـل، فتـح بمفتاحـه الخـاص الـدرج الأول مـن الطاولـة، وأخـرج مجموعـة كبيـرة مـن الأسـاور الذهبيـة السـادة، اختـار واحـدة منهـا، قائـلاً: هـذه الأسـوارة جـداً حلـوة، امسـكيها بيـدك والمسـيها... كـم هـي ناعمـة.... صياغـة تركيـة عيـار الذهـب فيهـا واحـد وعشـرون، لمسـت سـحر الأسـوارة بأصابعهـا وقالـت لـه: إنهـا خفيفـة بعـض الشـئ، وتريـد أسـوارة أثقـل منهـا، فأجابهـا جوزيـف عنـدي أسـاور إيطاليـة بتجـنن فيهـا أحجـار ألمـاس صغيـرة، لكـن لازم تفـردي إيـدك شـوية... لأن سـعرها أكثـر مـن أربعـة آلاف دولار، وهـذا السـعر بعـد المراعـاة مـن أجـل خاطـر المسـيو جـان، شـعرت سـحر بـأن الوقـت يمضـي بسـرعة، وقـد تُفاجـأ بـأي لحظـة

بدخول أي شخص إلى الدكان، فأجابته: ما في مشكلة، هنا فتح البائع الدرج الثاني من مكتبه وأخرج مجموعة كبيرة من الأساور.

الدقائق تمضي مسرعة، بحركة غير مقصودة دفعت سحر بطرف يدها مبلغ الألفين والخمسمئة دولار الموجودة على الطاولة، فتناثرت على الأرض، فأجابها جوزيف: ما مشكلة انكسر الشر، انحنى على الأرض للملمتها، حينئذ مدت سحر يدها إلى حقيبتها النسائية، وأخرجت مسدسها الكهربائي، ووجهته على ظهر جوزيف الذي لم ينتبه إلى هذه الحركة، لأنه كان مشغولاً بجمع ورقات المئة دولار المتناثرة على الأرض، أطلقت قذيفتين، كما كانت قد قرأت عن طريقة استخدام المسدس الصاعق على الإنترنت من مسافة لا تزيد على المترين، فأصابت جوزيف بظهره، وعلقت الطلقتين بجسمه، وضغطت على الزر الموجود على جانب المسدس، فانتقلت الشحنة الكهربائية الموجودة في بطارية المسدس إلى جسده. لم يفهم جوزيف ماذا حدث في لحظتها، شعر بالرجفان، وبآلام شديدة في كل سنتمتر من جسمه، انتابته تقلصات وتشنجات لا إرادية لجميع عضلات جسمه، فأصبح عاجزاً عن الوقوف على قدميه، أو حتى الصراخ، فقد التحكم بحركاته بشكل مؤقت، لأن هذه الشحنة الكهربائية الصادرة عن المسدس أثرت في تواصل جهازه العصبي مع دماغه.

توهمت سحر بأنه قد مضى عليها في الدكان وقت طويل، وكل ما تخشاه أن ينفتح الباب، ويدخل أحد الزبائن إلى الدكان، ليجد البائع ملقى على الأرض، تعتريه نوبة من الصرع، ففتحت حقيبتها النسائية، ووضعت فيها كل ما وجدته أمامها على الطاولة، ثم دارت حول طاولة المكتب، وأفرغت كل ما هو موجود في الدرج الأول والثاني في حقيبتها، كانت الواجهة الزجاجية الكبيرة مملوءة بالسلاسل والأطواق والأساور الذهبية، ولقد تم ترتيبها بعناية، لتلفت نظر المارة إلى دكان المجوهرات، حاولت أن تزيح اللوح الزجاجي الداخلي السميك لتمدّ يدها إلى الواجهة، لكنه لم يتحرك، لابدّ من وجود قفل، منع اللوح من الحركة، الدقائق تمر

بسرعة، بدت من الخوف تشعر بفقدانها للسيطرة على أعصابها، مدت يدها على الأرض، وجمعت عدة مئات من أوراق فئة المئة دولار القريبة منها، ثم غادرت الدكان، وهي موقنة بأنها لو بقيت لفترة عدة دقائق أخرى، لحصلت على ضعف ما حصلت عليه.

مازال أمام جوزيف، على الأقل خمس دقائق، لكي يستعيد وعيه، فلا داعي للارتباك والعجلة، مشت بسرعة حتى وصلت إلى شارع الحمرا الرئيسي، أوقفت تاكسي وطلبت منه أن يوصلها إلى منطقة رأس بيروت، تحسست حقيبتها النسائية وهي جالسة وحدها في المقعد الخلفي بالسيارة، توقعت أن وزنها يزيد على كيلو غرام واحد، فشعرت بالارتياح والاسترخاء، بعد هذا التوتر الكبير الذي عاشته خلال ربع الساعة الأخير.

أنزلها التاكسي في شارع أدونيس، عليها أن تمشي الآن لأكثر من نصف كيلومتر لتصل إلى السيارة، ربما هذه الخطوات الاحترازية التي اتخذتها، قد يكون مبالغاً فيها، لكنها بنظرها ضرورية جداً، لكيلا تتمكن الشرطة من متابعة حركاتها، بوساطة الكاميرات المنصوبة على طول شوارع بيروت الرئيسة، حتى تقودها بالنهاية إلى رقم سيارتها، لقد أتمت مهمتها بنجاح، عليها أن تقود سيارتها بتأنٍّ حتى تصل إلى بيتها، يجب عليها أن تتجنب أي أخطاء مرورية، حتى لا يوقفها شرطي المرور، ويسألها عن شهادة السواقة، حينها ينفضح أمرها، وتموت أحلامها، وتنتهي في السجن، طردت هذه الأفكار السوداء من رأسها، بدأت تفكر بإيجابية في هذه اللحظات السعيدة.

لقد أصبح بإمكان وائل أن يدفع ستة آلاف دولار لسلمى من أجل إجراء عملية التجميل لأنفها، وسيدعوها مجدداً إلى غرفته، لمناقشة هذا الموضوع معها.

وصلت سحر إلى البناية التي تقطن فيها، صفّت سيارتها أمام مدخلها، صعدت الدرج مسرعة، ولحسن حظها لم تُصدم في طريقها

بصاحبة البيت، أول ما فعلته عند دخولها غرفتها، أنها خلعت الباروكة النسائية من على رأسها، لأن الشريط اللاصق الذي يثبتها بحزم على شعرها، بدأ بالتزحزح من مكانه من كثرة الحركة، ما سبب لها حكة في فروة رأسها، فتحت حقيبتها النسائية، وقلبتها على سطح طاولة المطبخ، متفقدة القطع الذهبية المشغولة التي استولت عليها، إن هناك عدداً كبيراً من الأساور المطعمة بفصوص صغيرة من الألماس، ومن المفروض أن يزيد ذلك من سعرها، بدأت تحلم بأنها قد تبيع هذه المشغولات الذهبية بأكثر من مئة ألف دولار، وبذلك ستنحل مشكلاتها المادية إلى الأبد، بعد ذلك، خلعت ملابسها النسائية، ووضعتها مع حقيبة يدها في كيس من البلاستيك الأسود، أخفته في الخزانة الموجودة تحت المجلى، أما المسدس الكهربائي فقد وضعته في علبة التنك، التي تخفي فيها أغراضها المهمة على سطح النملية، وفي هذه اللحظات، بعد أن تجرد وائل من منظره وسلوكه الأنثوي، استعاد إدراكه بحقيقة ذاته.

أخذ دوشاً من الماء الساخن القريب من درجة الغليان، أحس بتساقط قطرات الماء الحارة تنساب على شعره منزلقةً على جلده، غاسلةً في طريقها جميع الخطايا العالقة بجسمه، معيدةً الحياة إلى روحه الميتة، مجددة إيمانه بالله، إنها نوع من الخلاص من دورة الحياة والموت، كما يفعل الهنود عندما يغتسلون في مياه نهر الغانج، لقد وضع عقله في إطار معتقدات وفلسفات دينية، أحدثت تدميراً كبيراً على حالته النفسية، ساعدته على التوهم، بأنه بهذه الطريقة، قد ولد من جديد، وبذلك تخلص من الشعور بالذنب، واستحقاقه للعقاب.

لا شيء يحقق الاسترخاء مثل الحمام الساخن في نهاية يوم طويل مملوء بالقلق والتوتر، ألقى برأسه على المخدة وغطَّ في نوم عميق، وهو مطمئن بأن جميع أموره تجري على ما يرام.

تحول إلى شخص ميّت، لا يحسّ بما يدور حوله، حتى إنه لم يسمع هاتفه الجوال الذي ظلل يدق ويهتز بجانبه أثناء نومه، لكن الهاتف ظل

يرن باستمرار، فلم يجد بداً من الإجابة عليه، نظر إلى ساعة الجوال، فإذا هي السادسة مساءً، جاءه صوت سعيد من بعيد، يسأله فيما إذا كان يود الذهاب إلى مقهى الغلاييني لمشاهدة مباراة كرة القدم، فواعده على أن يراه هناك بعد ساعة ونصف الساعة.

نهض متكاسلاً من فراشه، ثم ارتدى ملابسه على عجلة، والتقط هاتفه الجوال، حمل الكيس البلاستيكي الأسود، وانطلق بسيارته قاصداً مكب النفايات الكبير في الكرنتينا عند مدخل بيروت الشمالي، عندما وصل إلى هناك تراءى له مشهد يشبه الأفلام السينمائية، جبال من النفايات، يرتفع كل واحد منها بضعة أمتار، يختلط فيها الخبز العفن والأطعمة المهترئة والأكياس السوداء، تحوم حولها جيوش الذباب، تنبعث منها رائحة جعلته يشعر بالغثيان والقرف، تمتد هذه المكبات العشوائية على مساحات شاسعة، ركن سيارته بعيداً من أكوام الزبالة، واقترب من إحدى التلال الجانبية، وألقى فيها بكيسه البلاستيكي الأسود، متجنباً بقدر الإمكان الروائح النتنة المنبعثة من هذه الأكوام، شعر براحة نفسية عميقة بعد أن ألقى الكيس الأسود، لقد قطع الخيط الأخير الذي يربطه بهذه الجريمة، اتجه بعدها إلى مقهى الغلاييني ليستمتع بتدخين الأرجيلة، ومشاهدة مباراة كرة القدم، التي تساعده على قتل الوقت، وتبعده عن واقعه الملموس، وتعطيه نوعاً من التخدير.

لم يستطع أن ينام وائل في تلك الليلة، على الرغم من محاولاته المستمرة، ظل يقنع نفسه طوال الوقت، بأن الأمور كلها تحت السيطرة، إنه متشوق ليقرأ في صحيفة الأنوار، ما ستكتبه حول موضوع السرقة التي حدثت في منطقة شارع الحمرا، اشترى الجريدة في الصباح الباكر، بدأ يقلب صفحاتها حتى وصل إلى الأخبار المحلية، وجد في منتصفها خبراً قصيراً، بعنوان صغير:

أعلنت المتحدثة باسم الشرطة الملازم لونا سمري بياناً جاء فيه: إنه في صباح يوم الخميس، تمت عملية سطو مسلح بمنطقة الحمرا

على دكان لبيع المشغولات الذهبية، من عصابة من المحترفين، استخدموا خلالها أسلحة نارية، وتمكنوا من الفرار بعد إصابة صاحب الدكان بجروح طفيفة، وقد باشرت الشرطة في أعمال البحث والتحقيق بالتفاصيل والملابسات كافة، استغرب من هذا البيان المختصر، لا شك أن الشرطة قد شاهدت الفيديو لعملية السرقة بكاملها، وها هي الآن تتحدث عن مجموعة من الأشخاص قامت بهذا العمل، لابد أنها لاحظت أيضاً الطلقتين الموجودتين على جسد صاحب الدكان، وهي تعرف جيداً أنها تعود إلى مسدس صاعق كهربائي، ولكنها لم تتطرق إليهما.

إن البيان يخفي كثيراً من الحقائق التي عند الشرطة، والأمور قد لا تكون دائماً كما تبدو، فعليه أن يكون حريصاً جداً في تصرفاته المقبلة، أحس بالخوف من أن الشرطة ربما تعمل الآن على تحليل الصور، التي التقطتها كاميرا المراقبة الموجودة في الدكان، لا شك أن بحوزتهم برامج معينة لتحليل الصور على الكومبيوتر، تستخدم فيها أدوات خاصة يمكنها تحرير الصورة وإزالة بعض الأجزاء منها، وتصحيح ألوان العين، لتعود إلى لونها الطبيعي، لكنه أقنع نفسه، بأن المذيع على شاشة التلفزيون هو الذي رسم هذه الخطة، وهو المسؤول عنها، لابدّ أنه يعلم إمكانيات الشرطة اللبنانية، وأنها لن تكون قادرة على اكتشاف هويّته، فاستعاد بلحظتها بعضاً من هدوئه.

الفصل السادس

عندما عاد وائل إلى بيته، جلس يفكر بأن ما قبل هذا اليوم، ليس كما بعده، لم يكن يتخيّل في يوم من الأيام، بأن سيكون عنده حوالي مئة ألف دولار، أخرج إسوارتين من الذهب المبروم من اللفافة التي خبأها تحت مفرش التخت، وبدأ يتأملهما بتمعن، اتصل بسلمى على هاتفها الجوال، بادرها بالحديث بأنه يريد أن يهديها أسوارة الذهب التي كانت تملكها أخته المرحومة سعاد، طلب منها أن تحضر بيوم عطلتها، لمناقشتها بموضوع الخطبة، على الرغم من إدراك سلمى بأن وائل يحاول أن يستدرجها إلى بيته لينفرد بها، لكنها في حيرة من أمرها، فهي غير متأكدة من حبه لها، وفيما إذا كان يراها بأنها الفتاة التي يتمنى الزواج منها، إن الاهتمام هو مفتاح الحب، وإن إهداءها إسوارة أخته هو الدليل على الحبّ العميق الذي يكنّه لها.

ألبسها الأسوارة الذهبية الأنيقة، وقبل يدها بخفة، معتقداً أنه قد أغواها لكي تستسلم له، في أوقات كثيرة تجد، سلمى نفسها مضطرة إلى مسايرته لكيلا تخسره، فلا ضرر من التعبيرات الجنسية السطحية، مادامت تسيطر على مشاعرها، فاستسلمت إلى مداعباته، وتركته يستمتع بتقبيلها، ليشبع رغباته التي تعكس خبراته السابقة بالتعامل مع الساقطات، كما تعكس تخيلاته عن مفهوم الحب، حينما كان يشاهد ذلك بأفلام السينما، المهم لسلمى أن تحافظ على عذريتها، لأنها تعرف

أن من طبيعة الرجل الشرقي ألا يتزوج البنت التي تمكنه من نفسها، وخلال ممارستها لهذه العلاقة الخارجية، كانت تسأله طوال الوقت، متى سيحضر لخطبتها من أهلها، إنها لا تستمتع بهذه العلاقة، لكنها تعطيه هذا النوع من الجنس السطحي، لكي يتعلق بها ويتزوجها.

وعدها أنه سيخطبها فوراً بعد أن يتحسن وضع أمه في مأوى العجزة، حاولت أن تحصل منه على موعد قريب، ليحضر إلى بيتها ويخطبها من أخيها، لأنها غير مقتنعة بهذا العذر الواهي، لكنها تعرف بأنه عنيد لا يستمع للآخرين، ولا يقبل أن يقدم على التنازلات، عليها أن تبتعد عن الإلحاح، حتى لا يتحول سلوكه إلى شكل عصبي عدواني، فتطير من يدها هذه الزيجة.

المبلغ الذي بقي معه لا يزيد على ألف دولار، النقود تطير من بين يديه بسرعة، فأسعار المقاهي والمطاعم لا ترحم، وأصحابها مجموعة من اللصوص، الذين ينصب كل همهم على سرقة زبائنهم، عليه أن يجد بسرعة شخصاً موثوقاً لتصريف هذه المشغولات الذهبية، ولما كانت معارفه محدودة جداً، فإن الشخص الوحيد الذي خطر على باله هو ابن خال سعيد المدعو وسام، الذي يعمل في صيد الأسماك، ويمارس جميع الأعمال التي تتفرع عن هذه المهنة، من أجل الحصول على مزيد من النقود.

استدعى سعيد إلى منزله، لم يكن أمامه خيار سوى أن يسحب لفافة المشغولات الذهبية من تحت مفرش السرير ويفردها أمامه، لم يطلعه بالتفصيل عن الطريقة التي حصل بها على هذه القطع، لكنه أفهمه بأنه بحاجة إلى ابن خاله وسام، ليقوم بتصريفها، طلب منه أن يأخذ له موعداً منه في أقرب وقت ممكن، ليذهبا إلى مقابلته في بيته بمدينة صيدا.

مثل المرة الفائتة، انطلق وائل بسيارته وسعيد جالس على جانبه سالكاً الطريق الموازي للبحر إلى مدينة صيدا، بعد ساعة كانا جالسين

في غرفة الاستقبال في بيت وسام، أخرج وائل لفافة القماش الموجودة في كيس البلاستيك، ووضعها على السجادة الموجودة بأرضية الغرفة، أخذ الخرقة بأطراف أصابعه وفتحها، فانكشفت المشغولات الذهبية الثمينة تخطف الأنظار بلمعانها ، ظهرت علامات الانبهار على وجه وسام، فهو لا يصدق ما تراه عيناه، أفهمه وائل بأنه بحاجة إلى مساعدته لتصريف هذه المشغولات الذهبية، والمرصع بعضها بفصوص من الألماس، لما كانت طبيعة مهنة صيد السمك، تعتمد فعلياً لتحقيق الأرباح على التهريب والاتجار بكل المواد المخالفة للقوانين، فلقد رحب وسام بهذه الصفقة، وعد وائل بأنه سيؤمن له صفقة، لن يحلم بها في كل حياته، طلب منه أن يمهله لمدة أسبوع لكي يجري الاتصالات اللازمة، عندما سيحصل على زبون فسيتصل بسعيد ليضعه بالصورة، وانتهى الحديث، وعاد وائل وسعيد إلى بيروت.

اتصل وسام بجواله على سعيد بعد أسبوع وأخبره بأن هذه القطع تم الاستيلاء عليها من خلال السطو على دكان للمجوهرات في منطقة الحمرا، وأن عيون رجال المخابرات والشرطة كلها منصبة على دكاكين الصياغ وتجار الذهب، وأنه وجد صعوبة كبيرة حتى وجد شخصاً واحداً، وافق على شرائها، إن وزنها واحد كيلو ومئة وخمسون غراماً، وبالتالي فإن سعرها الرسمي ثمانية وستين ألف دولار، ولما سأله سعيد عن سعر الألماس، أجابه ابن خاله أن فصوص الألماس هذه صغيرة، ولذلك يعتبرها التجار ضمن وزن المشغولات الذهبية، وإن الزبون بصعوبة وافق أن يدفع مبلغاً إجمالياً مقداره أربعون ألف دولار، وهو يريد منها لنفسه، مبلغ خمسة آلاف دولار كمسيون مقابل أتعابه، فلا يبقى لوائل سوى خمسة وثلاثين ألف دولار، طلب منه أن ينصح صديقه وائل بالتخلص من هذه المجموعة بأقصى سرعة ممكنة، لأن القطع الذهبية المشغولة عليها دمغة الورشة التي صنعتها.

ذهب سعيد مباشرة بعد هذه المكالمة الهاتفية إلى بيت وائل، أخبره

بخلاصة الحديث، عندما سمع وائل بمبلغ الخمسة والثلاثين ألف دولار تغيرت تقاطيع وجهه، فارتفع حاجباه، وتقاربا بخط مستقيم، وظهرت تجاعيد أفقية على معرض جبهته، فتح فمه، وبرز فكه الأسفل إلى الخارج، كان وجهه أفضل مؤشر على تعابير خيبة الأمل التي أصيب بها من وسام، الذي يعمل جاهداً مع الآخرين على سرقته، لكنه عاد وتمالك أعصابه، لأنه يعرف بأنه الشخص الوحيد القادر على تصريف هذه البضاعة، حاول أن يقنع نفسه بأنه مادام يملك مسدس الصدم الكهربائي، فهو قادر بأن يحصل في كل أسبوع، على مثل هذا المبلغ، طلب من سعيد أن يذهب ويحضر الخمسة والثلاثين ألف دولار من صيدا، وأن يقتطع لنفسه خمسة آلاف دولار، مقابل أتعابه كما فعل ابن خاله وسام، لقد قرر بأن عليه أن يشرك سعيد في العملية القادمة، لأنه أصبح مطلعاً على كل ما يجري من الأمور، وهو بالأصل محل ثقته العمياء، بعد أن حصل سعيد على خمسة الآلاف دولار، لم يعد الشخص الذي كان.

بخطا متثاقلة تمر الأيام، يشعر وائل خلالها، بالركود القاتل يغلف حياته، التي يقضيها بين النوم والقراءة والذهاب مع سعيد في كل مساء إلى القهوة، لشرب الأرجيلة ومشاهدة مباريات كرة القدم على التلفزيون، الفراغ مشكلة ترهق كاهله باستمرار، تجعله متعباً، حتى أكثر من الأيام الماضية، التي كان يمارس فيها العمل في الوظيفة، يتسلل الضجر والملل إلى داخله، ما يجعله يدور حول نفسه بلا هدف لتحقيقه متناسياً أنه يقترب في كل يوم يمضي من الموت، الذي هو أكبر مخاوفه، لم يعد بحاجة إلى مشاهدة المعلم على التلفزيون في هذه الفترة، مازال عنده المبلغ الذي حصل عليه من بيع المشغولات الذهبية، عليه الآن أن يعيش لحظات حياته ويستمتع بها، لأنه يدرك أنه إذا انقضى الوقت، فلن يستطيع استعادته مهما بلغت قوته، عندما يجلس ويختلي بنفسه، تتنازعه الأفكار الحالمة، والهواجس والأهواء، والتخيلات الجنسية المثيرة، فلا يجد نفسه لا شعورياً، إلا وقد دفعته هذه الموجات من الأوهام إلى

الرغبة في إشباع غرائزه الجنسية الجامحة، التي تسيطر على تصرفاته.

حياة وائل غير المستقرة والفراغ الذي يعيش فيه دفعاه ليقضي معظم أوقاته بمشاهدة مسلسلات القتل والسرقة والجنس، على شاشة هاتفه الجوال، ما انعكس سلباً على نفسيته، وجعله يفكر بالحصول على فتاة من المومسات اللواتي يقفن على جانبي الطريق لاصطياد الزبائن.

شغل سيارته وانطلق إلى محطة عرمون على طريق الحرج، لم يعد البحث عن المومسات يتطلب مجهوداً، فالمومسات منتشرات في زوايا الشوارع، وعلى أرصفة الطرقات، ويمكن لوائل أن يميزهن بسهولة من خلال ملابسهن الافتزازية ومكياجهن الفاضح، كان خلال تفحصه لوجوه بائعات الهوى يشعر بمتعة المغامرة، على الرغم من معرفته بأن دعارة الشوارع هي الأرخص سعراً، والأكثر إثارة للشفقة ولنقل الأمراض الجنسية السارية.

لاحظ ثلاث فتيات يقفن على الشارع الرئيسي، غير آبهات بالمارة، وكأن الأمر هو بيع سلعة قانونية، يعرضنها على المارة، من دون خوف أو خجل، تنصرف سيارة وتتوقف أخرى، إلى أن توافق بائعة الهوى بالنهاية على الزبون، الذي يقدم لها عرضاً مغرياً لتذهب معه. اقترب بسيارته منهن، لفت انتباهه فتاة شقراء ذات عينين زرقاوين، يبدو أنها من أوروبا الشرقية، تشبه ملامحها إلى حدّ بعيد بنت صاحبة البيت الذي يعيش فيه، فالتقطها ودفع لها المبلغ الذي طلبته من دون مساومة، طلب منها أن تركب معه بسيارته، فالتفتت إلى رجل ضخم يقف إلى جانب البنات وكأنه حارس شخصي لهن، يدخن سيكاره بهدوء، كأنه رجل مهم من رجال الأعمال، هز رأسه بالموافقة على صعودها لسيارة وائل، ثم أخرج من جيبه ورقة وقلماً، وكتب عليها رقم سيارته، ربما من أجل إخافته، أو لإعطاء نوع من الثقة، إلى الشقراء التي ركبت بجانبه.

أمضت أكثر من ساعة معه في بيته، وهو يحاول أن يتخيلها طوال الوقت، بأنها ابنة جارته الصغيرة المراهقة، تراوده الخيالات والتصورات،

بأنه يقضي وقته مع بنت جيرانه الجميلة الشقراء، بعد أن انتهى من إشباع رغباته، شعر بالاشمئزاز والقرف والخجل من نفسه، إنها علاقة تتسم بالخوف والقلق وعدم الاطمئنان، إنها لا تقارن بعلاقته مع سلمى التي يشعر من خلالها بارتباطه العاطفي معها، لقد كان قد عاهد نفسه، منذ أن قطع علاقته بصاحبته القديمة مايا، بأنه لن يقيم أي علاقة جديدة مع ساقطة، لكن نظراً إلى طبيعة غريزته المتجددة، فلم يجد له بداً من إشباعها، عاد ليعاهد نفسه للمرة الثانية، بأن هذه العلاقة هي الأخيرة التي يقيمها مع بائعة للهوى، ثم أخذها معه بسيارته، وأوصلها إلى المكان الذي التقطها منه.

لا شيء يمكن أن يدفع وائل إلى الاكتئاب وعدم الشعور بالسعادة أكثر من شعوره بالملل من هذه السلسلة المتكررة من الإحباطات في حياته، التي منعته من إكمال دراسته الجامعية، وعدم الاستقرار في حياته العائلية، هو الآن يقوم بهجوم لا شعوري ضد هذا المجتمع المتفسخ، الذي يتحمل مسؤولية حرمانه من تحقيق أحلامه، ملصقاً به جميع عيوبه ونقائصه ورغباته المحرمة المكبوتة، ليبرر لنفسه، بأن جميع ما يقوم به هو مجرد رد للدين الذي في رقبته لهذا المجتمع الفاسد، يدفعه شعور داخلي بالفراغ، على الرغم من أن أيامه مملوءة بالنشاطات المسلية، فجوة داخلية تزداد اتساعاً كل يوم، وهو يسير فيه في هذا الطريق، الذي اختاره بالابتعاد من الله، لعل ذلك يعود إلى أن أكثر الأمور التي أصبحت تشغل باله في هذه الفترة، تتمحور حول الجنس والمال، كما ساهم انعزاله عن الناس، من سرعة ازدياد مساحة هذه الفجوة الداخلية.

اتصل من جواله على سلمى، محاولاً أن يقنعها، للحضور إلى بيته لتمضية بعض الوقت، ولمناقشة موضوع خطبتهما، تدرك سلمى بأنها بذهابها إلى بيته، فهي تمنحه قلبها وجسدها وسمعتها، خائفة من أن يتخلى عنها بكل بساطة، إنه يرفض أن يناقش معها الخطوات العملية، التي يترتب عليه اتخاذها للتقدم لخطبتها من أهلها، لتقطع عليه الحديث،

سألته فيما إذا ما كان مستعداً ليساعدها بتكلفة عملية التجميل الجراحية لأنفها، كما كان قد وعدها سابقاً، فكّر قليلاً... ثم أجابها: بأنه سيقوم بتأمين المبلغ خلال أسبوعين، على الرغم من أنه يملك ثلاثين ألف دولار، لكنه قرر أنه سيحصل على مبلغ صغير إضافي من عملية بسيطة، يمكنه من خلالها تسديد مبلغ ستة الآلاف دولار لسلمى.

ليكسر إرادة سلمى، لعدم موافقتها بالقدوم إلى غرفته، فاجأها بقوله: إنه يريد إهداءها الأسوارة الذهبية المبرومة الثانية، العائدة لأخته. لم تكن سلمى بحياتها تتصور أن أخته المسكينة، كان عندها أسوارتان ذهبيتان، لكن سلمى بطبيعتها عاطفية، لدرجة أنها تستخدم في كثير من الأحيان عاطفتها للحكم على الأشياء، أصبحت لا تدري ما الذي بها، بعد أن استمعت إلى كلماته الحلوة المؤثرة، إنها بحاجة ماسة إلى من يسمعها ويتعاطف معها، وجدت نفسها بالنهاية موافقة على الحضور، في يوم السبت إلى بيته، لمناقشته في موضوع الخطبة.

كالعادة حضرت سلمى إلى غرفته، بعد أن ألبسها الأسوارة، اعتبر أن هذه الهدية كافية لإغرائها ولشراء قلبها، حاول أن يقنعها بأنها أصبحت خطيبته، حتى من دون أن يخطبها رسمياً، ليخدعها وليتلاعب بمشاعرها، المشكلة في وائل أنه عندما امتلك المال، بعد هذا الحرمان، بدأ ينظر إلى كل الفتيات على أنهن سلع، وأنه قادر على شراء حبهن ومشاعرهن، فهذه الأسوارة بدورها هي وسيلة لشراء حب سلمى، محاولاً إقناعها بأنه لا يمكن أن تكون هناك علاقة حب بين رجل وامرأة من دون جنس، إن العلاقة البريئة بينهما غير طبيعية، تسايره سلمى بحدود، مادامت متمكنة من المحافظة على عذريتها، إنها تعطيه الجنس لكي يتزوجها، من أجل أن تحصل على الأمان، تحس بالوقت نفسه بأنها غير قادرة على أن يكون ظاهرها مثل باطنها إن كل همها منصب على أن يتقدم وائل لخطبتها، عندما غادرت الغرفة عاهدت نفسها، بأنها المرة الأخيرة، التي ستحضر فيها إليه، لن تعود أبداً، حتى يتقدم لخطبتها رسمياً من

أخيها، أدركت وهي تغادر البناء، بأن حصولها على هاتين الأسوارتين قد أعطاها قليلاً من الأمان، الذي ما برحت تبحث عنه طوال حياتها.

نجاح وائل في عمليته الأخيرة بالسطو على دكان بائع المجوهرات في منطقة الحمرا، زادت من شعوره بذاته، وأحس بقيمته أمام نفسه وأمام سعيد، تصور أنه لم يعد بحاجة للحصول على النصائح من المعلم على شاشة التلفزيون، للقيام ببعض العمليات السهلة للحصول على مبالغ قليلة من المال، وأول ما خطر على باله محطة بنزين زوهي في منطقة مار الياس، التي عبّأ منها خزان سيارته بالوقود منذ يومين، إنها محطة منعزلة بعض الشيء، ولا شك في أن غلتها عند المساء، ستكون بضعة آلاف من الدولارات، إن النجاح في تحقيق هذا الهدف السهل، سيزيد من تعزيز ثقته بنفسه بشكل كبير.

في مساء اليوم التالي ذهب في الساعة التاسعة مساءً إلى المحطة لاستكشافها، بعد أن ملأ خزان سيارته بالبنزين، لاحظ أنها تقع على زاوية تطل على شارعين، أحدهما تجاري والآخر فرعي، يقع مدخلها على الشارع الرئيسي وهو مخصص لدخول السيارات إلى المحطة، أما المخرج فهو على الشارع الفرعي، المخصص لخروج السيارات، راقب الدكاكين المخصصة لغسيل السيارات وتشحيمها والواقعة على يسار متجر التجزئة، فوجدها مغلقة في هذا الوقت من الليل، أما متجر التجزئة الصغير الملاصق لمبنى غسيل السيارات، فهو الآن مفتوح، ويحتوي على مجموعة من المواد الغذائية والسلع المتنوعة، دخله واشترى علبة سجائر ماركة مالبورو، تلفت يمنة ويسرة، وبحث في كل أطراف الزوايا، فلم يلحظ أي كاميرا للمراقبة، بعدها خرج من الدكان، ظل يفكر طوال الطريق، بأنه يجب أن يشك بكل شيء من حوله، قبل رسم الخطة التي سيتبعها للسطو على محطة البنزين.

كان سعيد جالساً إلى جانبه في المقهى، مستمتعاً بتدخين الأرجيلة، ومشاهدة مباراة كرة القدم على التلفزيون، اقترب منه وائل وفاتحه

بصوت منخفض بموضوع محطة البنزين، اندهش سعيد من هذه الفكرة، لكنه وافق عليها، حتى من دون أن يعرف ما الدور المطلوب منه في تنفيذها، يحدوه الأمل بأن يربح بعض النقود، من هذه السرقة السهلة، وهو مطمئن على نجاحها، بفضل الإنجازات الكبيرة التي حققها وائل مؤخراً، الذي يعتبره مثله الأعلى في الحياة.

تدرّب سعيد في بيت وائل على استخدام مسدس الصعق الكهربائي، اكتشف بنفسه سهولة استخدام هذا المسدس ضد شخص على مسافة قريبة منه، أطلق منه طلقتين تجريبيتين على المخدة الموجودة في سرير وائل، فأصابها مباشرةً بالطلقتين، ما عزّز ثقته بنفسه، وتصور أنه أصبح قادراً على أداء هذه المهمة.

اشترى له وائل لحية مستعارة ونظارة طبية بيضاء ليس لها درجات، لكي يلبسهما للتمويه أثناء قيامه بمهمته في متجر التجزئة عندما يحين الوقت، لمهاجمة الرجل الوحيد الجالس خلف صندوق الحسابات، دائماً تبدو الخطط على الورق أسهل بكثير من تنفيذها على الواقع.

في ليلة الأربعاء، أوقف وائل سيارته في الشارع الفرعي على بعد حوالي ثلاثين متراً من المحطة، وأبقى محرك السيارة دائراً، نزل سعيد متجهاً إلى الدكان، نظر من واجهة البلور الزجاجية فوجد أمين الصندوق وحده جالساً وراء طاولته، كان هناك عامل واحد آخر عند مضخات البنزين، على الرغم من ثقته الزائفة التي كان يستمدها من مسدسه الكهربائي الموجود في جيبه، وتصوره على قدرته في التعامل مع هذين الشخصين، بفضل مسدسه، إلا أن الخوف كان يتآكله من الداخل، حدث تسارع كبير في دقات قلبه وشعر بالغثيان، وأحس بالعرق ينساب من جبينه ورقبته، لم يعد واثقاً بأن لحيته ونظارته الطبية قادرتين على إخفاء شخصيته الحقيقية.

اقترب من أمين الصندوق، طلب منه علبة دخان، وأعطاه خمسين دولاراً، ففتح الرجل آلة الصندوق، فلاحظ بأن الدرج مملوء بالدولارات،

في هذه اللحظة مدّ يده إلى جيبه ليخرج المسدس الكهربائي، فوجد أن أصابعه لا تطاوعه، وأنه فقد السيطرة على يده من شدة الرعب، فأصبح تحت تأثير نوبة من الهلع الشديد، خمّن ماذا سيكون موقفه، لو تدخل العامل الثاني الواقف بالخارج، فيما إذا سمع صوتاً قادماً من داخل الدكان، هل سيكون عنده الوقت الكافي، لإعادة تلقيم مسدسه، أصبح منظره في هذه اللحظة غريباً ومثيراً للشفقة، حتى إن الموظف في الدكان سأله فيما إذا كان مريضاً، أو يتعرض لنوبة قلبية، فأجابه بأن كل شيء على ما يرام، مدعياً بأنه يعاني نوبة ناتجة عن ارتفاع نسبة السكر في دمه، وهي سبب هذه الاضطرابات، نتيجة لمعاناته داء السكري.

خرج من الدكان حتى وصل إلى السيارة، وبينما هو يفتح بابها سأله وائل: كيف الغلة، فما كان من سعيد إلا أن قال له: امشِ بعدين بحكيلك، لم يعد يعرف ماذا سيقول لوائل، أخبره بأنه عندما دخل الدكان، كان الرجل الجالس وراء صندوق المحاسبة يراقبه عن كثب، وعندما نظر إلى الأعلى كانت هناك كاميرا للمراقبة موضوعة على الزاوية التي تشرف على موقع الصندوق، لذلك رأى أنه من الحكمة تأجيل هذه العملية والبحث عن محطة وقود ثانية، لا يوجد فيها كاميرات للمراقبة، هزّ وائل رأسه، ولم ينبس بكلمة واحدة.

أوصله بسيارته إلى بيته، ثم عاد وائل بأدراجه إلى محطة البنزين، ملأ خزان سيارته بالوقود، ثم دخل إلى الدكان وطلب شراء زجاجة كولا، وبينما هو يشربها بهدوء، أخذت عيناه تتصفحان الزاوية التي فيها الكاميرا، على ذمة سعيد، فلم يجد شيئاً، ثم أخذ يتصفح الزوايا ركناً ركناً، فلم يجد أي أثر للكاميرات، فأدرك بأن سعيد كان خائفاً لدرجة بدأ يتوهم فيها بوجود أشياء غير موجودة، عليه الآن أن يعود إلى المعلم على الشاشة ليفهم منه الخطوات، التي يجب اتخاذها بعد هذه العملية الفاشلة.

انتظر المعلم الذي لم يشاهده لمدة تزيد على أسبوعين، حتى ظهر فجأة، كعادته على الشاشة في منتصف الليل، ولشدة استغرابه، كان ملماً

بتفاصيل عملية السطو الفاشلة على محطة البنزين، طيّب خاطره، وطلب منه أن يكون أكثر حذراً في المرات القادمة، شرح له أن هناك قانوناً طبيعياً يتحكم بمصير البشرية، اسمه قانون الجهود المهدورة، فمعظم أمطار العالم تهطل في المحيطات، ولا يستفيد منها البشر، وحده الإنسان الجاهل، يرفض هذا القانون الكوني الطبيعي، الإنسان يعتبر أن عدم نجاحه في بضع محاولات تجعل منه شخصاً فاشلاً، حتى إن النمر يحتاج إلى عشر محاولات لينجح في واحدة منها، يتمكن فيها من اصطياد فريسته، ولكنه لا ييئس، لأنه يعرف بغريزته الطبيعية، قانون الجهود المهدورة، بعد أن انتهى المذيع من حديثه، استعاد وائل ثقته بنفسه، قرر منذ هذه اللحظة، بأنه لن يقوم بأي عملية بالمستقبل قبل استشارة المعلم. أولاً عليه أن يسامح سعيد على خطئه، لأنه لا يمكنه أن يجعل منه نسخة كربونية عن نفسه التي لا تخاف ولا تأبه لأي شيء في هذا العالم، عليه أن يتقبله كما هو، ويساعده على أن يتطور، لكي يصبح نسخة شبيهة عنه.

بعد يومين، وبينما هما جالسان في المقهى، يستمتعان بتدخين الأرجيلة، انتهز وائل هذه الفرصة، وفاتح سعيد بضرورة إعادة محاولة السطو على محطة البنزين في منطقة مار الياس، فما كان من سعيد، إلا أن سحب نفساً طويلة من الأرجيلة، وحبسه لفترة في صدره، ثم زفر الدخان ببطء، وقد احمرّت عيناه وتغير شكل وجهه، إنه بحاجة إلى بعض الوقت، ليستجمع شجاعته، ليرفض هذا الطلب، مدفوعاً برهاب الإخفاق الذي اعتراه من محاولته الأولى، خائفاً من تكرار المحاولة حتى لا يفشل مرة ثانية.

إنه الرعب الناجم عن التهديد، بأن الشرطة قد تكتشف أمره، ويصبح خلف القضبان، بدأ يشرح خوفه الدائم من رقم اثنين، ويلقي اللوم عليه منذ زمن بعيد وهو يتشاءم من الرقم اثنين، ويعتبره من الأرقام التعيسة التي تداخلت في حياته، فهو الولد الثاني في أسرته، ما أثّر في طبيعة شخصيته، لأنه حصل على رعاية أقل من أخيه البكر، وعاش أغلب

أوقاته تحت سيطرة أخيه الأكبر، كان يحسّ بأن أهله غافلون عنه، وهم يركزون اهتمامهم على هذا الأخ، ما دفعه إلى إهمال دراسته، والتركيز على إنشاء صداقات خارج عائلته، ليحصل من رفاقه على الاهتمام الذي يفقده من أهله.

استوعب وائل مخاوف سعيد التي عبّر عنها بشكل عفوي وسطحي، فوائل هو الشخص الوحيد المثقف بين شلته، وهو الذي يفهم رموز الأرقام التي تلعب دوراً في الحياة، ويعرف أن لكل رقم قوة معينة تربطه بالكون، وفوق ذلك كله، فإن كل رقم من الأرقام يرتبط بعنصر معين من عناصر الطبيعة، بالمقابل إن سعيد محدود التفكير، وليس قادراً على إطلاق العنان لخياله، ليخلق للعالم في ذهنه صورة جديدة، تتماشى مع أحلامه، فيراه بالشكل الذي يريده، لكن لم يكن أمامه، سوى مسايرة مخاوف سعيد المبالغ فيها، لكيلا يخسره، إنه بحاجة إليه، من أجل العمليات الكثيرة القادمة، لذلك ألغى فكرة العودة إلى محطة البنزين.

يلجأ وائل إلى الخيالات الجنسية في تصور علاقته بسلمى، مستحضراً المناظر التي شاهدها في الأفلام على الإنترنت لكسر الرتابة والروتين في حياته اليومية، معبراً في هذه الخواطر عن رغباته المكبوتة في عقله الباطن على شكل صور، مرتبطة بتجاربه السابقة مع الساقطات، ليسقطها على علاقته الحالية بسلمى، وتتمحور في أغلبيتها على مواضيع السيطرة والاستحواذ عليها، إن رائحة عطرها، التي هي امتداد لروحها ولشخصيتها الغامضة تلعب دوراً مهماً في إثارة غريزته الجنسية، كان قد قرأ مرة، بأن رائحة المرأة الطبيعية التي تصدر عن جسدها تثير جنون الرجل، لكنه بخبرته السابقة، وجد أنها تؤدي إلى نفور الرجل من المرأة، إن لهذا العطر النسائي الذي تضعه سلمى، رائحة نفاذة تلعب دوراً في تعلقه وانجذابه إليها، ما تجعلها تسيطر على تفكيره، سألها مرة عن اسم هذا العطر الذي تضعه خلف أذنيها ومعصميها، فأجابته بأنه شانيل، يحس به ينفذ إلى أعماق رئتيه، كلما حضرت

بالقرب منه، وهي تحرص على ألا تبدل هذا العطر، ما يجعله سمة بارزة لها، يميزها به من بعيد، عن كل نساء العالم، إنه يضفي جاذبية خاصة على شخصيتها، تؤثر في مزاجه، فينطلق من داخله ذلك الكمّ الجارف من الرغبات الجنسية التي تجعله في تلك اللحظة عبداً لها.

أثار تداعي هذه الخواطر الجنسية على إرادته، فلم يعد قادراً على مقاومتها، فاستسلم لها، أخذ جواله واتصل بسلمى، وكعادته دعاها للقدوم إلى غرفته لمناقشة موضوع خطبتهما، إنه يثق بأنه يقدم لها عرضاً، لا يمكنها أن ترفضه، حاولت في بادئ الأمر أن تتهرب من فكرة القدوم بمفردها إلى غرفته، لكنها أقنعت نفسها بالنهاية بأنها ستكون المرة الأخيرة التي تحضر فيها، فالأمور قد وصلت إلى حدها، وعلى وائل أن يختار بين أن يتقدم إلى خطبتها فوراً، أو أن يقطع علاقته بها، عليها أن تكون واضحة وصارمة معه في هذا الموضوع، وأن تضع حداً لأعذاره للتهرب من خطبتها.

رجعت سلمى إلى بيت وائل في نهاية عطلة الأسبوع، محاولة أن تكون أكثر جدية في تعاملها معه خلال هذه الزيارة، لكيلا تعطيه الفرصة ليتلاعب بها، كعادته مثل المرات السابقة، بعد أن أدخلها إلى غرفته، بدأ يحدثها عن الاستغلال التي تتعرض له الطبقة العاملة في المجتمع، وكيف أن هناك نخبة من الأشخاص تسيطر على هذا العالم، وتسخره لمصالحها الخاصة، ليثير نقمتها على الوضع الاقتصادي الصعب الذي تعيش فيه، ويجعلها تتعاطف معه. في حديثه عن الطبقة الفقيرة المسحوقة، بقيت تومئ برأسها موافقةً على كل ما يقوله، إنها تسايره حتى ينتهي من محاضرته، لتبدأ حديثها معه، عرض عليها أن يحضر لها فنجاناً من القهوة التركية، لتحسين مزاجها الذي يبدو متعكراً في هذا الصباح، لكنها اعتذرت عن شرب فنجان القهوة، لأنها تخاف أن يدسّ لها بعض المواد المخدرة في الفنجان، مشكلتها الحقيقية أنها لا تثق به، وهي حتى الآن ترفض الاعتراف بذلك.

استلمت سلمى دفة الحديث، قالت باختصار وبصراحة: إنها جاءت لتنهي موضوع علاقتهما، إنها تريد أن تعرف منه فيما إذا كان يحبها، أو أنه يحاول أن يتسلى معها، فإذا كان جدياً في علاقته معها، فعليه أن يتقدم لخطبتها خلال اليومين القادمين، ولزيادة الضغط عليه أخبرته بأن أخاها إذا عرف بموضوع علاقتهما، فسيذبحها ويذبحه أيضاً، فالموضوع خطير، وهو يمس شرف عائلتها.

حاول وائل كعادته أن يميّع الموضوع، أكد لها أنه يحبها، وهو ينتظر أن تتحسن أوضاع أمه ليتقدم لخطبتها، أخذ يلاطفها، جذبها إليه محاولاً اللعب بخصلات شعرها، أخذ يتكلم عن جمال عينيها، ملامساً بأصابعه أذنيها، ثم همس في أذنها بكلمات ناعمة، تعبّر عن مقدار إعجابه بها، ضمّها إلى صدره متوقعاً أن تستسلم له مثل المرة الفائتة، دفعته عنها برفق، حتى لا تثير غضبه، شعرت بأنه يحاول أن يستغلها كعادته، ذكرته بأنها جاءت إلى هنا فقط لمناقشة موضوع الخطبة، لكنه استمرّ في ملاطفتها وملاحقتها، فلم تجد بداً من أن تخبره بحزم، بأنه يكذب عليها، ويحاول أن يشبع رغباته الجنسية من خلالها، مقابل هذه الهدايا البسيطة التي يقدمها لها.

ظهرت عليه علامات الغضب الشديد، نظرت إلى عينيه، لأنها تعرف بأن العين هي نافذة القلب، فلاحظت أن حدقة عينه تحركت إلى الأعلى، وظهر بياضها بشكل واضح في جميع الاتجاهات، وهذا يشير إلى مدى الضغط النفسي الذي يتعرض له، خافت من منظره، الذي يدل عن انفصال عقله عن وعيه، لقد فقد وائل السيطرة على أعصابه، واعتبر هذا الكلام طعناً في رجولته، وأصبح على أهبة الانفجار، فيما لو استمرت سلمى بالضغط عليه بكلمة ثانية.

خافت في تلك اللحظة، فتوقفت عن الكلام، خشيت من أن يلجأ إلى استخدام العنف معها، ويقوم باغتصابها، فقررت أن تنهي زيارتها، أخذت حقيبة يدها النسائية من على الطاولة، وغادرت منزله وهي تحاول أن تحبس الدموع في عينيها، مدركةً أنها المرة الأخيرة التي تراه فيها.

الفصل السابع

وصول علاقته العاطفية مع سلمى إلى خط النهاية، أصابه بالإحباط وشعر بخيبة الأمل والفراغ، لأنها هي التي اتخذت القرار بتركه، فساهمت في إهانة الأنا الذكورية التي يعتز بها، ما قلل من احترامه لذاته، لكنه أقنع نفسه، بأنه هو الذي قصّر في الحفاظ عليها، وأنه تنازل عنها بسهولة، بذريعة أنها لم تسايره في تلبية رغباته الحميمة، حاول أن يؤكد لذاته، بأن سلمى لم تكن البنت الجميلة التي يرغب في الزواج منها، وأنه كان يضيف كثيراً من التخيلات الجنسية على ملامحها، لكي تبدو جذابة، من أجل استمرار هذه العلاقة بينهما. إن تصوراته المتعمدة المبالغ فيها نحو مظهر سلمى كان يستغلها، لزيادة إثارة رغبته الجنسية، لكن أحياناً يصبح من الصعب عليه تمييز الخط الفاصل بين الوهم والواقع، لكنه في أعماقه كان يشعر بالسعادة، لأنه تخلص منها بهذه البساطة، فهو دائماً يفكر بالزواج من ابنة جارته المراهقة الجميلة، إن المال هو المشكلة الوحيدة التي تقف في طريق تحقيقه لهذا الحلم.

المال يشكل رمزاً لوائل، فهو يعني الاستقلال والقوة والشعور بالأمان، وبقدرته على التحكم بمصير زواجه من بنت صاحبة الغرفة التي يسكنها، صحيح أن المال يشتري الوسائل ولا يشتري الغايات، فهو

سيسهل زواجه من بنت الجيران، ولكنه لن يضمن سعادتهما، فيبقى عليه أن يجرب ذلك، ليتأكد من الأمر بنفسه، أصبح مهووساً بجمع المال، لعل ذلك يعود إلى أنه عاش فقيراً ويتيماً في صغره. فأصبح المال خبرة وجدانية اكتسبها من خلال تجربته القاسية في الحياة أمام التنافس الحاد مع الآخرين للحصول على مزيد من المال، لقد انهارت جميع القيم الأخلاقية التي كان ينادي بها طوال حياته.

انتظر المعلم ليلتين متتاليتين ولم يظهر على التلفزيون، ما أثار كثيراً من الخوف بداخله، بأنه ربما قد تخلى عنه، في الليلة الثالثة وفي الوقت المحدد، ظهر المعلم على التلفزيون، اقترح على وائل بأن يفكر بالحصول على المال من الصرافات الآلية المتوافرة بكثرة في شوارع مدينة بيروت، لم يترك له المذيع مجالاً ليسأله عن الطريقة التي يجب أن يتبعها لسرقة هذا الصراف، لقد اكتفى بإعطائه الفكرة، من دون الدخول بالتفاصيل الإضافية، تاركاً له اتخاذ القرارات المناسبة، للحصول على المال الموجود في داخل هذا الصراف.

شبكة الإنترنت في هذا العصر أصبحت قادرة على حل جميع المشكلات التي يواجهها الناس، أخذ هاتفه الجوال، وكتب ثلاث كلمات، سرقة الصراف الآلي، وخلال ثوانٍ تحرك محرك البحث في جوجل، وفتح صفحة على شاشة هاتفه الجوال، ظهرت فيها على اليوتيوب العشرات من الأخبار عن الطرق التي يستعملها اللصوص للسرقة من الصراف الآلي، ولما كانت معلوماته في الطرق التي يستعملها الهاكر باستخدام التكنولوجيا لسرقة الصراف محدودة، لذا ركز على الطرق الفعلية البسيطة التي يستخدمها اللصوص العاديون لسرقة الصراف الآلي، وصل إلى نتيجة، بأن الطريقة الوحيدة المتوافرة لديه هو استخدام القوة لتحطيم الجهاز لكي يتمكن من استخراج النقود التي بداخله.

قرأ أن هناك مجموعة من اللصوص، استخدموا رافعة كهربائية، ورفعوا الجهاز إلى سيارة شحن صغيرة وهربوا به، الفكرة على الورق

تبدو بسيطة، ولكن تنفيذها من المستحيل في بيروت، وقرأ عن القصص الكثيرة التي لجأ إليها لصوص الصرافات الآلية في كل أرجاء العالم، بالنهاية اقتنع بأن نجاح كل سرقة، يرتبط بتأمين الظروف الملائمة لها، لكنه استفاد من متابعة هذه القصص على الويب سايت، في زيادة توسيع آفاق مخيلته، بالتعرف على أحدث الطرق المتبعة في سرقة الصراف الآلي، في لحظة من الإلهام، تجلت له الطريقة المناسبة للقيام بهذه السرقة.

اتصل بصديقه سعيد، وطلب منه أن يؤمن له موعداً مع ابن خاله وسيم في صيدا، ولم يعطه أي معلومات عن الموضوع الذي يرغب من أجله للاجتماع به في الوقت المحدد، خرج سعيد بعد انتهائه من الدوام، ليجد وائلاً بالخارج ينتظره في سيارته، وانطلقا إلى مدينة صيدا، في الطريق سأله سعيد عن الغاية من هذا الاجتماع، فأجابه وائل: إنه بحاجة إلى شراء بضعة أصابع من الديناميت التي يستعملها الصيادون في صيد السمك في البحر، لأنه يؤمن بأن أفضل طريقة لتمضية الوقت هو الاستمتاع بصيد السمك، لم يقتنع سعيد بكلمات وائل، لكنه اكتفى بهز رأسه بالموافقة، لأنه مازال يعتبر وائل مثله الأعلى في هذه الحياة.

وصلا إلى بيت وسيم، وبينما هما جالسان في غرفة المعيشة يشربان البيرة، التفت وائل إلى وسيم، شرح له بأنه يفكر بأن يمارس هوايته في صيد السمك باستخدام أصابع الديناميت، كما يفعل الصيادون في صيدا، وطلب منه تأمين عشرين أصبع ديناميت من النوع الذي يستخدمه الصيادون العاديون في صيد السمك، فأجابه وسيم بأن استخدام أصابع الديناميت خطر جداً، وهناك عشرات الصيادين المحترفين الذين فقدوا أصابعهم، وحتى إن بعضهم قد فقد يده كاملة، أثناء انفجار أصبع الديناميت وهو ماسك به في يده، لأنه أساء التقدير بين الزمن اللازم لاشتعال الفتيل، وبين اللحظة التي يجب إلقاؤه فيها بالماء، وبالتالي وصل الفتيل المشتعل إلى كبسولة التفجير، وأصبع الديناميت مازال في يده، من المطلوب أن يكون عند الشخص الخبرة لإشعال الفتيل وإمساكه بيده، قبل أن يلقيه في مياه

البحر، إضافة إلى أن هناك مخاطر لحدوث انفجارات من دون قصد، نتيجة أي صدمة محسوسة يمكن أن تدفع الأصبع لينفجر.

بعد أن شاهد وسيم الرعب في عيني وائل، خفف من حديثه بعض الشيء، فعاد ليطمئنه قائلاً: لكن طرق التعبئة والتغليف الحديثة ساعدت من تقليل الانفجارات من دون قصد، نتيجة لاستخدام الورق السميك المغطس بالشمع لتغليف المواد المتفجرة، وهذا ما يسمونه النخب الأول، لكن سعره أغلى بكثير من النخب الثاني، كما أن حوادث التفجير غير المقصودة للديناميت الطازج تكون متدنية عن الديناميت القديم، إن استخدام الديناميت القديم بالنسبة لشخص قليل الخبرة محفوف بالمخاطر، أما توقيت التفجير فيعتمد على طول الفتيل، بعد أن انتهى من شرحه، أكد له وائل، أنه يريد الحصول على أصابع ديناميت من النخب الأول، مهما كان سعرها، فعاد وسيم من جديد ليؤكد له للمرة الثانية، أن الخطورة في استخدام أصبع الديناميت يعود بالدرجة الأولى إلى عدم معرفة الربط، بين طول الفتيل والزمن اللازم لتفجير الأصبع.

استغل وسيم إلحاح وائل، فطلب خمسة وثلاثين دولاراً مقابل كل أصبع ديناميت من النخب الأول، وأنه سيعطيه لفة كاملة من الفتيل، مع عشرين صاعقاً على البيعة، من دون أن يأخذ ثمنها، لم يكن أمام وائل خيار سوى الموافقة، استأذن منهما وسيم وخرج من بيته إلى الميناء لتأمين الطلبية، وجلسا في غرفة المعيشة وحدهما بانتظاره، وبعد حوالي ساعة، عاد ومعه كيس بلاستيكي محكم الإغلاق، وبداخله أصابع الديناميت مع لفة الفتيل والصواعق، دفع وائل له سبعمئة دولار وخرجا من بيته، متجهين إلى بيروت، لقد تمكن وسيم من حديثه بإدخال الخوف والحذر إلى أعماق وائل، ما سهّل له الحصول على هذا المبلغ من وائل بلا أي مساومة.

بعد أن دخل وائل إلى غرفته فتح الكيس ووجد عشرين أصبعاً من الديناميت، ولفة من حبل قطني رفيع لإشعال الأصابع مع الصواعق، إن الهدف من طول الفتيل هو إتاحة فاصل زمني لمشعل الفتيل، ليهرب أو

يحتمي من أثر الانفجار، قصّ وائل قطعة بطول عشرة سنتمترات من الخيط، ثم أشعل رأسه، فوجد انه بحاجة إلى أقل من دقيقة حتى يصل الاشتعال إلى نهايته، ما جعله يشعر بالخوف، لأن أي تقدير خاطئ في زمن احتراق الفتيل، الداخل في أصبع الديناميت، سيؤدي به إلى الكارثة، تمنى في هذه اللحظة، لو أنه ناقش هذا الموضوع بالتفاصيل مع وسيم، وحصل منه على مواصفات هذا الفتيل، فكر أنه ربما من الأفضل أن يعود مرة ثانية إلى بيت وسيم في صيدا لاستيعاب هذا الموضوع بشكل أفضل.

اتخذ قراره في اليوم التالي، بأن يقوم بنفسه بإجراء تجربة بسيطة بتفجير أصبع واحد من الديناميت، ليكتشف مقدار طول الفتيل اللازم، وقوة تأثير التفجير، جلس على طاولته وقصّ قطعة من الفتيل بحدود الأربعين سنتمتراً، ثم أدخلها في رأس صاعق التفجير، الذي أدخله بدوره في أصبع الديناميت، أصبح الأصبع الآن جاهزاً، وكل ما يحتاجه لإكمال العملية، هو إشعال رأس الفتيل.

خطر له أن أفضل مكان، لإجراء تجربته الأولى هو أن يضع هذا الأصبع تحت أي سيارة، متوقفة على جانب الشارع، ليعرف مقدار قوة هذا التفجير، وضع المتفجرة في كيس بلاستيكي، وقاد سيارته باتجاه حي المزرعة، كانت هناك عشرات السيارات المصطفة على جانبي الطريق، صف سيارته عند بداية الشارع، نزل يتمشى بالاتجاه المعاكس لاتجاه سيارته، وهو يحمل الكيس البلاستيكي في يده، وبعد أن ابتعد حوالي مئة متر، غيّر اتجاهه ودار على نفسه، وعاد باتجاه سيارته من جديد.

أثناء سيره، وجد سيارة موديل كاديلاك جديدة لونها أسود مصفوفة إلى جانب الرصيف، أشعل سيجارته ووضعها في فمه، وبينما هو على بعد متر من السيارة، أخرج الأصبع وهو مازال بداخل الكيس، قرّبه من وجهه، وأشعل رأس الفتيل، ثم رمى الكيس على الأرض أمامه، وبحركة خفيفة، دفع الكيس من على الرصيف بقدمه إلى تحت السيارة، وتابع سيره ببراءة متجهاً إلى سيارته، من دون أن يلفت انتباه أحد من المارة إليه.

حين وصوله إلى سيارته، شغّل محركها، وانطلق في طريقه، ما كاد يبتعد قليلاً حتى سمع صدى انفجار خفيف يشبه صوت الألعاب النارية، كان الصوت ضعيفاً جداً، وأقل بكثير من توقعاته، لما نظر من المرآة الموجودة أمامه بالسيارة إلى الوراء، لاحظ سحابة خفيفة من الدخان تنبعث من مكان السيارة، ولم يلاحظ أي أعمدة من النيران، تتصاعد إلى السماء، نتيجةً لانفجار خزان وقود السيارة، فأصيب بالدهشة وبخيبة الأمل من نوع هذه المتفجرات التي اشتراها من وسيم، لقد تمكن من غشه للمرة الثانية، كان يتوقع أن يشاهد انفجاراً قوياً تشوبه النيران، كما يحدث في أفلام السينما، لكن عليه الآن أن يتقبل الأمر الواقع، وأن يستفيد منه بقدر الإمكان.

بقي فكره مشغولاً بقصة أصبع الديناميت، طوال الجلسة مع سعيد في القهوة، وهو يتابع مباراة كرة القدم على التلفزيون، ظل تفكيره محصوراً بالسؤال عن السبب الذي جعل الانفجار ضعيفاً إلى هذه الدرجة، بالنهاية تصوّر أن السبب قد يعود إلى أنه عندما دفع الكيس بقدمه، من على الرصيف باتجاه السيارة، فإن الدفعة كانت ضعيفة لحد أنها حركت الكيس فقط، لمسافة قصيرة، فسقط بجانب أطروفة الرصيف، ولم يتمكن من الوصول إلى تحت هيكل السيارة، ما أدى عملياً إلى انفجاره بالهواء، لذلك شاهد عموداً خفيفاً من الدخان الأسود يصعد إلى الأعلى باتجاه السماء، إن عليه أن يتعلم من هذا الدرس، بأن الدقة القصوى مطلوبة في تنفيذ هذا النوع من العمليات.

لما أطلّ الصباح، نزل واشترى جريدة السفير، متوقعاً أن يكون فيها خبر صغير عن موضوع التفجير، لكنه لم يلاحظ فيها ما يشير إلى هذه الحادثة، أعاد تقليب الصفحات، عبثاً ولم يجد شيئاً، شعر بأن الحكومة والشرطة تتعمدان عن قصد، إخفاء هذه الأخبار عن عامة الشعب، لا شك أن دوائر المخابرات تحقق في تفاصيل هذا الانفجار، وتجمع الدلائل من آثار بقايا أصبع الديناميت، لتتمكن من الوصول إلى شخصية الفاعل، إن أكثر ما يخيفه في هذا الموضوع أن المسؤولين في

الشرطة يعملون بصمت، من دون أن يوجهوا أصبع الاتهام إلى أي جهة، لتحميلها مسؤولية التفجير.

فشلت تجربته الأولى في استخدام أصبع الديناميت، بدأ يشغل باله بالتفكير في إعادة هذه التجربة، وصل إلى قرار، بأن هناك محطة للوقود على طريق مصفاة طرابلس، فيها بقالية ومطعم صغير يرتاده سائقو صهاريج البنزين، وهم في طريقهم إلى بيروت، يتوقف السائقون فيها للاستراحة لفترة قصيرة، يستمتعون خلالها بأكل الساندويشات مع شرب الشاي، قبل أن يواصلوا رحلتهم، إن تفجير أحد هذه الصهاريج سيحدث صوتاً وحرائق، لن يتمكن مسؤولو الشرطة من إخفائها وتجاهلها، وستجد الجرائد نفسها ملزمة بالكتابة عنها، إن على الطبقة الحاكمة أن تتحرك، لتشرح لسواد الناس من يقف خلف هذه التفجيرات. عليه أن يقوم بهذا العمل بنفسه، وهو ليس بحاجة إلى مساعدة سعيد، الذي لا يثق كثيراً في إمكانياته الذهنية، ذهب بسيارته، وتوقف أمام محطة الوقود، نزل منها ودخل المطعم الصغير، وطلب كأساً من الشاي، بينما كانت عيناه تبحثان عن كاميرات المراقبة، التي قد تكون مخبّأة في زوايا المطعم. شاهد كاميرا للمراقبة عند مدخل الكازية، كما شاهد كاميرا ثانية داخل المطعم موجهة نحو مدخل الباب. بعد أن خرج من المطعم، أعجبه المكان، فبدأ يخطط لزيارته مرة ثانية.

توالت عدة أيام وهو مازال يشعر بحيوية كبيرة نتيجة للإثارة المستمرة، من فكرة تحدي الدولة العميقة التي تحكم هذه الجماهير، وتسيطر عليها بوساطة تسخير الميديا والتلفزيون لتخديرها بالشعارات والوعود غير القابلة للتحقيق، إنها صناعة بيع الوهم للمواطن، بخلق صورة برّاقة للوطن، منافية للواقع الأسود، الذي ينتظره في المستقبل البعيد، وذلك من أجل خدمة أغراضها وتمرير مشاريعها. أخرج أصبعين من الديناميت، ووضعهما على الطاولة أمامه، ثم قصّ قطعتين من شريط الفتيل، طول كل واحدة منهما حوالي خمسين سنتمتراً، وهذا يعني أن أمامه خمس دقائق

ليهرب بعد إشعال الفتيل، بعدها قام بتثبيت الفتيل بكبسولة التفجير، وأدخلها في أصبع الديناميت، فأصبحت جاهزة، تنتظر من يشعلها.

أخذ طريق طرابلس واتجه إلى محطة الوقود، إن تفكيره بالانتقام من المؤسسات التي تحكم البلد أعطاه نوعاً من التوازن والتركيز، واكتشف في نفسه قوة هائلة تدفعه لمواصلة طريقه، صفّ سيارته على بعد حوالي خمسين متراً من محطة الوقود، وعلى يمين الشارع الرئيسي بعيداً من كاميرا المراقبة الموجودة عند مدخل المحطة، نزل من سيارته، ومعه كيس بلاستيكي صغير، أخرج سيجارة، وضعها في فمه، أشعلها وبدأ يدخنها بشراهة، ماشياً باتجاه ثلاثة صهاريج من البنزين مصفوفة عند مدخل المحطة، وكان يرتدي نظارة شمسية، ويضع شارباً اصطناعياً أسود، وذلك للاحتياط من كاميرا المراقبة الموجودة عند مدخل المحطة، اقترب من الصهريج الموازي للطريق، ثم أخذ الكيس البلاستيكي، وقرّبه من وجهه، وأشعل الفتيلين الموجودين داخل الكيس من سيجارته، بعد أن تأكد بأنهما بدأا بالاشتعال، ألقى بالكيس البلاستيكي على الأرض، ودفعه بقدمة بقوة إلى تحت الصهريج، عاد بهدوء إلى سيارته، وتابع طريقه، إن عملية إشعال الفتيل وإلقاء الكيس تحت الصهريج، لم تستغرق أكثر من نصف دقيقة، بينما احتاج إلى أكثر من دقيقتين، ليعود إلى سيارته وينطلق بها.

بعد دقائق سمع صوت انفجار أقوى بكثير من صوت الانفجار الذي سمعه بالمرة الفائتة، لم يتمكن وائل من مشاهدة آثار الانفجار، لأنه ابتعد كثيراً عن محطة الوقود، بعد أن نزع شاربه، خاف من أن يعود أدراجه ثانيةً، ليمر أمام محطة الوقود، فلربما قد تلتقط كاميرا المراقبة صورته، لكن انتابه إحساس داخلي بأن الأمور جرت وفقاً لما خطط لها، إن عليه أن ينتظر بفارغ الصبر جريدة السفير في اليوم التالي، ليعرف حقيقة ما جرى في محطة الوقود.

طال انتظاره لصحيفة الصباح، كان يتوقع أن يجد في الصفحة الأولى صوراً لمحطة الوقود وهي تشتعل، وصور الصهاريج الثلاثة وقد ولعت

فيها النيران، كما يشاهد عادةً في الأفلام الأميركية، لكنه فوجئ بوجود خبر صغير في الأخبار المحلية يقول : إن حريقاً شبّ في أحد الصهاريج المتوقفة أمام محطة البنزين، وإن فوج الإطفاء في الدفاع المدني تمكن من إخماد الحريق الذي شبّ في أحد الصهاريج المتوقفة في فناء المحطة، واقتصرت الأضرار على الماديات، كان الخبر معدوداً بعناية من المسؤولين في الشرطة، بحيث أدخل الخوف إلى أعماقه.

لم يكن خوف وائل مجرد تخيّلات، لقد وجدت الشرطة نفسها بعد استخدام مسدس الصدم الكهربائي، والتفجيرات العشوائية التي حدثت مؤخراً، بأنها أصبحت مستهدفة من جماعات لا تعرفها، قد تكون إرهابية أو فوضوية أو مجرد عصابة صغيرة، تحاول أن تقلد عصابات المافيا، وجدت أن هناك رابطاً غير واضح يربط بين هذه الحوادث التي جرت في الفترة الأخيرة، أجرت اتصالاتها مع الشرطة الفرنسية، وأرسلت لها الفيديو الوحيد المتوافر لديها، عن سرقة دكان بائع المجوهرات، لتساعدها في تحديد هوية الشخص الذي يرتكب هذه الجرائم.

في فرنسا هناك تقنية قادرة وبشكل تلقائي على تحديد الشخص الموجود في مقطع الفيديو، وهي تعتمد بشكل عام على مقارنة ملامح الشخص الظاهر على الفيديو، مع صورة معينة من الوجوه المخزنة في قاعدة بيانات الكومبيوتر، تبقى هناك صعوبة في التعرف على الوجه، في حالة الإضاءة السيئة والنظارات والشعر المستعار، وأشياء أخرى تغطي الوجه، لذلك قام الخبير بإزالة باروكة الشعر المستعار الموجودة على رأس السيدة، في فيديو السطو على دكان المجوهرات في شارع الحمراء، واستخدم طريقة حديثة تعتمد على التعرف على الوجه بطريقة الأبعاد الثلاثة، بحيث يمكنه التعرف على الوجه، من مجموعة من زوايا النظر المختلفة، بعد التحليلات الطويلة، والاستعانة ببرنامج كومبيوتر خاص، يتم فيه التركيز على حركة المشي من خلال مراقبة القوة التي تمارس من القدم على الأرض أثناء السير، تبين أن وجه السيدة الظاهرة في

مقطع الفيديو، يعود لرجل، بعد تحديد السمات المميزة لهذا الوجه، تم رسم صورة تقريبية لصاحبه، وإرسالها إلى الشرطة في بيروت.

التفكير بالسرقة الذي يسيطر على تصرفات وائل لا يمكن تفسيره، لحاجته الماسة إلى النقود، صحيح أنه كان موظفاً صغيراً، لكن راتبه كان كافياً لتأمين حاجاته الأساسية، لقد تفاعلت عدة دوافع نفسية، دفعته ليأخذ هذا السلوك، فهو منذ وعيه على هذا العالم، وهو يعرف بأن أباه يملك كل شيء في المنزل، لذلك لم يتعود عن التفرقة بين حقوق والده وحقوقه، لقد فهم معنى الملكية وفقاً لما شاهده واختبره من أبيه، مازال يتذكر أول سرقة قام بها، لما كان في الصف الثاني الابتدائي، عندما سرق قلم الحبر من التلميذ الجالس بجانبه في الصف بسبب الغيرة، لأنه لم يكن باستطاعة أهله، أن يشتروا له مثل هذا القلم. استمرت عمليات السرقات البسيطة التافهة، خلال فترة نموه النفسي والبدني، وتطورت لتأخذ حجمها بهذا الشكل، بعد لقائه المعلم على شاشة التلفزيون.

هداه تفكيره إلى أن هناك صرافاً آلياً موجوداً بجانب بنك كوم في شارع الظريف، من المتوقع أن تكون حركة الناس خفيفة في هذا المكان أثناء الليل، أخذ سيارته وانطلق لمعاينة مكان الصراف الآلي، هناك كاميرات للمراقبة في كل مكان، بحيث لا يمكنه تجنبها، لقد قرأ في الإنترنت عن مئات حوادث السطو على الصرافات الآلية في كل أنحاء العالم، لقد نجح اللصوص في بعضها، وفشلوا في البعض الآخر، ليهدئ من مخاوفه، حاول أن يقنع نفسه بأن هناك مخاطرات محسوبة، يجد نفسه مضطراً لاتخاذها، فيما لو فكر بالتقدم إلى الأمام، أما إذا كان يخاف من المخاطرة، فعليه أن يبقى داخل غرفته طوال الوقت، لأن الخروج من المنزل هو مخاطرة بحد ذاتها، فقد يتعرض في أي لحظة وهو يقود سيارته لحادث اصطدام ينهي حياته.

انتهت جلسة تدخين الأرجيلة في المقهى مع سعيد، كانت الساعة تشير إلى الثانية عشرة والنصف، ركب سعيد إلى جانبه في مقعد السيارة،

ليوصله كعادته إلى بيته، لكن وائل أخذ طريق الكورنيش، وسار موازياً لشاطئ البحر، فشم رائحة البحر القديمة التي ظن أنها تلاشت من ذاكرته. بعدها اتجه إلى شارع الظريف، لم يفهم سعيد في أول الأمر، لماذا غيّر وائل اتجاهه، ولم يتجه مباشرةً إلى بيته، خلال الطريق فاجأه وائل بقوله: إن عليهما أن يقوما بزيارة لجهاز الصراف الآلي بجانب بنك كوم، إن العملية مضمونة، وإنه سيحصل على نصف المبلغ الناتج عن هذه العملية، ما أعطاه شعوراً بالارتياح، إنها نقود سهلة سيحصل عليها، كما حصل بالمرة الماضية على خمسة آلاف دولار، كل ما هو مطلوب من سعيد أن يجلس وراء مقود السيارة لانتظاره في الحارة الجانبية المجاورة للبنك، حيث لا توجد كاميرات للمراقبة.

بعد أن انتهى من كلامه، أوقف وائل السيارة بجانب الطريق، ونزل منها، وتبادل مكانه مع سعيد، أشار على سعيد بالطريق الذي يجب أن يسلكه للوصول إلى الشارع الفرعي، دون المرور من أمام البنك، لأن الكاميرات قد تصور نمرة السيارة، وربما عندما تقوم الشرطة في اليوم التالي للحادث بمراجعة الأشرطة المسجلة بوساطة كاميرات المراقبة، فقد تشتبه بسيارته.

توقفت السيارة في الشارع الفرعي في المكان المخطط له، بعد ذلك أخرج وائل من كيس بلاستيكي كبير أسود موضوع على المقعد الخلفي لسيارته لحيةً سوداء وشارباً كبيراً، وثبتهما على وجهه، وضع نظارة طبية إطارها أسود، لكن عدساتها من دون أرقام، لتساعده على التمويه أمام الكاميرات، ثم لبس في يديه قفازين من البلاستيك الشفاف، مثل التي تستخدمها ربات البيوت في أعمال المطبخ، أخرج أصبعين من الديناميت، يتدلى من كل واحد منهما شريط قصير من الفتيل، وضعهما داخل الكيس، نزل من السيارة ومعه الكيس، تاركاً سعيد وحده خلف المقود، جرت الأحداث بسرعة أمام سعيد، بحيث لم تترك له مجالاً للاختيار، فيما إذا كان يود أن يشارك في هذه العملية أم لا، لكن طمعه أعمى عينيه، ولم يعترض على قرار وائل، الآن عندما دقت ساعة تنفيذ

العملية، انتابه هذا الرعب، وغرق في الخوف، وفي أسئلته المرعبة التي لا تنتهي، لقد فات الأوان، لم يعد هناك وقت لطرح مثل هذه الأسئلة، أخذ نفساً بطيئاً، وهو يتخيّل أن وائل، مثله الأعلى في الحياة، سيكون قادراً على تنفيذ هذه المهمة بسهولة، مثل ما فعل بالمرة الفائتة.

بعد حوالي عشر دقائق، سمع صوت انفجار خفيف، فتوترت أعصابه، فسمع صوت ضربات قلبه في أذنيه، خطر له في هذه اللحظة من شدة خوفه، أن يقود السيارة ويهرب من المكان، لكنه تمالك أعصابه، وفكر ثانية بأنه لو ترك وائل في الطريق، فإن الشرطة ستلقي القبض على وائل، وسيرشدهم إليه، إن عليه الآن أن ينتظر وائل مهما كانت النتائج، بعد حوالي خمس دقائق سمع صوت باب السيارة، ودخل وائل وجلس إلى جانبه حاملاً الكيس الأسود، وضعه أمامه على أرضية السيارة، وقال: تحرَّك ولا يهمك.... العمى بقلبهم.... وين اختفت الدولارات... روح بوجهك على بيتي.

ساد السيارة سكوت عميق، وكأن وائل يحاول أن يتجنب الكلام عما حصل معه في هذه العملية، لم يكن عند سعيد الجرأة الكافية ليسأله عن قيمة المبلغ الذي أخذه من الصراف الآلي، لكن منظر الكيس الأسود المنتفخ أعطاه الشعور بالاطمئنان، فأطلق لمخيلته العنان، وهو يقود السيارة، باتجاه بيت وائل، ظنَّ أن هناك أكثر من مئة ألف دولار في داخل هذا الكيس، لأن آلة الصراف تكون عادة ممتلئة في اليوم الأخير من الشهر، وغداً هو بداية الشهر الجديد، الذي يتم فيه دفع رواتب موظفي الدولة.

إن وائل عبقري، لأنه اختار هذا التوقيت، لسلب أموال الصراف الآلي، عاهد نفسه بأنه إذا حصل على خمسين ألف دولار، فسيتبرع بألفين منها للفقراء، وسوف يتوقف عن متابعة أعمال القرصنة مع وائل، على الرغم من قناعته بفكرته، بأن البنوك تقوم على سرقة الناس العاديين، عن طريق التجارة بأموالهم، والربح من خلال التلاعب بأسعار الفائدة، حتى إنه أحياناً يزيد الاقتراض في بعض البنوك التجارية، عن حجم ودائعها، فهي عملياً، تقرض الزبائن على الورق، أموالاً غير موجودة

معها، عاهد نفسه أنه بعد أن يحصل على حصته، سيقوم بشراء بيت صغير في الضاحية، يتألف من غرفتين، وسيتزوج من موظفة تساعده براتبها على تحمل ظروف هذه الحياة القاسية، خطرت له سلمى، لكنه دفع هذه الفكرة بقوة عن عقله إكراماً لوائل، لا خوف عليه، فهناك آلاف الموظفات اللواتي سيرغبن في الزواج منه، بعد شرائه لهذا البيت.

أصبحا داخل بيت وائل، فأحضر وائل شرشفاً أبيض، وفرشه فوق السجادة المتآكلة الموجودة على أرضية الغرفة، ثم فتح الكيس الأسود، وألقى بكل ما بداخله على الشرشف، فوجئ سعيد بمنظر أوراق النقود، وقد اتسخ معظمها بمشحات من الهباب الأسود، الناتج عن تفجير أصبعي الديناميت، جمع وائل جميع الدولارات، وذهب إلى المطبخ، وأحضر وعاءً صغيراً مملوءاً بالماء، ثم أضاف إليه قليلاً من مسحوق صابون التايد، وحركها بأصابعه، ثم أخذ الدولارات ووضعها بالوعاء، وبدأ يحركها بيده، في الوهلة الأولى ظن سعيد أن وائل قد جن، حتى يقوم بغسل الدولارات، وبدت الدهشة على وجهه، لكن وائل طمأنه، أن الدولارات الأميركية ليست مصنوعة من الورق، فيدخل في صناعتها القطن بنسبة خمسة وسبعين في المئة، والكتان بنسبة خمسة وعشرين بالمئة، لذلك يمكن غسيلها حتى بالغسالات الأتوماتيكية. بعد أن انتهى من غسيلها، زالت من على وجه الورقات الوشحات الخفيفة السوداء، فأخذها وائل ورتبها بجانب بعضها على الشرشف الأبيض لتجف، وكانت بحدود ثمانية آلاف دولار.

المشكلة الرئيسة الآن في العملة اللبنانية، التي تشكل أغلبية النقود، فهي مصنوعة من ورق خاص، حتى لا يمكن تزويرها، لكن لا يمكن غسيلها بالماء، مثل أوراق العملة الأميركية، لقد اتسخ قسم كبير منها بهباب الفحم الذي نتج عن تفجير أصبعي الديناميت، كانت هناك آلاف من أوراق الألف ليرة اللبنانية الخضراء، وعدد كبير جداً من ورقة خمسة الآلاف ذات اللون الزهري، وعدد لا يحصى من ورقة عشرة الآلاف ذات اللون الأصفر، كما كان هناك عدد محدود من ورقة الخمسين ألفاً، ذات اللون الأزرق، مصيبة

الشحار الأسود جاءتهم من حيث لا يتوقعان، بدأ وائل بعد الدولارات، فوجد أنها ثمانية آلاف وستون دولاراً، وجاء بعدها دور العملة اللبنانية، فأزاح الأوراق المتسخة على جنب، وعدّ الأوراق النظيفة، فبلغ مجموعها حوالي سبعة عشر مليون ليرة، وبعد تحويلها إلى الدولار، أصبحت قيمتها بحدود أحد عشر ألف وثلاثمئة دولار، بذلك مبدئياً تكون حصة كل واحد منهما من هذه العملية أقل بقليل من عشرة آلاف دولار.

لم يصدق سعيد عينيه وهو يشاهد وائل يعد النقود، لقد كان يتوقع، أن تكون حصته بحدود الخمسين ألف دولار بعد تكبدهما لكل هذه المخاطر، أخبره وائل بأنه كانت هناك كميات كبيرة من النقود على الأرض، تركها بعد أن فجّر آلة الصراف، لم يتمكن من جمعها كلها، فتركها على الأرض، لضيق الوقت، إذ إن الشرطة كان يمكن أن تحضر في أي لحظة بعد دوي صوت الانفجار، كما أن الكاميرات الموجودة في داخل غرفة الصراف متصلة مباشرة بدوائر الشرطة، ما حتّم عليه السرعة بالرحيل، من دون أن يتمكن من تحصيل جميع الأوراق النقدية المتناثرة أمامه على الأرض، شعر سعيد بهذه اللحظة بغضب عارم من وائل، لأنه تسبب في إضاعة هذه النقود، تمنى لو أنه كان في مكانه، لقام حينها بجمع كل القطع الورقية، اكتشف أن وائل جبان، وأنه كان مخدوعاً به.

أخذ سعيد حصته من العملة اللبنانية النظيفة، وترك الباقي في بيت وائل، حتى يجدا حلاً للموضوع، عاد مكتئباً إلى بيته، لقد تبخرت جميع أحلامه التي بناها في الساعات الأخيرة، وفي الليل أثناء تقلبه في فراشه، تذكر ابن خاله وسيم، فلربما يكون قادراً على استبدال هذه الورقات النقدية اللبنانية المتسخة بهباب الفحم بأوراق نظيفة، جلس طوال الليل في فراشه وهو يتقلب منتظراً طلوع الشمس، حتى يذهب إلى بيت وائل، ليطرح عليه هذه الفكرة، قبل ذهابه إلى وظيفته.

استيقظ سعيد باكراً على غير عادته، وخرج من منزله، الشوارع كانت شبه خالية، لم يكن أمامه إلا أن يبحث عن تاكسي لتقله إلى بيت وائل،

ليس المهم أجرة التاكسي، بل المهم إيجادها في هذا الوقت من الصباح الباكر، انتظر أكثر من ربع ساعة حتى مرت تاكسي من أمامه، فاستوقفها لتقله إلى بيت وائل، قرع الباب وانتظر لأكثر من خمس دقائق حتى انفتح الباب، لا شك في أن وائل كان غارقاً في النوم هذه الساعة، لما فتح الباب، ارتسمت على وجهه علائم الخوف والدهشة، لقد ظن أن الشرطة قد توصلت إلى خيط من الخيوط المؤدية إلى معرفة ملابسات التفجير، لكن سعيد طمأنه، بأن الأمور كلها على ما يرام، إنما جاء لمناقشته بموضوع زيارة ابن خاله وسيم، لعله يجد طريقة لاستبدال الأوراق النقدية المتشحة باللون الأسود، بأوراق عملة نقدية جديدة. حاول وائل أن يشرح له أن هذا الموضوع أكبر من إمكانيات وسيم، وهو خطِر جداً، وقد يجلب نهايتهما، ثم إن المبلغ كله لا يزيد على أحد عشر ألف دولار، إن وسيم سيأخذ عمولته، وسيسرقهما فوق ذلك، فلا يبقى لكل واحد منهما أكثر من ثلاثة آلاف دولار من كل هذا المبلغ، وهو مبلغ صغير، لا يستحق هذه المجازفة.

بدأ وائل يشكو سوء حظه، فهو لم يحصل من كل هذه العمليات سوى على مبالغ محدودة، مقارنةً بالمخاطر التي تحملها، وأنه أولى بالحصول على ثلاثة الآلاف دولار هذه من النار التي ستأكلها أمام استمرار سعيد بالضغط عليه، ولكيلا يخسر صداقته، وجد نفسه مضطراً لمسايرته، فطلب منه أن يرتب موعداً مع ابن خاله وسيم، وبينما سعيد يهمّ بمغادرة الغرفة، التفت إلى وائل وسأله: فيما إذا كانت الدولارات قد جفت من الماء، وإذا بإمكانه أن يأخذ حصته، فهز وائل رأسه بالإيجاب، قام إلى الخزانة، أخرج منها ظرفاً كبيراً من الورق الأسمر، وسلمه إياه.

غادر سعيد غرفته، فهرع وائل إلى أقرب بقالية من بيته، واشترى جريدة السفير، للاطلاع على خبر الانفجار الذي حدث البارحة، لشدة استغرابه وجد خبراً صغيراً داخل الجريدة، جاء فيه: أعلنت وزارة الداخلية اللبنانية بأن تفجيراً عن طريق عبوة ناسفة استهدف الصراف الآلي الموجود في منطقة الظريف، تسبب في إتلاف الجهاز،

وألحق أضراراً مادية بسيطة في البناء، ولا توجد أي خسائر بالأرواح، وإن الشرطة تقوم حالياً بالتحقيق في حيثيات هذا الانفجار، كان هذا البيان مقتضباً لدرجة أنه أدخل الرعب مرة ثانية في أوصاله.

فعلاً كانت ظنون وائل بمحلها، بعد أن راجعت الشرطة شريط الفيديو الذي التقطته الكاميرا الموجودة في غرفة الصراف الآلي، قامت بإرساله فوراً إلى الشرطة الفرنسية، لتستعين بها في تحديد هوية الشخص الذي قام بهذا التفجير، ولاسيما أن الحوادث أخذت تتفاقم، وتأخذ منحى الخطورة، على سلامة الأمن والاستقرار في البلد.

لجأت الشرطة الفرنسية إلى أحدث برامجها للتعرف على الوجه بوساطة النموذج الثلاثي الأبعاد، إنها البصمات الخاصة بوجه كل إنسان، حيث يتم التعرف على السمات البارزة في الوجه، والتقاط صورها بالأبعاد الثلاثة، فالعظام هي الأكثر وضوحاً، في تحديد الأماكن المنحنية في تجويف العين والأنف والذقن، هذه الملامح ينفرد بها كل وجه عن غيره من الوجوه، ولا تتأثر بوضع الشوارب أو اللحى أو النظارات، بعد الدراسة توصلت الشرطة الفرنسية إلى أن الشخص الذي قام بسرقة دكان المجوهرات، هو الشخص نفسه الذي قام بعملية التفجير للصراف الآلي، تمكنت من رسم صورة لوجه المجرم، قد تكون قريبة بنسبة ثمانين بالمئة من صورة وجهه الحقيقية، فأصبح لدى دائرة الشرطة في بيروت صورة تقريبية حقيقية، لوجه الرجل الذي يقف وراء هذه العمليات الأخيرة.

أدركت قوى الأمن أن من واجبها أن تتحرك بسرعة، لأن تكرار هذه التفجيرات، قد يشجع كثيراً من الفوضويين المترددين، الذين لا يملكون الجرأة على التمرد ضد الأنظمة والقوانين السائدة وإلى التحرك لجر البلاد إلى الفوضى العبثية لمجرد الانتقام من فكرة النظام، إن خلق الفوضى من دون التخطيط لولادة نظام عملي جديد سيؤدي إلى تدمير المجتمع، إن القوانين مهما كانت ظالمة، فهي لا تخضع للمصادفة أو العشوائية، وتبقى بكل سيئاتها أفضل من الفوضى.

انطلق وائل بسيارته البيجو إلى صيدا، وبجانبه سعيد لمقابلة وسيم، كانت السيارة تسير على الطريق الساحلي الموازي لشاطئ البحر، إنه منظر رائع، فالبحر هادئ والشمس مشرقة، ونسمات الهواء الباردة المنعشة، تتسلل برفق من شبابيك السيارة المفتوحة، لكن وائل لم يكن واعياً لكل هذا الجمال، إذ إن تفكيره مشغول بهذه المصيبة التي ورّطه بها سعيد.

بعد وصولهما إلى بيت وسيم، استلم سعيد الحديث، وأخرج من الكيس الذي يحمله الأوراق النقدية التي عليها آثار هباب الفحم، ووضعها على أرضية الغرفة، قبل أن يتابع حديثه، تغيّر وجه وسيم، لأنه ربط في هذه اللحظة، بين الخبر الذي سمعه عن تفجير الصراف الآلي، وبين منظر النقود المسودة الموجودة أمامه على الأرضية، طلب منهما أن يعودا أدراجهما فوراً إلى بيروت، لإحراق هذه النقود والتخلص منها بأسرع ما يمكن، وألا يعودا لزيارته مرة ثانية، لأن رجال المخابرات يراقبون كل شاردة وواردة بالميناء في صيدا، إن العمل الذي قاما به أكبر بكثير منهما، وإن عقوبته قد تكون عشرين سنة مع الأشغال الشاقة، وذكرهما بأنه عندما باعهما أصابع الديناميت، كان من أجل استخدامها فقط لصيد السمك، لم يكن يعرف بأنهما يتآمران للقيام بهذه الأعمال الخطِرة، وكأنه كان ينأى بنفسه عن مشاركته لهما بهذه الجريمة.

خاف وائل من أن وسيم ربما يخطر له أن يبلغ الشرطة، لكي ينجو من تهمة التواطؤ معهما، لذلك أفهمه بكل وضوح، بأنه كان شريكهما في تصريف البضائع المسروقة من دكان المجوهرات في شارع الحمرا، إنها كالسفينة إذا غرقت فسيغرق جميع ركابها، قاصداً إخافته فيما لو سولت له نفسه بإبلاغ الشرطة.

لم ينبس وسيم ببنت شفة، لأنه أدرك خطورة الموقف الذي وضع نفسه فيه، من أجل ثمانية الآلاف دولار، إن عليه أن يفكر بهدوء بالطريقة الملائمة لإبلاغ الشرطة، بعد التأكد من حصوله على أعذار قانونية وضمانات من الشرطة، تنجيه من العقاب، أو على الأقل تخفّف منه.

الفصل الثامن

كما يُقال: المصائب لا تأتي فرادى، قبل ثلاثة أسابيع خسر صداقة سلمى، والبارحة أصبح يشعر بأنه أصبح تحت رحمة وسيم، لم يشعر أبداً بالارتياح لهذا الشخص، ولم يكن يعجبه شكله ولا طريقة حديثه، لكنه لسوء الحظ قد تورط معه، خطر على باله، أنه ربما من الأفضل له ولسعيد، أن يقوما بالتخلص منه نهائياً، لكن سعيد يظل مع كل هذا ابن عمته، ومن الصعب إقناعه بهذه الفكرة، عليه أن يكون أكثر حذراً في المستقبل، لأنه لا يعرف متى يخون الأصدقاء.

الأمور أصبحت معقدة، والشرطة قد تتمكن من الوصول إليه في أي لحظة، عليه أن يقطع علاقته بالمعلم الذي يظهر على شاشة التلفزيون، وأن يتوقف عن متابعة تعليماته، يجب أن يهاجر إلى مدينة إستانبول في تركيا، التي طالما انبهر بجمال مناظر البوسفور فيها من الصور في المجلات، سيغير اسمه، ويبدأ صفحة جديدة من حياته، وسيرسل لأمه مصروفها الشهري من إستانبول، كل ما معه بحدود الخمسة والثلاثين ألف دولار، إنه مبلغ معقول، لكنه غير كافٍ لتأسيس عمل وبداية حياة جديدة في تركيا.

من جديد وجد نفسه مضطراً للجلوس على شاشة التلفزيون،

وانتظار ظهور المعلم، ليشاوره في هذه الخطة التي تستحوذ عليه، كعادته انتظر طوال الليل حتى ظهر المعلم، لم يكن بحاجة لأن يشرح له ما يدور بفكره، لأن المعلم قادر على معرفة كل الأمور التي تجري في هذا العالم، لشدة استغرابه، أثنى المعلم على فكرته بالهجرة من هذا البلد المتداعي، لكنه ذكّره بأن مبلغ الخمسة والثلاثين ألف دولار غير كافية لبدء حياة جديدة، تليق به في إستانبول، عليه على الأقل أن تكون معه مئتا ألف دولار، يجب أن يقوم بعملية كبيرة وأخيرة، ليحصل على هذا المبلغ، كما أن عليه الإسراع في تنفيذها قبل أن تتمكن الشرطة من الوصول إليه، اختفى بعدها من على الشاشة، كان حديثه مقتضباً وسريعاً، وكأنه كان على موعد مهم بعد هذه المقابلة، لم يترك له مجالاً لكي يسأله عن الخطة، واسم المركز الذي عليه أن يسطو عليه.

بقي لأكثر من يومين وهو يحاول أن يبحث عن الهدف الذي يمكن أن يجد فيه ثلاثمئة ألف دولار، لكي تكون حصته من هذه العملية نصف هذا المبلغ، والنصف الآخر سيذهب إلى شريكه سعيد، فهداه تفكيره بالنهاية على أن المكان الوحيد الذي يمكن له أن يجد فيه حتى أكثر من هذا المبلغ هو البنك، لم يتردد ولو للحظة واحدة، أخذ تاكسي، وطلب من السائق أن يوصله إلى شارع الحمرا، لأن هذا الشارع يختزل بيروت كلها من أقصاها إلى أدناها، نزل من التاكسي، وأخذ يتمشى في هذا الشارع الممتد من الوسط التجاري إلى رأس بيروت، محدقاً في المباني الحديثة الجميلة المبنية على الطراز الأوروبي، التي تحولت فيها شقق الطابق الأرضي إلى مقاهٍ متناثرة على الأرصفة الملاصقة للمباني، لقد اختلط الحابل بالنابل في المقاهي من رسامين إلى أدباء، أصابتهم لوثة حب الشهرة، إضافة إلى المحتالين ذوي الثياب الفاخرة، جالسين ينتظرون حصتهم من النصب والابتزاز، بدأ يفكر بأسماء البنوك الكثيرة التي تمر أمام عينيه، وهو يمشي في هذا الشارع، لكنه توقف فجأة أمام مصرف كوم، إن له تاريخاً مشتركاً مع هذا المصرف، في المرة الماضية لم يتمكن

من تحقيق حلمه من صرافه الآلي، وعليه الآن أن يستهدف صاحب الصراف، وأن ينتقم منه.

في عصر التكنولوجيا، أصبحت سرقة البنوك تقتصر على خبراء برامج الكومبيوتر، الذين يقومون باختراق الأنظمة المالية للبنوك، من خلال الدخول إلى حسابات زبائنهم، وتحويلها إلى حسابات مراكز أخرى، لقد ولت طريقة جيسي جيمس الأميركية، التي كانت تعتمد في الماضي على تفجيرالبنوك قبل سرقتها، لقد أدهشته هذه المغامرات ببساطتها وفعاليتها، عندما كان يشاهدها في صغره في الأفلام الأميركية، لكن جهله في استخدام تكنولوجيا البرمجة الإلكترونية جعله دائماً متخلفاً عن الجميع، خطر له في هذه اللحظة، ماذا كان سيكون وضعه لو دخل قسم علوم الكومبيوتر في الجامعة اللبنانية، بدلاً من دخول فرع الفلسفة، التي لا تسمن ولا تغني من جوع، عليه الآن أن يواجه واقعه الذي يعيش فيه، ويتوقف عن ندب حظه والتفكير بأخطاء الماضي، ليس أمامه إلا خطة واحدة، وهو يحتاج إلى إقناع سعيد بالمشاركة بالعملية، لأنه سيلعب دور البطل فيها.

بينما كان وائل وسعيد جالسين في القهوة كعادتهما يشربان الأرجيلة، قال وائل بصوت منخفض لسعيد: إنه يفكر أن يقوم بعملية كبيرة أخيرة ومضمونة لسرقة بنك كوم، ليتقاعد بعدها ويسافر من لبنان، ظهرت علامات الخوف على وجه سعيد، من دون أي تردد أجابه برفضه للمشاركة فيها، لكن ثقافة وائل الواسعة ومعرفته بنظرية علم النفس العكسي دفعته ليجيبه: لا يهم سأفعل ذلك بمفردي، يمكنني أن أنفذ هذه العملية وحدي بشكل أفضل من مساعدتك، وسأحتفظ بكامل النقود لنفسي، وائل يعرف بأن سعيد بحاجة ماسة للشعور بالاستقلال، فإذا اتخذ قراره بالمشاركة في هذه العملية بإرادته، أفضل من أن يعتقد بأنه فعلها خوفاً من فقدان علاقته المقدسة به، لقد خلق له وهم حريته، على اتخاذ القرار الذي يناسبه، فوق هذا كله، فإن سعيد بحاجة إلى أكثر من خمسين ألف دولار لتحقيق أحلامه، تصور أنه بعد هذه المغامرة

سيتقاعد مثل صديقه وائل، وبينما حصل وائل على موافقته، أصبح عليه أن يتخذ الخطوات المدروسة، لتأمين نجاح هذه السرقة، من دون أن يخبر سعيد بتفاصيلها، لأنه شخص جبان، حتى لا يغير رأيه.

ذهب إلى السفارة التركية في شارع عبد الحميد كرامة، تقدم بطلب فيزا إلى تركيا، بعد أن ملأ الأوراق المطلوبة، وسلم جواز سفره للموظف المسؤول، طلب منه أن يعود بعد ثلاثة أيام لاستلام تأشيرة الفيزا، كان بوده لو أن الفترة أقصر من ذلك، لأنه بدأ يتخوّف من بقائه في بيروت، نزل وتمشى مرة ثانية في شارع الحمرا، ولم يجد شيئاً جديداً، فالكاميرات منتشرة في كل مكان، لدرجة أنه يجب ألا يقلق بشأنها، مرّ بطريقه على مول أي بي سي، واشترى باروكة رجالية له وأخرى لسعيد، كما اشترى شوارب اصطناعية لسعيد، إن السلاح الوحيد لمواجهة هذه الكاميرات هو التضليل.

حسب الموعد، راجع السفارة التركية، فوجد الفيزا جاهزة ومختومة على جواز سفره، ذهب بوجهه مباشرة إلى الخطوط التركية، حجز على الرحلة الذاهبة إلى إستانبول ظهر يوم الأربعاء، أي معه ثلاثة أيام بالضبط لتنفيذ عملية السطو على بنك كوم.

اجتمع بسعيد في المقهى، وأخبره بأن كل شيء أصبح جاهزاً لهذه العملية، التي خطط لها بشكل جيد، لا يوجد أي داعٍ للقلق، لقد اتخذ جميع الاحتياطات اللازمة، إن كل ما عليه أن يحصل على إجازة مرضية من وظيفته ليوم الثلاثاء، لأنه الموعد الذي حدده للسطو على بنك كوم، ظل طوال الجلسة يؤكد على سعيد، بأن ذلك اليوم ما قبله ليس كما بعده، لأن جميع مشكلاته ستُحل، سيشتري بيتاً جميلاً، ويتزوج من فتاة أحلامه، ليخلق الأمل لديه، ويلونه بالألوان الزاهية، وليرفع من معنوياته، ولكيلا يترك له الفرصة للتفكير بالهروب من هذه العملية.

بقي يوم واحد للقيام بهذه العملية، حاول وائل أن يتخلص من مخاوفه، بإلقائها على المصادفة غير العادية التي اختارت بأن يكون السطو على

البنك في يوم الثلاثاء، لكل رقم رسالة باطنية، لا يفهمها أكثر الناس، وهي ليست خرافات كما يتبادر لذهن الشخص العادي، فالرقم ثلاثة هو رقم مقدس في الديانات القديمة، وهو يرمز للوحدة والكثرة، لا شك أن هناك قوة عظمى وراء اختياره لهذا الرقم، إنها ليست مجرد مصادفة، لابدّ من أن المعلم نفسه، يقف وراء إختياره ليوم الثلاثاء.

الانتظار هو من أصعب الأشياء التي يعانيها في حياته، فهو يترقب ويترصد قطعة زمنية قادمة، لا يعرف ماذا يخبئ له المجهول فيها، فهو يستمر بالانتظار والتوقع، أحياناً تكون تلك اللحظات المتوترة، التي تسبق النجاح القادم، هي أجمل من النجاح نفسه، آملاً بتحويل حلمه إلى حقيقة، مستهلكاً كمية كبيرة من طاقته، التي سيكون بأمس الحاجة إليها، خائفاً من أن يفقد توازنه الداخلي من طول فترة الانتظار، فإرادته تتعب وتستنزف في كل دقيقة.

تحت هذه الضغوط الكبيرة التي يرزح تحتها، بدأ يحسّ بغريزة القسوة والكراهية تستيقظ بداخله، ليسقطها بشكل عفوي على سعيد، ربما لتوقعه بأن سعيد من المحتمل أن يفشل في تنفيذ الدور المطلوب منه، نظراً لإمكانياته المحدودة، فيكون سبباً في إفشال هذه العملية.

اليوم هو الثلاثاء، فهذا الصباح ليس ككُل صباح، وصل سعيد باكراً إلى بيت وائل، وهو يحمل معه كومبيوتره النقال، بعد أن شربا فنجانين من القهوة التركية، لتزيد من نشاطهما وتركيزهما، ذهب وائل إلى المطبخ، وعاد يحمل علبة من الكرتون وفيها خمسة عشر أصبع الديناميت الباقية من التفجيرات الأخيرة، وضعها وائل أمامه على الطاولة الصغيرة في غرفة المعيشة، وأخرج لفة شريط الفتيل، وأخذ يقيسها ليقسمها إلى خمس عشرة قطعة متساوية الطول، فوجئ بأن تقسيم طول خيط الفتيل بالتساوي، لم يعطه سوى خمسة وأربعين سنتمتراً لكل أصبع، وهذا يعني أن الوقت المتبقي أمام سعيد لإنجاز مهمته هي أربع دقائق ونصف الدقيقة، كانت تقديرات وائل بأن سعيد

بحاجة إلى ست دقائق لإنجاز المهمة، لم يستطع أن يبلغ سعيد بمخاوفه، فالآن أصبح من المستحيل الحصول على كمية ثانية من الفتيل، فقام بوصل الفتيل بالصواعق وأدخلها في أصابع الديناميت، ثم رفع حقيبة الكومبيوتر المحمول العائدة لسعيد، أخرج منها الكومبيوتر، وبدأ يصف أصابع الديناميت بداخلها بشكل مرتب، تاركاً جميع نهايات الفتيل تخرج من طرف واحد من الحقيبة، الحقيبة صغيرة، لم تتسع لهذه الكمية من أصابع الديناميت، ولخشية وائل من ضغط أصابع الديناميت، فقد وضع فيها ثلاثة عشر أصبعاً فقط، بالنسبة إليه، الرقم ثلاثة عشر رقم جيد، يتفاءل به وائل، بعكس الرأي السائد عند عامة الناس، في هذه اللحظة فقط استوعب سعيد الخطة، وفهم لماذا طلب منه وائل أن يحضر كومبيوتره المحمول.

انتهى من تحضير حقيبته، فأسرع بارتداء ملابسه، ونزل مع سعيد إلى سيارته البيجو، وهو يحمل كيساً أبيض صغيراً بيده إلى جانب حقيبة الكومبيوتر، بعد أن أصبحا داخل السيارة، التفت يميناً وشمالاً حتى تأكد من خلو الطريق، ثم أخرج باروكتين من الشعر الاصطناعي ذاتي اللصق، وضع واحدة منهما على رأسه، والثانية على رأس سعيد، وهو يؤكد عليه بأنه يجب أن يحافظ على الشعر بوضع يغطي أكبر جزء ممكن من أذنيه، لأن صورة الأذنين مهمة جداً في إثبات الشخصية، ثم لصقا الشاربين الاصطناعيين، ووضعا النظارتين الطبيتين على وجهيهما، وانطلقا إلى موقف السيارات في شارع اليافي القريب من شارع الحمرا، أثناء الطريق أكد وائل عدة مرات على سعيد بأن عليه أن يدخل البنك حاملاً كومبيوتره المحمول، على أن يتركه داخل البنك، ويخرج في أقل من أربع دقائق، بعد أن يحدث الانفجار سيدخلان إلى البنك بسرعة، حيث سيتكفل سعيد، وهو يتظاهر بمساعدة الجرحى بأخذ النقود من الأشخاص المصابين، الذين كانوا ينتظرون دورهم لإيداع النقود في البنك، كما عليه أن يفتش بسرعة في جيوب الأشخاص الجرحى على الأرض،

الذين قبضوا أموالاً من محاسبي البنك، بينما سيقوم وائل في هذا التوقيت بالدخول من خلال الباب الجانبي إلى قسم المحاسبين، ليأخذ أكبر كمية ممكنة من الدولارات، إن العملية يجب أن تتم بسرعة متناهية، لكي يغادروا البنك قبل وصول الشرطة.

صف سيارته في الموقف الرسمي، وركب سيارة أجرة مع سعيد، وانطلقا إلى بنك كوم، كان وائل يدخن سيجارته داخل السيارة على الرغم من ممانعة سائق التاكسي، عندما توقفت السيارة أمام البنك غاص سعيد في المقعد الخلفي، وأشعل الفتيل المتدلي خارج حقيبة الكومبيوتر، ثم دفعه إلى داخلها، بحيث لا يظهر للعيان، أعطى الحقيبة لسعيد الذي نزل بسرعة متجهاً إلى البنك، بعد أن تأكد وائل من دخوله باب البنك دفع أجرة التاكسي، لأنه خمّن أنه إذا حدثت مشكلة عند دخول سعيد باب البنك، وأوقفه حارس الأمن عند المدخل، ليتأكد من الحقيبة، فإنه سيطلب من سائق التاكسي أن يوصله لمكان آخر، ليبقى بعيداً من سعيد، ليربح بعض الوقت، ويعيد ترتيب أولوياته.

نزل وائل من السيارة وتمشى على الرصيف المقابل للبنك، وهو ينظر إلى عقارب ساعته، لقد مضت حتى الآن دقيقتان ونصف الدقيقة، وهو يتأنى في مشيته مجهزاً نفسه للانتقال إلى طرف الرصيف المقابل، من المفروض أن يخرج سعيد بعد دقيقة ونصف الدقيقة من الباب تاركاً حقيبته في الداخل، مضت الدقيقة الأولى ولم يخرج سعيد، ثم مضت الدقيقة الثانية وسعيد مازال داخل البنك، ربما سعيد مازال معتقداً أن الوقت المحدد هو ست دقائق لحصول التفجير، لم يكن يعرف بأن طول الفتيل لا يسمح له بأكثر من أربع دقائق ونصف الدقيقة، بقي نصف دقيقة ولم يخرج سعيد حتى الآن، قرر أن يقطع الطريق وينتقل إلى الطرف الآخر حيث مدخل البنك، وهو مركّز نظره على الباب متوقعاً خروج سعيد في أي لحظة، فجأة دوى صوت انفجار كبير داخل البنك، وتطاير زجاج المدخل الأمامي للبنك، فركض في هذه اللحظة باتجاه

الباب، ليجده بعد حدوث التفجير أغلق نفسه أوتوماتيكياً، ليمنع دخول وخروج الناس من البنك، حاول بيديه أن يزيح دفة الباب الحديدي ليتمكن من الدخول، لكن الباب كان مصمماً بأن ينغلق بشكل كامل في حالات الطوارئ.

بدأت الناس تتجمع حول مدخل الباب، شاهد أحد شرطة المرور يقترب من الباب، ليفهم ماذا يجري داخل البنك، فاقترب من الشرطي، وقال له: إن أخاه في الداخل، وربما يكون مصاباً، وعليه أن يدخل لنجدته فوراً، أفهمه الشرطي بأن الأمور ليست في يده، وعليه أن ينتظر ضابط الشرطة، الذي من المتوقع أن يحضر في أي لحظة، أدرك حينها، بأن جميع أحلامه قد أصبحت خلفه، عليه أن ينقذ رأسه، ويسافر غداً إلى إستانبول، عاد إلى موقف السيارات، وأخذ سيارته وانطلق إلى بيته، تصور بأن مذيع التلفزيون الذي دأب على تسميته المعلم، قد تخلى عنه، وعليه الآن أن يتابع قدره بمفرده.

وصل وائل إلى بيته، وجلس على الكرسي المقابل لشاشة التلفزيون، شرد ذهنه، بالتفكير في أيام طفولته، وبأمه المريضة في دار العجزة، وأخته التي دفنها بالهند، لكي يوفر ثمن نقل جثمانها إلى لبنان، وعلاقته بسلمى وحبه لها، وكيف تخلت عنه، وبجارته وابنتها الجميلة التي لم تكن أبداً تشعر بوجوده، الوقت يمضي ببطء شديد، وعليه أن يجهّز حقيبته للسفر غداً إلى إستانبول، وضع الحقيبة على الفرشة، وبدأ يختار قطع الملابس التي سيحملها معه، لقد قرر أن يلبس البدلة الرمادية التي اشتراها مؤخراً من البالة، مع ربطتها الخمرية وقميصها الأبيض، ليبدو مثل رجال الأعمال في المطار.

وضع جميع ملابسه في الحقيبة، إن من حقه أن يكون وزن حقيبته عشرين كيلوغراماً، لكنه يعرف بأن جميع ملابسه لا يمكن أن تصل إلى هذا الوزن، أحضر الدولارات الموجودة في علبة التنك التي فوق النملية، قسّمها إلى ثلاثة أقسام، ليضعها في جيوب بدلته، لكيلا يلفت انتباه

موظف الأمن العام عندما يفتشه أثناء مروره من بوابة التفتيش، التي تستخدم فيها الأشعة السينية.

صرف أكثر من ساعتين، على ترتيب حقيبة سفره، والساعة مازالت حتى الآن الثالثة بعد الظهر، ذهب إلى مطعم الوجبات السريعة، على الرغم من عدم شعوره بالجوع، لكن هدفه كان قتل الوقت، فكر بأن يذهب بعد ذلك إلى السينما، لمشاهدة أحد الأفلام، لكنه متوتر، وليس عنده الصبر، ليجلس ساعة ونصف الساعة على الكرسي من دون حراك، كان عقله مشغولاً بسعيد، لكنه كان يحاول أن يطرد هذه الفكرة من رأسه، إنه كلما طردها، تعود من جديد لتزداد تشبثاً في عقله، يظل يسأل نفسه باستمرار، هل مات سعيد، وهل تمكنت الشرطة من ربطه بحادثة التفجير، هناك عشرات الكاميرات التي كانت تراقب مدخل البنك، وما يجري في داخله، لا شك أن إحدى الكاميرات قد صورته، وهو يدخل البنك حاملاً حقيبة الكومبيوتر في يده، ولكن يا ترى: هل تمكنت الشرطة من أن تعرف أن التفجير جاء من داخل حقيبته، أسئلة كثيرة تخطر على باله، لكنه يطردها من تفكيره، لكيلا تسيطر عليه، وتصبح هاجساً يمنعه من أن يستقل طيارته غداً من مطار رفيق الحريري إلى إستانبول، عاد إلى بيته، الوقت لا يتحرك، فالساعة مازالت السادسة، لقد بقي لديه قرابة عشرين ساعة ليستقل الطائرة.

الهواجس المخيفة التي لا يود أن يعترف بها وائل كانت كلها في محلها، فالشرطة بعد أقل من أربع ساعات، وبعد دراسة فيديو أشرطة التفجير، توصلت إلى أن سعيد هو الشخص المسؤول عن هذه الكارثة، بينما كانت الشرطة تقوم بربط خيوط الجريمة بعضها ببعض، اتصل الملازم الأول من فرع التحقيقات الجنائية في صيدا، ليخبرالمقر الرئيسي في بيروت، بأن صياداً بعد أن سمع بحادثة التفجير التي حدثت ببنك كوم تقدم ببلاغ إلى الشرطة، يفيد بأنه يظن بشخصين قد يكونان المسؤولين عن هذا التفجير، وأعطى اسميهما، قد قاما بشراء أصابع الديناميت

منه، بحجة أنهما يريدان استخدامها في صيد السمك، وهو يتقدم بهذه الإفادة ليخلي مسؤوليته الجنائية عن واقعة التفجير، لقد تم توقيف الشخص الذي أدلى بإفادته، وهو موجود حالياً في مركز القسم بصيدا.

كان هذا البلاغ من وسيم كالقشة التي قصمت ظهر البعير.

في الساعة السابعة، أصبح لدى قسم الشرطة الجنائية في بيروت اسم وائل وعنوان سكنه، فأرسل العقيد المكلف بهذه القضية سيارة مدنية عادية، فيها فردان من الشرطة بملابس مدنية، لكي تتوقف في الطريق العام مواجه البناء الذي يقيم فيه وائل، وأن يكون العنصران جاهزين للتحرك، عند تلقي الأوامر مباشرة من العقيد.

في الساعة السابعة والنصف رن هاتفه الجوال، نظر إلى شاشته ليرى من المتصل، ففوجئ برقم غريب لم يسبق أن اتصل به، في البداية تكاسل بالرد، لكن الرنين ظل مستمراً، ففتح الخط، سمع صوت رجل على الطرف الآخر، عرّف على نفسه، بأنه موظف في شركة ألفا للاتصالات، أبلغه بأن فاتورة اشتراكه بالهاتف ستنتهي بعد ثلاثة أيام، لذلك عليه أن يدفع رسوم الاشتراك، وإلا فإن الشركة ستقطع الخط، فأجابه وائل بأنه سيدفع الفاتورة غداً.

بعد ان أنهى وائل المكالمة، استغرب من هذا الغباء المستشري في الموظفين، فهو على ما يذكر بأن وقت دفع فاتورته سيستحق بعد أكثر من شهر، فتح الدرج وأخرج فواتير اشتراكه بالهاتف، فوجد أن فاتورته ستستحق فعلاً بعد شهر، ولما انتهى من قراءة تاريخ الفاتورة، شعر بأن قدميه لم تعودا قادرتين على حمل جسمه، لقد أدرك في تلك اللحظة، بأن هذه المخابرة الهاتفية من شركة ألفا للاتصالات قد تمت بالتنسيق مع الشرطة لتحديد موقع هاتفه الجوال، لم يعد يعرف ما عليه أن يفعل، أخرج مسدسه، تأكد من أن مشطه مازال مملوءاً بالرصاص، جلب أصابع الديناميت الثلاثة الباقية في حوزته، وضع الدولارات في جيبه، وقرر أن يترك بيته بسرعة قبل أن تتمكن الشرطة من الوصول إليه.

قبل أن يغادر غرفته، أطل من السطح على الشارع، ليتأكد من عدم وجود سيارات للشرطة، تعمل على مراقبته، لفت انتباهه وجود سيارة مرسيدس بيضاء، لم يشاهدها يوماً من قبل، متوقفة أمام مدخل البناء، ظن أنه من المحتمل أن تكون هذه المرسيدس عائدة لأحد الزوار للجيران، أخذ يراقبها بحذر، قبل أن ينزل الدرج تاركاً بيته للوصول إلى سيارته، بعد حوالي ربع ساعة، شاهد سيارة صغيرة موديل رينو تقترب منها، وأخرج سائقها من شباكه زجاجتين من الماء، وسلمهما للشخص الموجود داخل سيارة المرسيدس، ففهم من دون أي مجال للشك، بأن هذه السيارة المتوقفة هدفها مراقبته.

تصوّر أن الحل الوحيد الباقي أمامه أن ينزل الدرج، عندما يخرج من باب المبنى، وبيده المسدس، يقترب من السيارة ويطلق النار على الأشخاص الموجودين بداخلها، كما شاهد ذلك مراراً في أفلام السينما، لكن يبقى في أعماقه شعور عميق بالخوف والجبن، وليست عنده الجرأة الكافية لمهاجمة هؤلاء الأشخاص المسلحين المتوقعين ظهوره في مدخل البناء بأي لحظة، أصبح تائهاً، ولم يعد يعرف ماذا عليه أن يفعل، أيقن في تلك اللحظة، بأن الحل الأفضل في هذه الحالة، هو أن يفتح التلفزيون لمشاهدة المذيع وانتظار تعليماته.

فتح قناة التلفزيون، ولم يكن المذيع حاضراً، عليه أن ينتظر منتصف الليل حتى يحين موعد ظهور المعلم على الشاشة، الساعة مازالت العاشرة ليلاً، وهناك خمس ساعات حتى يحين موعد ظهوره، أصبح ضائعاً، يدور في متاهة لا يعرف الخروج منها، خطر له أن يتصل بسلمى ليشرح لها وضعه، ويطلب مساعدتها، لكنه أعاد التفكير بهذه الخطوة مرة ثانية، كيف يمكنها أن تساعده، وهي امرأة وحيدة، لقد قطعت علاقتها به، وتخلت عنه لأنه رفض أن يخطبها، فانتابته أحاسيس قوية من الكراهية نحوها، واعتبرها بأنها تتحمل مسؤولية الوضع الذي وصل إليه، ثم فكر بهذا الأبله سعيد، فهو بغبائه قد ورّطه في هذه المشكلة، لو

أنه تصرف وفقاً لتعليماته، وغادر البنك خلال أربع دقائق، لما وصلت الأمور إلى ما وصلت اليه، تذكر أنه منذ اللحظة الأولى الذي قابله فيها في أمانة السجل العقاري، أحس بأنه شخص متخلف عقلياً، واستغرب كيف صبر على صداقته طوال هذه الفترة.

بينما هو جالس يستذكر هذه الأفكار، ظهر المذيع على شاشة التلفزيون، لشدة استغرابه، وجد أن المعلم مطّلع على التفاصيل، وعلى الحوادث التي جرت معه في الساعات القليلة الماضية، كما أنه يعلم بوجود سيارة الشرطة المتخفية التي تقف أمام مدخل البناء، بادره المعلم حديثه بلهجة أبوية قائلاً: إن الحياة مهما طالت، فتظل رحلة قصيرة، لكن المهم هي الحياة الأبدية التي ستحدث بعد الموت، وبما أنه يعرف، بأنه شاب مثقف وذكي، لذا يجب عليه مساعدته، إنه بعد ساعة تماماً من الآن سيُصبِح كوكبا المريخ والمشتري مصطفّين مع الشمس على خط واحد، ونتيجة لهذا الاصطفاف، سينفتح ثقب في السماء لمدة ساعتين، خلال هاتين الساعتين، يجب على روحه أن تغادر هذه الدنيا الفانية، لتتمكن من العبور خلال هذا الثقب الموجود في السماء إلى الجنة، هنا أنهى المعلم حديثه، واختفى من على شاشة التلفزيون.

لم يعد أمام وائل سوى أن يأخذ بنصيحة المعلم، ويستغل هذه الفرصة للسفر إلى الجنة، فكر لو أن كان بإمكانه في هذه الساعة، أن يتصل بأمه ليخبرها بضرورة أن تترك هذا العالم بعد ساعة من الآن، كما خطر له، لو أنه يستطيع أن يتصل بابنة جارته، ليقنعها هي أيضاً بضرورة مغادرة هذا العالم الفاني، هاتان هما المخلوقتان الوحيدتان اللتان يهمه أمرهما في كل هذا العالم، أخذ ورقة وقلماً، وكتب رسالة إلى أمه وابنة صاحبة البيت، يوضح فيها ملابسات ما حدث معه.

ذهب إلى خزانة الأدوية الموجودة في المطبخ، وأخرج منها علبة الحبوب المنومة، ولكن لسوء حظه لم يجد فيها إلا تسع حبات، نظر إلى علبة الحبوب المهدئة، فوجدها تقريباً ممتلئة، وضع كل هذه الحبوب، أمامه

على الطاولة وجلب قنينة بلاستيكية من المياه، وبدأ يتناول الحبوب المنومة، بعد أن انتهى منها، انتقل إلى تناول الحبوب المهدئة، ما كاد ينتهي من تناول وجبة هذه الحبوب، حتى شعر بالتعب والرغبة في النوم، فقام بصعوبة من مكانه وتمدد على السرير.

في الساعة التاسعة صباحاً، رن هاتفه الجوال من جديد، لكن وائل لم يردّ على هذه المكالمة، ما أدخل الشك في قلب العقيد المسؤول عن متابعة هذا التحقيق، خاف من أن يكون وائل قد تمكن خلال الليل، من مغادرة بيته بطريقة ما، من دون أن تلاحظه الشرطة، فأعطى تعليماته للشخصين المكلفين مراقبته، بأن يجهزا نفسيهما، لأنه سيحضر شخصياً مع مفرزة من الشرطة الجنائية، ليقوموا باقتحام بيته، بعد أقل من ربع ساعة حضر العقيد، وقامت الشرطة بسهولة بكسر الباب الخارجي المتهالك، دخلوا الغرفة وهم مصوبون بنادقهم الأتوماتيكية إلى الداخل، على أساس أن المجرم من أصحاب السوابق، وهو يلجأ في عملياته إلى استخدام المتفجرات والأسلحة النارية، ليجدوه ممدداً على فراشه، وقد خرجت من فمه رغوة بيضاء، وعيناه شاخصتان نحو السقف، بدأ أفراد الشرطة بتفتيش المكان، لكن لفت انتباه العقيد ورقة بيضاء موجودة على الطاولة الصغيرة في الغرفة، رفعها من على الطاولة وقرأ فيها ما يلي:

بينما أنتم تقرؤون هذه الرسالة، أكون أنا في طريقي إلى الجنة، كما أخبرني المذيع على التلفزيون، وأعتقد أن هذا الوقت هو الأنسب لهذه الرسالة، لقد أدركت أن الأمل ما هو إلا خيبة أمل متأخرة، تعبت من غدر الأصدقاء، ومن الأشخاص الجاهلين الذين يقررون مستقبلي، ما أعطاني الشعور بالوحدة، على الرغم من وجود عدد كبير من الأشخاص من حولي، لأنني من القلة التي تعرف أن هناك حكومة خفية، تسيطر على هذا العالم، وتتحكم فيه، إنني سعيد لأنني تركت هذا العالم الذي لا تتوقف التعاسة فيه، وكم كان بودّي لو كانت أمي معي في هذه الرحلة، مع ابنة جارتنا صاحبة الغرفة التي أعيش فيها، هذه الصغيرة الشقراء

التي أحببتها بصدق، والتي لم تبادلني يوماً هذا الحب.

لما انتهى العقيد من قراءة هذه الرسالة، طلب من الشرطي المرافق له، استدعاء الجارة ليفهم منها طبيعة علاقة وائل بابنتها، كما أرسل سيارة إلى مأوى العجزة لإحضار والدته.

دخلت البيت امرأة في الخمسين من عمرها بهية الطلعة، تبدو من ملابسها بأنها ميسورة الحال، قدّمها الشرطي المرافق لها للعقيد على أنها صاحبة بيت وائل، هنا سألها العقيد مباشرة، ما علاقة ابنتك بوائل، اندهشت الجارة من هذا السؤال، فأجابت العقيد بحدة، بأنها ليس عندها ابنة، وتابعت حديثها: إن المرحوم زوجها قد توفي منذ فترة طويلة، ولم يُرزقا خلال زواجهما إلا بصبي واحد، هاجر إلى مدينة تورنتو في كندا منذ عشرين عاماً، حيث مازال يعيش هناك مع أسرته، سألها العقيد: فيما إذا كانت لديها قريبة شقراء، تحضر لمساعدتها في أعمال البيت في المناسبات، فأجابته بأنه لا يوجد من يأتي لزيارتها أو مساعدتها، ولا تعرف أي بنت صغيرة شقراء، فازداد استغراب العقيد من موضوع البنت، هنا سألها العقيد للمرة الثالثة، فيما إذا كانت تعرف ابنةً صغيرة شقراء، صفنت السيدة ثم أجابته: بأن البنت الشقراء الصغيرة الوحيدة التي تعرفها هي ابنة ابنها الذي يعيش في كندا، لكن هذه البنت لم تحضر طوال حياتها إلى لبنان، وإن وائل كان كلما حضر إلى منزلها لدفع أجرة الغرفة التي يقيم فيها، تدخله إلى الصالون وتقدم له فنجاناً من القهوة، لأنها تشفق عليه، لأنه يعيش وحيداً من دون أصدقاء، لقد حدث مرة أنه شاهد صورتها الموجودة على الطاولة في غرفة الجلوس، فسألها عنها، فأخبرته بأنها ابنة ابنها الذي يعيش في كندا، فطلب منها أن تنقل تحياته إلى ابنها وابنته، وانتهى الحديث حول هذا الموضوع، فاعتذر منها العقيد على جلبها إلى غرفة وائل، وشكرها على تعاونها، وانصرفت.

جلس العقيد ينتظر قدوم والدة وائل لأكثر من ساعة، عندما وصلت، طلب العقيد من الشرطي تغطية جثة المتوفى بالبطانية حتى لا تراه أمه

بهذه الحالة، بعد أن دخلت الغرفة، كانت تلهث من صعود الدرج، وكان يبدو عليها المرض والتعب، وظهرت علامات ضيق اليد من ملابسها، سألها العقيد: عن آخر مرة شاهدت فيها ابنها وائل، فأجابته منذ أكثر من شهرين، بعد أن وضعها في دار العجزة، لم يأت بعدها لزيارتها إلا مرة واحدة، كانت تحبس دموعها بصعوبة، وهي تقول هذا الكلام، ثم سألها العقيد: ماذا كان يعمل ابنها، فأجابته: بأنه يعمل في دائرة السجل العقاري وبالتجارة، فتابع العقيد سؤالها: عن علاقة ابنها بمذيع التلفزيون الذي يظهر على شاشة تلفزيونه، انصدمت من هذا السؤال، فأجابته: إن هذا التلفزيون القديم الموجود بالغرفة لا يشتغل، وكان موجوداً بالبيت عندها، ولم ترمه بالزبالة، لأنه من ريحة زوجها المرحوم، وإن وائل بعد خروجه من مشفى الأمراض العقلية الذي أمضى فيه ستة أشهر نتيجة لإصابته بانهيار عصبي، وبعد أن حصل على وظيفته، انتقل ليعيش وحده في هذه الغرفة، أخذ التلفزيون القديم معه، لأنه يذكره بوالده المرحوم، عندما بلغت هذه النقطة من حديثها، تقدم العقيد بنفسه وضغط زر تشغيل التلفزيون، فظهرت خطوط بيضاء ونمش على الشاشة لفترة ثوانٍ، ثم اختفت نهائياً، ما يدل على أن التلفزيون لا يعمل، التفت العقيد إليها، وأخبرها بأن ابنها قد توفي صباح هذا اليوم، فأجهشت في البكاء، وأخذت تسأل ربّها، ماذا فعلت لتحدث كل هذه الأشياء معها، لقد أخذ زوجها فجعلها أرملة مسؤولة عن تربية طفليها بمفردها، ثم أخذ ابنتها، وبعدها أخذ ابنها، إنها تريد أن تعرف لماذا كل هذا، ليعاملها بهذه الطريقة، ولماذا لم يأخذها لعنده حتى الآن، لترتاح من هذا الشقاء الذي لا ينتهي.